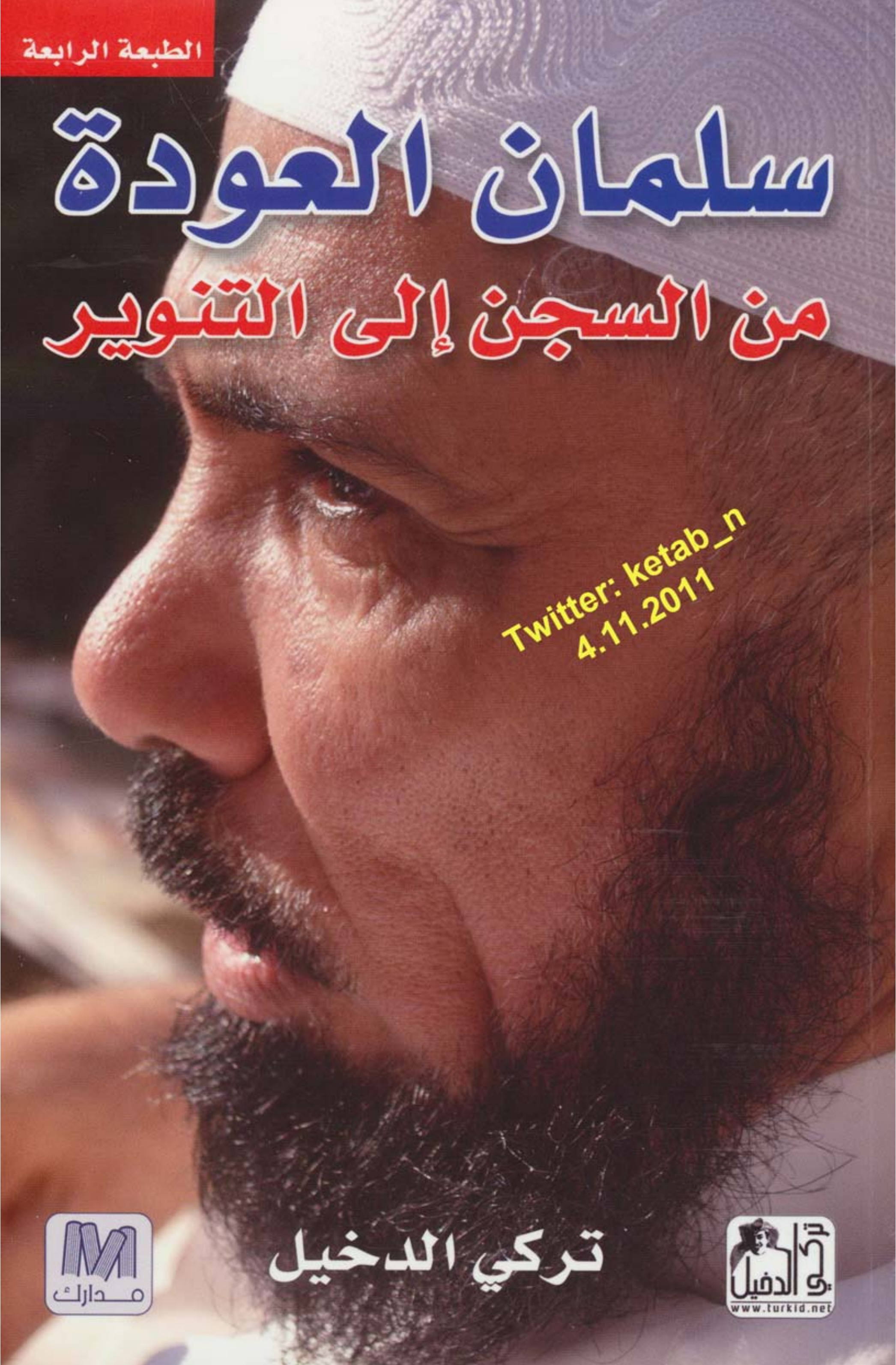


الطبعة الرابعة

سلمان العودة

من السجن إلى التنوير

تركي الدخيل

مدارك

تركي الدخيل
www.turkid.net

تركي الدخيل

www.turkid.net

سلمان العودة...
من السجن... إلى التنوير

الكتاب: **سلمان العودة... من السجن... إلى التنوير**

المؤلف: **تركي الدخيل**

التصنيف: **إسلام معاصر، إعلام**

الناشر: **مدارك** إبداع، نشر، ترجمة وتعريب

الطبعة الأولى: فبراير (شباط) 2011

الطبعة الثانية: مارس (آذار) 2011

الطبعة الثالثة: مارس (آذار) 2011

الطبعة الرابعة: مايو (أيار) 2011

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9953-566-18-4

صورة الغلاف: **مي بنت تركي الدخيل**

المؤلف: www.turkid.net

تركي الدخيل

www.turkid.net

الكتاب متوفر على الإنترنت:

مكتبة نيل وفرات.

www.nwf.com

أصل هذا الكتاب رسالة علميّة نال عليها المؤلف الماجستير في الدراسات الإسلامية، بأعلى درجة تمنحها كليّة الدراسات الإسلاميّة بجامعة المقاصد في بيروت (جيّد جداً مع التنويه)، بتاريخ 22 يناير (كانون الثاني) 2011.

وتألفت لجنة المناقشة من السادة:

الأستاذ الدكتور هشام نشابة (رئيساً)

الأستاذ الدكتور رضوان السيد (مشرفاً)

الأستاذ الدكتور عارف العبد (مناقشاً)

الأستاذ الدكتور سعود المولى (مناقشاً)

Madarek مدارك

Creating, Publishing, Translating & Arabizing إبداع، نشر، ترجمة وتعريب

Tel.: 009611282075 - Fax: 009611282074

Gharios Center, Forn Elchebbak, Beirut - Lebanon

www.mdrek.com - read@mdrek.com

P. O. Box: 50074 Forn Elchebbak - Lebanon

سنتر غاريوس، الطابق الرابع، فرن الشباك، بيروت - لبنان

الإهداء

إلى التي تظلِّلني بمِزنَتها الوارفة، حتى وهي تحت الثرى...
إلى مزنة بنت محمد العطيشان، رحمها الله...
إلى أمي التي أحِنُّ إليها، وأستحضر بسمتها عند كل نجاح...
أمطر الله ترابك بالرحمات، وبلّل مرقدك بالمغفرة،
ورزقني بِرَّك...

المحتويات

الفصل الثالث:

الملاحق

المراجع

المقدمة

كنتُ قد تابعتُ دراسةً في العلوم الشرعية، استغرقت عدة سنوات، وأنا مثل سائر أبناء جيلي، عشتُ وأعيش البيئات السعودية والعربية الغاصّة بالنقاشاتِ في الموضوعات الشرعية والدينية بعامة.

لكنني في هذا العمل، ما قصدتُ إلى كتابة دراسةٍ في التقييم الديني أو الفقهي، للشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة، وبرنامجه «حجر الزاوية»، وموقعه على الإنترنت «الإسلام اليوم»، بل أكتبها باعتباري إعلامياً متابعاً للظاهرة الإسلامية، فقد قضيتُ في عملي الإعلامي ما يزيد على واحدٍ وعشرين عاماً، كانت الأعوام الثمانية الأخيرة منها، هي الأثرى، من خلال تقديمي برنامجاً حوارياً هو برنامج «إضاءات» على قناة (العربية)، اضطلع بنقاش

الجدل الدائر بين التيارات في السعودية بخاصة، والعالم العربي بعامة، وما يؤثر منه وفيه من العالم كله.

عندما فكّرتُ في موضوع أطروحتي، كان برنامج «حجر الزاوية»، الذي يُعرضُ في جرعةٍ مكثفةٍ، كل رمضان على شاشة mbc، قد أمضى خمسة أعوام، منذ بدايته في العام 2005، ولم تكن هذه السنوات، إلا تعبيراً عن نجاحٍ باهرٍ حقّقه هذا البرنامج، أهّله لأن يكون منافساً لكل برامج القناة، بما فيها برامج المنوعات ومسلسلات الدراما والكوميديا التي ينشط سوقها تلفزيونياً في شهر رمضان خصوصاً، بل إن برنامج «حجر الزاوية» تفوّق على كل هذه البرامج والمسلسلات وبزَّ معظمها، لجهة إحصاءات المشاهدة، هذا فضلاً عن الشعبية الجارفة والمتمددة، التي يتمتّع بها صاحب البرنامج، الشيخ سلمان العودة؛ كل تلك العوامل جعلت البرنامج بالنسبة لي مغرياً بالدراسة والبحث.

إن برنامج «حجر الزاوية» من البرامج التي لا تُنسى، لأنه احتكَّ مع الناس في شهر رمضان في ساعةٍ تعتبر الذروة في المتابعة. وما أن اقتنعتُ بالفكرة، حتى طرحتها على الشيخ سلمان العودة، الذي بارك المشروع، وكان له فضلٌ كبيرٌ في إتمامه، فقد أجريت معه أربعة حواراتٍ، استفدتُ منها في هذه الأطروحة، ما بين حوارٍ شفهي وآخر مكتوبٍ، وقضيتُ معه لهذه الغاية تحديداً ما يناهز العشرين ساعةً، كما خدمني بالمعلومات التي أحتاجها، دون اشتراطاتٍ أو تحفظاتٍ أو محاولة التأثير في توجه هذا الكتاب، وأنبهُ هنا، إلى أن الشيخ العودة، مع فضله، لا يتحمل مسؤولية ما في هذه السطور، بل هي مسؤولية كاتبها الفقير لله.

هناك سببٌ تاريخيٌ دفعني إلى اختيار موضوع هذه الأطروحة، ألا وهو فَوَرانُ الأسلَمة، الذي نشُطَ في المجتمع والدولة في العالم الإسلامي، على مدى ما يربو على عقودٍ ثلاثة.

كان المطّلعون والمتابعون للأحداث السياسية يقصُرون اهتمامهم بعلاقات الإسلام السياسي مع الغرب، أو علاقة الإسلام السياسي بالحكومات العربية والإسلامية، ومصائر التوتّر بين هذه الأطراف المتصارعة أو المتجاذبة، مركِّزين اهتمامهم في ذيول ظاهرة الإرهاب والتطرف الداخلي والعالمي، وعلى الأحزاب الإسلامية المعارضة، غير أن ما تبين أن تيار الأسلمة الجاري والجارف في المجتمع، هو الأكثر تأثيراً والأطول بقاء. ولئن كنا لا نزال نذكُرُ كاسيتات الإمام الخميني، وخطب الشيخ عبدالحميد كشك، وأثرها في صناعة تيار الأسلمة، رغم انقضاء أربعة عقود عليها، إلا أننا بالكاد اهتممنا بأثر العلاقة بين وسائل الإعلام الحديثة ومن يسمَّون بالدعاة الجُدد، إذ لم يتناول الدارسون هذه العلاقة كما ينبغي، ولا أخذوها مأخذ الجد، مع أن هؤلاء الدعاة الجدد، هم الذين بقوا في الساحة وأثّروا في الأذهان، مُنذ ظاهرة الشيخ محمد متولي الشعراوي التلفزيونية، وحتى ظاهرة الشيخ يوسف القرضاوي التلفزيونية المستمرة.

والحقُّ أننا نعيش في مرحلةٍ جديدة، لا علاقة لها بالشعراوي ولا بالقرضاوي، وهو دليلٌ على عمق تأثيرِ الأسلمة في المجتمعات، وأنها استفادت في ذلك من وسائل الإعلام، لتضع بصماتها أكثر مما فعله الساسة والمثقفون. وقد زاد اهتمامي بالموضوع ودخلت في تفاصيله عندما أدركتُ من برنامج «حجر الزاوية» للشيخ سلمان العودة بالذات، أن هناك نوعاً مُتطوِّراً من الحراك الفكري، داخل الطيف الإسلامي، فهذا الرجل يخوض في الموضوعات كُلها؛ التي يُعالِجُها الإسلام السياسي والتي لم يعالجها، بل والتي عالجها أصحاب البرامج الفضائية التقليدية والجديدة، والتي لم يعالجوها، مؤسِّساً لتجديدٍ فقهي في سائر الموضوعات المطروحة على الساحة. بداياته فقهيةٌ، لكن نهاياته فكريةٌ فلسفيةٌ ثقافيةٌ حضاريةٌ. عالج العودة من خلال هذا البرنامج أعقد الموضوعات بأحدث المناهج، وِفق خلفيةٍ ثقافيةٍ عميقةٍ وتجربةٍ طويلةٍ وقاسيةٍ. الأمر الذي جعل الباحثة الألمانية، أولريكه فرايتاغ، مديرة مركز الشرق الحديث في جامعة برلين الحُرّة، تتحدث عنه، قائلة:

«سلمان العودة أصبح الآن الشخص الذي يمثّل الصوت العقلاني الحديث في السعودية، وهناك الكثير من المؤشرات تؤيد ذلك، فهو يتبنى موقف الاعتدال والتوافق، وينتقد الوضع الراهن للمجتمع السعودي، المتمثل في التمسك بالعادات والتقاليد، والانتقاص من حق المرأة والنظرة الدونية لها، ويطالب بمنح الشريحة النسائية في المجتمع الحقوق التي يعطيها إياها الدين الإسلامي»[1].

لتلك المُسوِّغات وضعتُ ثلاثة أهداف نصب عيني، وأنا أهِمُّ بكتابة وتدوين الأطروحة، أولها: مراقبة عملية الأسلمة الجارية في المجتمع والثقافة، على الخصوص، عبر عيّنة برنامج «حجر الزاوية»، بكل شعبيته وجديته. وثانيها: حدود التجديد والتقليد، فقد تساءل البعضُ عن سرِّ هذا الخيط الذي جمع بين الجماهيرية والطرح النخبوي الجادّ. هذه من معادلات برنامج «حجر الزاوية» الفريدة، وذلك بسبب توفّر البرنامج على شروط النجاح الإعلامي،

1 - من حوار نشرته جريدة (الحياة)، الثلاثاء 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2010.

وفق مقتضيات العصر والزمن الذي انطلق فيه، وتطوّر مراراً على مرّ السنين. كما أن الشيخ العودة يمارس تجديده الفقهي، دون تخوُّفٍ من أن تُفقِدَهُ الصراحة في الطرح ونقد التقاليد والعادات، شعبيته الجارفة.

لقد اختار العودة بمنهجه الجديد الانحياز إلى جمهور المسلمين، على جمهور الإسلاميين، فكسب شريحة عريضة من الفريق الأول، ولم يفقد كثيراً من الفريق الثاني.

وثالث الأهداف أن أدرسَ ظاهرة «حجر الزاوية» من جهتين، الأولى: من حيث علاقتها بالمجتمع، والثانية: من حيث علاقة البرنامج بوسائل الإعلام، مُهيئاً للدخول في أجواء العمل بتمهيدٍ يَقْرأ فكر وتحوّلات الشيخ بموضوعيةٍ، وبعيداً عن العاطفة والمواقف المسبقة.

لم يَعُد الإسلام المعاصر كُله سياسياً، فهناك رموزٌ إسلاميةٌ تطرح فكراً متسامحاً ومدنياً. وهدف الأطروحة ليس شرعياً ولا دينياً، بل هي دراسة إعلامية وفكرية، لم أُغرق كثيراً في المذاهب والخلافات الفقهية، بل خصّصتُ الرسالة لدرس الجانب الفكري والإعلامي منطلقاً من تخصّصي، وقد أمرُّ على الأمور الدينية أو الفقهية والشرعية عرَضاً. وبعد أن حزمتُ أمري عملتُ على هذه الأطروحة وفق خُطواتٍ أُلخِّصها بالآتي:

أ - تناول تفريغ حلقات برنامج «حجر الزاوية» خلال خمس سنوات، وقراءتها، وتصنيفها، وطباعتها على الورق، ليسهل عليّ تداول النص، والشرح عليه، والعمل من خلاله. واستشهدتُ بنصوص البرنامج كما هي، بلغتها الشفاهية المنطوقة، إذ لا يخفى على القارئ الفرق بين المنطوق والمكتوب، ورأيتُ إبقاء نصوص البرنامج على شفهيتها، عند استشهاداتي بأقوال العودة، حتى لا أُغيِّر في كلامه، إلا ما لا يستقيم معناه بغير تعديل.

ب - أجريتُ حواراتٍ متعددةً حول موضوع الرسالة، منها أربعة حواراتٍ مع الشيخ سلمان العودة، وحوار مع مذيع البرنامج الأستاذ فهد السعوي، وحواراتٍ مع بعض الدعاة الجدد، مثل: الدكتور عائض القرني، والشيخ علي الجفري، والدكتور محمد العريفي، والأستاذ أحمد الشقيري، والدكتور علي بن حمزة العمري. ثم أجريتُ حواراً حول البرنامج ومقارنته مع برامج إسلاميةٍ تلفزيونيةٍ قديمةٍ ومعاصرةٍ، مع الدكتور عبدالله الغذّامي، الناقد الأدبي المعروف.

ج - قسّمتُ الكتاب إلى تمهيدٍ، وفصولٍ ثلاثة؛ الأول: خصّصته للحديث عن الشيخ سلمان العودة وجدل التحوُّل. والفصل الثاني: جعلته لدرس أبرز الموضوعات المطروحة قراءةً وتحليلاً. والفصل الثالث: حول برنامج «حجر الزاوية» من حيث الشكل والإدارة والتأثير الشعبي.

وفي ختام هذه المقدّمة يجبُ عليّ أن أشكر أستاذي الدكتور رضوان السيد، المشرف على أطروحتي، والذي منحني الوقت والجهد وأصغى إليّ، وتحمّلني خلال مدة البحث، ووجّهني، وسدّدني، وكان عوناً لي على إتمام هذه الأطروحة.

آمل أن أكون قد وُفِّقتُ في هذا الجهد، والله تعالى أعلم.

تركي الدخيل

www.turkid.net

أبوظبي

12 أكتوبر (تشرين الأول) 2010

التمهيد

التوظيف الثوري لسحر الصورة ووسائل الإعلام

ارتبطت «الصورة» بتاريخ الإنسان، وساهمت في صقل خياله من أجل رؤية الوجود والعالم والمحيط، بطرائق متعددة ومتنوعة. لم تكن الصورة حبيسة شكل واحد، وإنما كانت تعبّر بشكل واضح عن مبدأ الصيرورة الذي ولّدته فلسفة هيراقليطس[2]، حيث كتب

2 - ولد هيراقليطس في مدينة أفسس بآسيا الصغرى، ولكن سرعان ما ترك هذه المدينة إلى قرية قريبة من معبد أرطاميس، تاركاً الناس ليختلي بنفسه ويتوفر على التأمل والتفكير، وقد احتقر عامة الناس وعاداتهم، وأظهر كراهية شديدة نحو هوميروس وهزيود، لأنهما نشرا الأساطير والأباطيل بين الناس، كما احتقر فلسفة فيثاغورس واكسانوفان، وذلك لاهتمامهم بالعلم الجزئي عديم الأهمية في نظره وإهمالهم المعاني الكلية التي تمثل العلم الحقيقي. يعتبر هيراقليطس أول مفكر يوناني قال بنظرية اللوغوس، ويقصد هيراقليطس بذلك قانوناً كلياً يدبر العالم وجوهراً ينْبثُ في أجزاء الكون المتغيرة. وتعتبر شذرات هيراقليطس أقدم نصوص فلسفية يُعبِّر فيها لأول مرة في تاريخ الفكر اليوناني القديم عن اللوغوس، مُبيناً أن لوغوس العالم أو اللوغوس الكلي، هو المبدأ العاقل في الوجود، وهو قانون التغير. وقد عرف هيراقليطس اللوغوس الكلي عن طريق الإلهام لا السمع، لأنه كان كاهناً في معبد أرطاميس، وكان شائعاً لدى اليونانيين أن الكهنة يتصلون بالآلهة، ويعرفون الحاضر والمستقبل عن طريق ما يوحون به إليهم. وقد قال بأن اللوغوس هو الحقيقة والجوهر الواحد للعالم المحسوس المتغير. انظر: ثيوكاريس كيسيدس، هيراقليطس، مطبوعات دار الفارابي، 2001.

في شذراته: «لا تجري المياهُ في النهر مرتين»، الصورة لديها ذات الخاصية، إذ لا يمكن أن نصوّر نفس الصورة بنفس الزمن مرتين. ثم تطوّرت الصورة وتقنياتها تبعاً لتقدم خيال الإنسان نفسه، كما لم تكن الصورة حبيسة التقنية، وإنما غدت اللغة ذاتها ميداناً للتصوير بالحروف، عبر النصوص الإبداعية. من جهةٍ أخرى فإن تاريخ الصورة متّصل بتاريخ الإنسان، منذ الإغريق والبيزنطيين والرومان والعصور الوسطى، وحتى هذا عصرنا هذا.

أما علاقة الصورة في الثقافة العربية، فإنها لم تكن علاقة منهجية متطورة، «نظراً لهيمنة اللغوي على البصري في حقل الثقافة العربية المعاصرة، وللتعقد المنهجي الذي تفترضه مقاربات الصورة بمختلف أنواعها وأنماطها»[3]. ولعل التصعيد العقائدي والديني ضد فعل التصوير في المدونات الإسلامية قد ساهم في رسم مسار اجتماعي حذر تجاه تطوير العلاقة البشرية مع الخيال التصويري اليدوي، واستبداله التصوير الشعري البياني، الذي أبدع فيه الشعراء العرب، بالصورة البيانية والتصوير اللساني. فاللغة وسيط للتصوير عبر الحروف. لهذا ساد التوتر بين الثقافة العربية وبين الصورة، بوصفها المجال لحركة الخلق والفن والابتكار. لم يكن الموقف الفقهي المُحرِّم للصورة وليد

3 - دوبريه، ريجيس، حياة الصور وموتها، ترجمه وقدم له فريد الزاهي (مطبوعات دار إفريقيا الشرق، 2002)، ص6.

العدم، بل تكوّن عبر مجتمع يكفُر بالجديد غالباً، ويعتبره ضرباً من السحر والحرام، بل كانت الفئات الاجتماعية تهرب من حرج استخدام عبارة التصوير وتستخدم بشكل ملتوٍ عبارة «العكس» بديلاً للصورة[4].

لكل شيء صورته، والصورة «سوق»، وبقدر ما يكون الإعلان محتفظاً بصورة جيدة، وبقدر ما يكون الإلحاح والتكرار عبر البث المتكرر للمنتج، تكتسب الماركة صلابتها وهيمنتها على حركة الإنسان. لقد باتت الصورة هي وسيلة الإلحاح عبر الإعلان، وفي عصر العولمة حيث يتمّ تسويق كل شيء، حضرت الصورة في كل شيء، فـ «نحن في عصر الصورة وما زلنا فيه، بدليل هذا الحضور الجارف للصورة، في جميع جوانب الحياة، وعندما ننظر حولنا نجد أن الصورة موجودة في كل شيء: في التربية والتعليم، في وسائل الإعلام، في التسويق، في النشرات الإخبارية، التي يتابعها الناس ليلاً ونهاراً، في وسائل الترفيه... كل هذه الأمور تدل على الهيمنة والحضور الطاغي للصورة في حياة الإنسان»[5].

4 - للاستزادة انظر: الغذامي، عبدالله، الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2004).

5 - د. شاكر عبد الحميد، من حوار له نشر في صحيفة (الوسط) البحرينية، بتاريخ 12 فبراير (شباط) 2009.

حتى «الشاشة» تمّت عولمتها، حيث يشاهد الإنسان قناته الفضائية عبر جوّاله، وفي سيارته، وفي مكتبه، وبإمكانه مشاهدة الكثير من القنوات، على مواقع شبكة المعلوماتية العالمية «الإنترنت»، ويمكننا أن نتفق مع إريك ميغريه[6] الذي رأى أنه: «لا يبدو الأمر مُحالاً إذا دافعنا عن فكرة كون التلفاز -بدلاً من اعتباره ملحقاً خجولاً بثقافتنا المعاصرة- قد أصبح أحد أعمدتها الأساسية. وسيلة إعلام مصفّحة، وفقاً لصيغة جون فيسك وجون هارتلاي»[7].

وإذا قرأنا الصورة بوصفها تدخل ضمن مجالات البحث الاجتماعي في بعض جوانبها، فإن تخلف البحث في تفاصيل المواقف الاجتماعية والسوسيولوجية يأتي ضمن فقر عربي في مجال الدراسات الاجتماعية. من جهةٍ أخرى ربما يكون غموض المراحل المفصلة الباحثة عن الأسباب الاجتماعية يعود إلى «فعل المقاومة اللاواعي تجاه العولمة أو الانحشار المتسرع في آلياتها»[8].

---

6 - إريك مغريه، أستاذ علم اجتماع وسائل الإعلام في جامعة باريس، السوربون الجديدة، وهو باحثٌ في المركز الوطني للبحوث العلمية (CNRS)، ومدرسٌ في معهد العلوم السياسية في باريس.

7 - مغريه، إريك، سوسيولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام، ترجمه موريس شربل (بيروت: مطبوعات جروس برس، الطبعة الأولى، 2009)، ص 231.

8 - دوبريه، ريجيس، حياة الصور وموتها، ترجمه وقدم له فريد الزاهي، مرجع سابق، ص6.

لم تكن معارضة وسائل الإعلام ظاهرةً عربيةً أو إسلاميةً، بل كانت ظاهرةً عالميةً، لما حملته الشحنة البصرية من استفزازٍ للعادات والأدوات المألوفة. بقيت النظرة السوسيولوجية تجاه وسائل الإعلام قائمةً على مركزيةٍ سلبيةٍ، لأن الصورة مرتبطةٌ بالزمن فَتُربك كلَّ الذين يشعرون بالحنين إلى الماضي وعشق القديم. لكن الذي مكّن الوسائل الإعلامية والصحافة بالذات، من الظهور بشكل قوي في القرن الثامن عشر، هي القوى الثورية في الولايات المتحدة الأميركية عام 1776، والفرنسية عام 1789، الأمر الذي أدى إلى إقامة صِلة تفاؤلية بالإعلام.

تطوّرت علاقة الإعلام بالأفكار الثورية، ترويجاً وتسويقاً، وهو ما جعلها تندمج في صناعة الأيديولوجيا ذاتها، عبر تكرار الأفكار وشحذها، وبثها. ذلك التكرار، هو الشرارة التي جعلت من الفيلسوف الفرنسي ريجيس دوبريه، ينحت مصطلحه الأهم في علم الإعلام وهو «الميديولوجيا». لم تكن الصحافة الورقية وحدها التي تم توظيفها ثورياً، بل دخل المذياع والتلفزيون ليكون صديق الثوار.

نقرأ استغلال الثوار للوسائل الإعلامية، في توظيف «المذياع». لكنّ الوسائل الإعلامية قابلة للتوظيف طبعاً باتجاهات مختلفة،

فقد كان هتلر ووزير إعلامه غوبلز بين أوائل من استغلوا المذياع في الدعاية لأفكارهم وبرامجهم، وحشد الجمهور من حولها، وبخاصة النساء[9].

نستخلص مما مضى أن الإعلام بكل تجلياته عبر التاريخ، منذ العصر الإغريقي إلى عصر الحداثة البعدية، بقي مُوّظفاً، حتى في هذا العصر، عصر ثورة الرأسمالية، وتجددها، نعثر على إعلام الإعلان. كان سحر الإعلام أقوى من أن يقاوم، كان صديق ستالين، وصدام حسين، وجورج بوش، وأسامة بن لادن، صار منبراً لكل من لا منبر له، بل غدا هو منبر المنابر.

بعد أحداث 11 سبتمبر أصدر الفيلسوف الفرنسي «جاك دريدا»، كتاباً بعنوان «ما الذي حدث في 11 سبتمبر»، كان يتحدث عن «تكرار الصورة»، التي تمكّن الإعلام من ضخّها، كان الجانب البصري في الحدث هو الأقوى والأعنف، كان لهويّ الأبراج وانهيارها من أعلاها إلى أسفلها، وقع الصاعقة على من شاهد الصورة، وكلما اقترب الإنسان من الصورة كان الحدث أقوى والوقع أعنف. لهذا تكون الصورة أحياناً جزءًا من

9 - مغريه، إريك، سوسيولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام، ترجمه موريس شربل، مرجع سابق، ص78-79.

صناعة الحدث[10]. بقي الإعلام فضاءً يحمل على طرف جناحه، كل التيارات والتوجهات والأفكار والأهداف، يحملها مهما كان مستوى الطرح، واختلاف الأهداف.

كان للثورة الإيرانية 1979، أكبر الأثر على تفريغ الثورات وتفريخها، وامتدّ التأثير للفضاء السُنّي، وساهمت الثورة في تنشيط خلايا حركات الإسلام السياسي. لقد كانت الثورة الإيرانية هي العقدة المنسِّية في مخيال الجماعات السُنِّية، واستخدم الخميني «الكاسيت» بوصفه إعلاماً يوصل من خلاله من منفاه في باريس ما يريد إيصاله للمواطن الإيراني. بقيت الحركات الإسلامية السُنِّية، تدور في كثير من فضاءاتها وفق البرمجة الثورية الإيرانية، على الرغم من التنافي الأيديولوجي والعقدي، في جذور الأفكار. صحيح أن الثورة الإيرانية تأثرت كثيراً بأطروحات أبي الأعلى المودودي، والإخوان المسلمين بعامة، ما جعل مرشدها الأعلى السيد علي خامنئي يترجم كتاب سيد قطب «المستقبل لهذا الدين» من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية في العام 1966، أي قبل قيام الثورة الإيرانية بـ 13 عاماً، كما أن عدداً من المفكرين الشيعة تأثروا بالمصلحين السنّة، إلا أن الخميني كان ملهماً ولو في اللاوعي عبر استخدامه «الكاسيت». كانت الثورة الإيرانية هي المُلهمة

10 - دريدا، جاك، ما الذي حدث في 11 سبتمبر، ترجمته صفاء فتحي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003).

للإسلاميين، بل وللثوريين بعامةٍ. بطش سحرها بأسماء علمانيةٍ كبيرةٍ في العالم العربي وفي أوروبا. أدونيس في كتابه «الثابت والمتحول»، سطّر غزلاً شعرياً وفكرياً بالثورة الإيرانية، التي رأى أنها ستكون نقلةً وفاتحةً لتغييرات أخرى قادمة في المنطقة[11].

أما ميشيل فوكو، أحد أبرز فلاسفة ما بعد الحداثة، فقد كتب مقالةً بعنوان «بماذا يحلم الإيرانيون؟»[12]، جاء فيها: «لا أشعر بالارتياح وأنا أتكلم عن حكومة إسلامية سواء كفكرة، أو مثال. لكنها أثّرت بي كشكلٍ من أشكال «الإرادة السياسية». لقد أثّرت بي في جهدها نحو تسييس البُنى الاجتماعية والدينية في مواجهة المشاكل الراهنة. لقد أثّرت بي في محاولتها لفتح بُعدٍ روحيٍ للسياسة. على المدى القصير تُثِير هذه الإرادة السياسية سؤالين: هل لهذه الإرادة السياسية ما يكفي من الكثافة، وما يكفي من التصميم لتمنع حلاً ينفذ من خلال رئيس الوزراء السابق «علي أميني»، وهو الحل الذي يدعمه (أو يعرقله، إذا شئت) كونه مقبولاً من الشاه، ومستحسناً من القوى الغربية، وكونه يهدف إلى نظام برلماني غربي، وأنه سيمنح بلا شك أفضلية وامتيازاً للدين الإسلامي؟ هل لهذه الإرادة السياسية جذورٌ عميقةٌ بما يكفي

11 - أدونيس (علي أحمد سعيد)، الثابت والمتحوّل: بحث في الإبداع والاتبّاع عند العرب، (بيروت: دار الساقي للطباعة والنشر، 2002).
12 - نشر في مجلة أويزرفاتور Le Nouvel Observateur عدد 16 – 22/ 1978.

لتصبح عاملاً فاعلاً دائماً في الحياة السياسية الإيرانية، أم أنها ستنقشع كغيمة عندما تصحو سماء الواقعية السياسية، حينما نبدأ بالحديث عن البرامج، الأحزاب، الدستور، الخطط... وما إلى ذلك؟ لكن أن يُعلّق السياسيون بأن الإجابة على هذين السؤالين تحدد كثيراً من تكتيكاتهم اليوم. ومع التقدير للإرادة السياسية، إلا أن لديّ سؤالين آخرين، يثيران قلقي على نحو أعمق. أولهما يتجه إلى إيران وإلى قدرها الغريب. ففي فجر التاريخ، اخترع الفرس مفهوم الدولة، ومنحوا نموذجها للإسلام، فصار إداريوها موظفين عند الخليفة. لكن من هذا الإسلام نفسه، اشتقوا مذهباً أعطاهم مصادر لا تنتهي لمقاومة استبداد الدولة. فهل يمكن للمرء أن يعثر في هذه الإرادة الراغبة بـ «حكومة إسلامية» على مصالحةٍ، على تناقضٍ، أم على عتبة شيء جديد؟».

مع تجدّد الأساليب الإعلامية، تجددت المواقف الإسلامية من الإعلام ذاته، وهو ما سنعرض له لاحقاً، لكن الأكيد أنّ وسائل الإعلام سحرت الاتجاهات الإسلامية الإحيائية السُنّية، التي بدأت تؤسس لمفهوم «الأسلمة»[13]. وفق باتريك هاني[14]، فإن

13 - وهو مفهوم يقصد منه إدخال تلوينات إسلامية على بعض المجالات العلمية، مثل علم الاجتماع، أو علم النفس، أو البرامج الفضائيةً، أو الدراما.

14 - باتريك هاني، من مواليد 1968، حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، بأطروحة حول «الشباب والسياسة في إمبابة»، والتي حازت جائزة أفضل رسالة جامعية بالفرنسية عن العالم الإسلامي في 2001، وهو يعمل حالياً خبيراً سياسياً بالمجموعة الدولية لإدارة الأزمات. وله قبل هذا كتاب «عالم الفُتُوّات». واشترك مع أوليفيه روا، في تأليف كتاب: «ما بعد الإسلام السياسي» سنة 1998. ومن مؤلفاته «إسلام السوق».

جزءًا من توجه الأسلمة، أخذ جانباً اقتصادياً، يقول: «يعود تأكيد هذا التوجه الاقتصادي إلى النصف الثاني من عقد التسعينيات، بعد أن ظهر جلياً أن الإسلاميين لن يُسيطروا حينها على السلطة في مصر، فقد حُلّت الجماعات المسلحة بصرامة، وتم أثناء ذلك إجبار الإسلاميين «القابلين للإندماج» على الانضباط كجماعة الإخوان المسلمين، في حين أُعيد احتواء النقابات المهنية، معقل التوجه الإسلامي النضالي، بقوة داخل السلطة. وفي خضم هذا الحراك، ترسبت الشكوك شيئاً فشيئاً في أهداف جماعة الإخوان المسلمين، وخطاباتها التي وُصِفت بالهَرِمة، واتُهمت بكونها «تعيش في عالمٍ آخر». إلا أن ذلك لم يُترجم بالتخلي عن الانتماء للجماعة، بل يجري التحول على بساطٍ مخملي إلى السوق الاقتصادي لمن يُوصفون بالمرتدين والخونة، وفي المحصلة لم تكن هناك انشقاقاتٌ صاخبةٌ، بل تحوّل في الروابط مع (الإخوان) حيث بدأ التوجه الاقتصادي يفرض وجوده فيها. في هذا الإطار، تظهر سمات الرابح المتدين، فهو النافذ اقتصادياً، والمُتحرر من الالتزامات السياسية، والذي يعلي من قيم الغنى والإنجاز... لقد بدأ فضاء ديني جديد في التشكل، رافقته إدانات أخلاقية بالتربح»[15].

15 – الدعاة الجدد (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، مايو (أيار) 2008)، ص13-14.

كما برز مفهوم «الإعلام البديل» لدى الإسلاميين، بوصفه جزءًا من أداة الأسلمة، لتكون المبرر الرئيسي لدخول مجال الإعلام، الذي بقي مثار نفي من قبل التنظير الديني. لقد كان الموقف الفقهي الديني، والإسلامي الحركي، دائماً، في حالة توتر مع الإعلام وعلى الأخص إعلام المخالفين لهم في التوجه السياسي، أو المذهب الطائفي. الكاتب الإسلامي جمال سلطان يكتب في أسلمة الإعلام قائلاً: «ولم يبدأ الإسلاميون في الانتباه إلى الصحافة كعلم وفن وسلطة حقيقية في المجتمع المعاصر إلاّ مؤخراً، وبما لا يزيد على عقدين من الزمان، وفي مصر على سبيل المثال، ولها سبق كبير في مجال الصحافة تاريخياً، عندما تبحث في كشوف أعضاء نقابة الصحافيين من المنتسبين إلى التيار الإسلامي، ستجد أن متوسط أعمارهم يدور حول سن الثلاثين، قبلها بقليل أو بعدها بقليل، ونادراً ما تجد منهم من هو أكبر من ذلك سناً، وأنا على ثقة من أن نفس الملاحظة سيجدها الباحث في البلدان العربية الأخرى، وهذا ما يؤكد حداثة عهد الإسلاميين بالصحافة، فضلاً عن المنابر الإعلامية الأخرى، وهذا ما عكس نفسه على طريقة تعاطي الإسلاميين مع الصحافة، والإعلام المعاصر، وبالتالي خسر الإسلاميون كثيراً من المعارك السابقة بسبب إهمالهم لهذه «السُّلطة» الجبّارة، والنظر إليها باستخفاف، بل كان بعضهم يملؤه تصور ساذجٌ بأن الصحافة إنما هي نافذة

للماسونية العالمية، وما أشبه ذلك من الخرافات. والمثير للدهشة أن الشباب الجديد من الإسلاميين، عندما اندفعوا بقوة إلى العمل الصحفي، نجدهم قد تميزوا وبرعوا وتفوّقوا كثيراً، بل إن معظم المعارك الصحفية المهمة، والقضايا الملتهبة التي تجتذب الرأي العام العربي الآن، إنما قام أو يقوم بها صحفيون إسلاميون، وهذا مما يدلنا على حجم الطاقات المغيبة، أو التي غُيّبت وأُهدرت على مدار السنين، وهذا أيضاً ما يعطينا مؤشراً إيجابياً على أن الفرصة ما زالت مواتية للمواهب الإسلامية في مجال الإعلام المعاصر، لكي تتبوّأ مكانها الذي يليق بها»[16].

يتحدث الشيخ سلمان العودة[17] عن الأسلمة، بوصفها المجال الحاضن لأشكال التقدم نحو الطرح الإسلامي، فيقول: «ما دام إحنا تكلمنا وأعطيت صورة، وقد تكون سيئة وقاتمة، على أوضاع العالم الإسلامي يجب أن ندرك أنه مهما كان فالأمة فيها بقية من خير، وبقية من قوة، وبقية من إرادة. على سبيل المثال: التململ، والحرقة، والتطلع إلى التغيير؛ هذا تجده عند كثير من الشباب، بغض النظر عن أنهم قد لا يملكون آلية أو برنامج، لكنهم عندهم قلوب تتحرك على واقع الأمة. وأعتقد أن هذه المادة لو

16 - مقالة كتبها في موقع «الإسلام اليوم» بعنوان «الإسلاميون والإعلام»، نشرت بتاريخ 16 مايو (أيار) 2008.
17 - أنظر ترجمته، ص45.

أُحسن توظيفها واستخدامها بشكل طيب أنها ستقدم خدمة جليلة. المشاريع الإصلاحية أيضاً الموجودة في الأمة، هناك مشاريع إصلاحية، مشاريع تربوية، دعوية، اقتصادية، إعلامية، وهي مشاريع قائمة وجيدة. على سبيل المثال الاقتصاد الإسلامي الآن تجربة جيدة، الإعلام الإسلامي تجربة وليدة، لكن فيه أشياء واعدة. إذاً، هناك مشاريع على مستوى الأمة، تدل على وجود نوع من الحيوية والرغبة في تجاوز الأزمة»[18].

بقيت الأسلمة هي الأرضية التي احتضنت ولادة مصطلح الإعلام الإسلامي البديل، أو البدائل الإسلامية، حيث انفجرت الفضائيات الإسلامية في كل اتجاه. مع قناة (إقرأ) كانت البداية عام 1998، حيث شكّلت أول قناة متخصصة في البرامج الدينية. بعد فترة يسيرة من التنظير للثورة الإعلامية بدأ الإسلاميون يشقون طريقهم، نحو التمركز فضائياً عبر القنوات.

لا يمكننا في تمهيد هذه الأطروحة، إلا أن نعود مراراً إلى الباحث السويسري، باتريك هاني، المهتم بظاهرة الصحوة والصعود الإسلامي، وعلى الأخص في كتابه[19] «إسلام السوق:

---

18 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الدعاء»، بث في 13 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.
19 - صدر هذا الكتاب عن دار النشر الفرنسية «لوسوي» 2005 ضمن سلسلة جمهورية الأفكار.

الثورة المحافظة الأُخرى»[20]، فهو يتجاوز في طرحه هذا مفهوم «الأسلمة»، و«الإعلام البديل»، ويدخل إلى مفاهيم أخرى أشد راهنية، ويُطلِقُ عليها اسم «الدعاة الجدد»، ويشير إلى البُعد الاجتماعي لهذه الظاهرة، مؤكداً عبر تحليلاته أنها تُشكّل حالة تحوّر داخل مفهوم الأسلمة، الذي أنتج ظاهرة الدعاة الجدد؛ وهي «ثورةٌ محافظةٌ أُخرى»، إذ «تتجاوز كثيراً من أسوار الإسلام السياسي، وتُشكل دليلاً قوياً على تجاوزه أو الدخول في مرحلة ما بعده... وهي مظاهر دينية خارجة عن الأنساق والتشكلات المعهودة للفكرة الإسلامية، والدعوية، التي يبدو أنها استنفدت طاقتها وعوامل جاذبيتها بشكلٍ كبيرٍ، ليظهر خطابٌ دينيٌّ لا يصح وصفه سوى بالجديد. وهذه الحداثة أو الجدة، التي تأتي في مضامينه وأشكاله، إنما تأتي متماشيةً مع ثقافة جديدةٍ وتحدياتٍ جديدةٍ، تفرضها ما يسمى العولمة وثقافتها»[21].

لم يتطرق سلمان العودة، في برنامجه الممتد منذ 2005 وحتى 2009، إلى استخدام عبارة «الإعلام الجديد»، بينما تطرق إلى الأسلمة في جانبها الإعلامي والاقتصادي، ربما كان العودة يُحاول أن يخط منهجاً إعلامياً جديداً يتسق مع ظاهرة «الدعاة الجدد»، لكن من حيث الشكل لا المضمون، ذلك أننا سنقرأ خلال

20 - انظر قراءة فرج نعيم لهذا الكتاب في: الدعاة الجدد، مرجع سابق، ص227.

21 - الدعاة الجدد، مرجع سابق، ص228.

الفصول القادمة من هذه الأطروحة، كيف أن برنامج «حجر الزاوية»، لم يكن ضمن خارطة البرامج الأخرى، بل تعدد ليعالج المفاهيم الإسلامية المتنوعة، وهو لم يضع ضمن أجندته الجانب الوعظي، كما أن الإفتاء الفقهي بالمعنى التقليدي، كان ينحصر في بعض المداخلات. في حين ركّز سلمان العودة على التأصيل للكثير من المفاهيم الإسلامية وعلاقاتها، واستخداماتها.

إن الخط الجديد الذي انتهجه سلمان العودة في برنامجه، هو ما جذبنا إلى اختياره موضوعاً للأطروحة، كانت آثار برنامجه تنعكس على الحالة الاجتماعية والسياسية[22] والإخبارية والفقهية. إن الفضاء الإعلامي العربي حالياً يشهد «ثورة الثورات»، ولعل الثورة الحديثة التي شهدها الإعلام العربي ساهمت في توسيع مجالات القنوات نوعاً وكماً وكيفاً، ويمكن اعتبار نموّ وظهور «البرامج الدينية»، مواكباً لثورة الإعلام الجديد، فقد أخذت إرادة الفوز ببرنامج من البرامج طابع التنافس لصيد المشاهد والحفاظ عليه، فحدث التنافس المحموم بين البرامج الدينية في القنوات الدينية من جهة، وبين البرامج الدينية في قنوات المنوّعات من جهة ثانية.

22 - وجه سلمان العودة رسالة إلى أسامة بن لادن، في الذكرى السادسة لأحداث 11 سبتمبر، في 15 سبتمبر (أيلول) 2007، وتحولت رسالته في برنامج «حجر الزاوية»، إلى مادةٍ إخباريةٍ أساسيةٍ، في وسائل إعلام عربية.

شكّل سلمان العودة الأنموذج الأبرز لظاهرة تحولات الرموز الدينية[23]، وعلى الرغم من وضوح التحول في فِكرِهِ، إلا أن ما يعتبره البعض خلفيةً حركيةً للرجل، لم يمنعه من استخدام مفهوم «التطور»، لدى حديثه عن المراجعات[24]. ولكن الذي حدث هو أن العودة انقلبَ من يمين الرموز الإسلامية في مطلع التسعينيات، إلى وسطها أو ربما يسارها في نهاية العقد الأول من القرن الميلادي الجديد، من تبنيه لخطاب المعارضة السياسية والتشدد الديني، إلى اعتناقه لخطابٍ أكثر نعومةً وتسامحاً. وربما كان أوضح مواقفه الصارخة المعبرة عن تحوله، مقالته التي كتبها تحت عنوان «الإسلام والحركات»[25]، تلك المقالة التي اعتبرها بعض الراصدين، بمثابة حجرٍ ضخم، ألقي في بحيرة الحركات الإسلامية الراكدة، فتسبّب في خضّاتٍ وتموجاتٍ، وتوالت ردود الفعل الغاضبة عليه من قبل الإسلاميين، والـمُرَحبة به من التيارات الأخرى. كان الموضوع الرئيسي لذلك المقال، أن الإسلام ليس هو الحركات الإسلامية.

---

23 - قارن ببحث «مراجعات سلمان العودة» ضمن كتاب: مراجعات الإسلاميين- الجزء الأول (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ديسمبر (كانون الأول) 2009)، ص65 إلى 85.

24 - عن تطورات علاقة العودة وزملائه بالسلطات، قارن بترجمته وسيرته، ص45 وما بعدها.

25 - نشر المقال في موقع «الإسلام اليوم»، بتاريخ 11 أبريل (نيسان) 2009.

ويبدو أن مرحلة السجن، صنعت من سلمان العودة شخصاً آخر، ساهمت في صقل أطروحاته، ومكّنته من صناعة معايير فقهيةٍ وفكريةٍ أُخرى، ربما تكون هي الأكثر جديةً واستنارةً من بين الطروحات الدينية. مر العودة بمراحل في طرحه الفكري، امتازت بالحِدّة في بداياتها، وبالنعومة والنقد غير المباشر بعد مرحلة السجن، وهي المرحلة التي يمثلها بوضوح ما يطرحه في برنامجه «حجر الزاوية»، لكنه لا يزال رمزاً مهماً، تتجدد شرائح جماهيره وتتزايد، ولا يزال برنامجه موضع متابعةٍ، ويتصدر الإحصائيات من بين أكثر البرامج رواجاً وتأثيراً في المَنطقة، متجاوزاً منافسة البرامج الدينية، إلى التفوق على برامج المنوعات أيضاً.

إنّ هذه الدراسة لن تتناول هذه المسألة تحديداً، ولكنها ستحاول دراسة أبرز برنامجٍ ديني، يُطرح على قناة منوّعاتٍ بامتيازٍ؛ إنه برنامج «حجر الزاوية»، في mbc، في الفترة من 2005 وحتى 2009. وتناولُ برنامجٍ ديني محددٍ بدراسةٍ أكاديميةٍ، يتطلب قراءةً خاصةً به، فنحن لا ندرسُ البرنامجَ من ناحيةِ الصوابِ والخطأ، وإنما التأثير الذي أحدثه «حجر الزاوية»، من خلال الموضوعات التي طرحها، عبر الفصول الآتية.

الفصل الأول

سلمان العودة
وجدل السجن والتحول

أ - البيئة... وبساطة القرية

وُلدَ سلمان بن فهد العودة، في ديسمبر (كانون الأول)، من العام 1956، في السعودية، حاصل على ماجستير في السُنّة النبوية، في موضوع الغربة وأحكامها، ودكتوراه في السُّنة، في شرح كتاب الطهارة، من بلوغ المرام، وكان من أبرز الذين يطلق عليهم لقب «مشايخ الصحوة» في الثمانينيات والتسعينيات. نشأ في مسقط رأسه في «البصر»، وهي إحدى القرى، في الضواحي الغربية لمدينة بريدة، بمنطقة القصيم، ثم انتقل إلى الدراسة في بريدة، والتحق بالمعهد العلمي فيها، حيث قضى فيه ست سنوات دراسية. تتلمذ على العديد من الفقهاء، مثل: عبد العزيز بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين، وعبد الله بن جبرين، وصالح البليهي[26]. تخرج من كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم، ثم صار مدرساً في المعهد العلمي في بريدة لفترة من الزمن، ثم معيداً في الكلية ثم

---

26 - الشيخ صالح بن ابراهيم بن محمد بن مانع بن محمد بن عبد الله البليهي، من الوداعين نسبة إلى بطن من الدواسر. ولد عام 1331هـ في مدينة الشماسية. في عام 1338هـ انتقلت الاسرة إلى بريدة، وقرأ القرآن الكريم في مدرسة أهلية، ومن ثم اشتغل مع والده في التجارة ثم الزراعة. ثم بعد ذلك تفرّغ لطلب العلم. أخذ الشيخ العلم من كبار علماء بريدة أمثال: علامة القصيم عمر بن سليم، ولازمه ملازمة تامة، والشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد رئيس الحرمين الشريفين، والشيخ عبد العزيز العبادي، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي، والشيخ محمد بن صالح المطوع. عرض عليه القضاء لكنه رفض ذلك، وعين مدرساً بالمعهد العلمي ببريدة عام 1373هـ، وفي عام 1384هـ عين إماماً في مسجد الوزان، ودرّس العلوم الشرعية مثل الفقه والحديث والتفسير والفرائض وغيرها، وحين تأسست كلية الشريعة بالقصيم طلب منه تدريس مادة الفقه، و ن أهم المؤسسين للجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وجمعية البر الخيرية ببريدة.

محاضراً، وعمل أستاذاً في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم لبضع سنوات، قبل أن يُعفى من مهامه التدريسية في جامعة الإمام محمد بن سعود وذلك في 2 أكتوبر (تشرين الأول) 1993، لأسباب نظاميةٍ، بعد أن تطرق في محاضراته سواء بالجامعة أو خارجها، لأمور سياسية مُشكلة، فتمّ إيقافه على أثرها، وحبسُهُ فترة من الزمن في سجن الحائر بمدينة الرياض[27].

تميز منذ صغره بالنزوع للتديُّن الشديد متأثراً ببيئته[28]، فهو لا يُخفي تأثير محيطه الأول على أفكاره واتجاهاته، يقول عن ذلك المحيط: «نشأت في قرية البصر وتعلمت في مدرستها الأولى «المسجد»، تحت إشراف الشيخ عبد الله بن ناصر البرادي، ثم درست فيها الأولى والثانية الابتدائية، قبل أن أنتقل إلى مدرسة الحويزة ببريدة. معلمي الأول هي والدتي «نورة اللحيدان»، ومنها رضعت الأدب واللغة والأخلاق والشعر وحب الحياة وحب الناس والتسامح. ومدرستي الثانية والدي فهد، ومنه تعلمت الصبر والعلاقات وعزة النفس والتدين»[29].

---

27 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010.

28 - من حوار معه حول طفولته في برنامج «هنا الرياض» على قناة المجد عام 2008م وهو على هذا الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=BuSQ6yjStfo&feature=player_embedded

29 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

في معرض حديثه عن شيوخه لا يُغفل تأثير بعضهم الشديد عليه، فهو يصف مثلاً الشيخ صالح البليهي[30] بـ «شيخه الأكبر»: «ومن شيوخي في مرحلة المعهد العلمي: الشيخ صالح البليهي فهو أستاذي الأكبر، وقد كتبت عنه كثيراً، وتحدثت عنه في غير مناسبة منها «رجال عرفتهم»، ثم الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم البليهي».

بزغ نجم سلمان العودة، في التحدث والخطابة منذ أن كان طالباً في المعهد العلمي، واشتهر بولعه بالقراءة والمطالعة، وكان يتردد على المكتبات في سوق بريدة كثيراً، خاصةً تلك القريبة من الجامع الكبير. كان لشخصية والده أكبر الأثر على زرع الجرأة في صدره ولسانه، كما يتحدث هو عن ذلك، فيقول إن: «صحبته لوالده ومعايشته لعمليات البيع والشراء، أكسبته مهارة الوقوف أمام الناس، والتحدث إليهم؛ مما أكسبه مهارة عدم الخوف أو القلق من المواجهة»[31]، كما انعكست البيئة الأساسية لقرية البصر القريبة من مدينة بريدة على شخصيته، من حيث اتجاهه للبساطة في الكثير من الأمور، ذلك أن: «منزل والده كان يتسم بالبساطة، فضلا عن كونه من الطين»، كما كان: «يمتلك جهاز تسجيل يستمع عليه

30 - انظر ترجمته، ص 45.

31 - ذكر هذا ضمن حديثه لبرنامج «قصة نجاح» على mbc fm في 1 سبتمبر (أيلول) 2009.

إلى قراءة القرآن لمشاهير القراء، وعلى رأسهم عبد الباسط عبد الصمد، ومحمد رفعت، ومحمود خليل الحصري، بالإضافة إلى مشاهير القراء السعوديين، وغيرهم». ويرى العودة في حديثه عن تكوينه الأول في القرية أن: «عادات القرية انعكست على سلوكياتي، خاصة ما يتعلق بعادات النوم المبكر والاستيقاظ المبكر، واللعب مع الأقران من أبناء الجيران»[32].

32 - ذكر هذا ضمن حديثه لبرنامج «قصة نجاح» على mbc fm في 1 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.

تكونت ثقافته الأساسية من تعاليم علماء نجد، ودعوة محمد بن عبد الوهاب، كما قرأ في مرحلة مبكرة كتب سيد قطب ومحمد قطب، وارتبط بحميمية معرفية وأسلوبية بسيد قطب، فهو يتحدث عنه قائلاً: «البعض يظنون أن سيد قطب -رحمه الله- أصدر أحكاماً بالكفر والجاهلية على الأفراد والمجتمعات، وقد يكون في تراث الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- كلمات فيها حرارة، وفيها شدة ومن قبله يوجد هذا في تراث الشيخ محمد عبده[33] وعدد من الناس. ولعله تلقى هذا المعنى وقد لا يكون المقصود هو الحكم على الناس وأياً يكن الأمر فإن الداعية إلى الله سبحانه وتعالى

---

33 - محمد عبده (1845-1905) مفكر ديني إصلاحي، حاول البحث عن الإصلاح الاجتماعي من خلال الدين الإسلامي وبالاستناد اليه بعد تجديده حسب مقتضيات العصر الحديث وفكره العلمي. ولد بمحلة (نصر) بمديرية البحيرة بمصر سنة 1845، وتلقى تعليمه الديني في الجامع الاحمدي، ثم في الجامع الازهر، حيث التقى أستاذه جمال الدين الأفغاني، فتأثر بدعوته الاصلاحية والتزم تعاليمها بعقله وفكره. عمل مدرسا بدار العلوم بعد نجاحه في الامتحانات العالمية، واستمر في بث تعاليم استاذه، إلى أن فرضت عليه الإقامة الجبرية في قريته، حتى توسط له الوزير (رياض باشا) فأطلقت حريته وعينه رئيسا لتحرير جريدة (الوقائع المصرية) فاتخذها منبراً لنشر أفكاره ودعواه لاصلاح الشعب والحكومة. لذلك كان طبيعيا ان يلتقي مع ثورة (أحمد عرابي) ويشترك فيها، مما نتج عنه نفيه إلى بيروت، التي غادرها لاحقاً إلى باريس، لاحقاً باستاذه الأفغاني هناك. تعلم الفرنسية وشارك الأفغاني في إصدار مجلة (العروة الوثقى) وجمعيتها. لكنه لم يلبث أن رجع إلى بيروت وكتب كتابه في فلسفة الدين «رسالة التوحيد»، ومنها رجع إلى مصر بعد العفو عنه سنة 1887، فعين قاضياً بالمحاكم الأهلية، وقربه اليه (عباس باشا الثاني) فأصبح مفتياً للديار المصرية، حيث قام، وبموافقة ومساعدة الباشا، بإصلاح الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية، داعياً إلى رفض الجمود والتحجر، مما جعله يشكل خطراً على الفئة الحاكمة، فغضب عليه عباس باشا، بسبب تعاليمه ودعواه الإصلاحية، التي لم تهدأ إلى أن توفي سنة 1905. انظر: كامل زهيري، الموسوعة السياسية، إشراف د. عبدالوهاب الكيالي، (منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، مارس (آذار) 1974)، ص 494.

ينبغي ألا يتقمص شخصية القاضي وإنما يظل داعية إلى الله عز وجل»[34].

كما كان لحسن البنا[35] تأثيره الواضح على سلمان العودة، ويظهر من خلال أحاديثه، ومن خلال برنامجه «حجر الزاوية» حيث أشار مراراً إلى نتاج البنا، بل ورأى أن تفسير البنا للقرآن تفسيراً مختصراً[36] كما أشار إلى أن حسن البنا ضمن الذين يبعثهم الله على رأس كل مائة سنة للإصلاح، يقول: «من الأولويات أو من التطبيقات المهمة قضية أولوية الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- والدعوة إلى الله ضرورة وهي تتأثر بالمتغيرات يعني الدعوة التي نطرحها اليوم ينبغي ألا تكون هي الدعوة التي تُطرح قبل مائة سنة أو قبل مائتي سنة لما نتكلم عن مجددين في تاريخ الإسلام من عمر بن عبد العزيز إلى الشافعي إلى ابن تيمية إلى النووي إلى ابن

34 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الدعوة»، بثت في 19 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.
35 - حسن البنا: (1906-1949): هو مؤسس جماعة الإخوان المسملين ومرشدها العام. ولد سنة 1906 في منطقة القناة، وبدأ حياته مُدرساً ثم لم يلبث أن بدأ يُبشر بأفكار إسلامية دينية، تدعو إلى الرجوع إلى نظام الخلافة. وفي سنة 1928، وضع الأسس الفكرية والتنظيمية لجماعة الإخوان المسلمين التي بدأت نشاطها أولا في مدينة الاسماعيلية ثم في القاهرة. وقد تميزت هذه الجماعة بمعارضة الحكومات المصرية المتعاقبة منذ سنة 1940، وبقيامها بموجة من الاغتيالات السياسية. وفي سنة 1948 انشأ صحيفة «الإخوان المسلمون» التي أصبحت تنطق باسم حركته، واغتيل في فبراير (شباط) 1949. انظر: كامل زهيري، الموسوعة السياسية، مرجع سابق ص 241.
36 - برنامج «حجر الزاوية»، «حلقة مفتوحة»، بثت في 20 سبتمبر (أيلول) 2007.

حجر إلى محمد بن عبد الوهاب إلى حسن البنا إلى فلان إلى فلان من أئمة قد يختلف الناس عليهم ولكن الكل يدرك أن لهم دوراً في واقع الأمة فهنا ندرك أن كونهم من المجدّدين من معانيه أنه فَقِهَ عصرَهُ وعرف ماذا يُقدم لعصره يعني عرف ظروف الناس وحاجة الناس والمتغيرات»[37].

لم يكن العودة بعيداً عن التأثر برموز من جماعة «الإخوان المسلمين»، وعلى الرغم من مطالبته في البرنامج لجماعة الإخوان المسلمين وغيرها من الجماعات بضرورة القيام بمراجعة شاملة للمنهج، إلا أن حضور الرموز الرئيسيين للإخوان مثل حسن البنا بالذات يدل على أن سلمان العودة يرى في جماعة الإخوان الحالية نسخةً لم يردها حسن البنا كذلك، لهذا فهو يطرح نفسه بوصفه مصلحاً لا يقل قيمةً عن مرشد الإخوان نفسه، هذا معنى أن برنامج «حجر الزاوية» يشكل مرحلة ما بعد السجن وهو إنتاج متأخر إذا ما قورن بمحاضراته في الثمانينيات والتسعينيات. يقول بشأن «المراجعات» وضرورتها للجماعات الإسلامية: «نعم وهي تجربة بدون شك، إنها إحدى التجارب الإسلامية التي على الأقل أثبتت حضورها على رغم مرور يعني أكثر من 60 سنة 70 سنة إلا أنها تجربة قائمة وقوية نعم هي تجربة هي نفسها بحاجة إلى إصلاح

37 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «فقه الأولويات»، بث في 2 أكتوبر (تشرين الأول) 2006.

كما قلنا لأن المسلم بحاجة إلى إصلاح مستديم وليس الإصلاح حلاً لمشكلة أو أزمة قائمة»[38].

ب - تأثير محمد سرور زين العابدين:

إذا أردنا أن ندخل على خط الرصد التاريخي لرحلة العودة الإسلامية فلا يمكننا إهمال تأثير رؤية محمد سرور زين العابدين على فكر سلمان العودة، وتأثير ما صار يسمى «السرورية». محمد سرور مدرس الرياضيات في معهد بريدة العلمي قدم إلى السعودية من سوريا، حيث كان قد تربى في محاضن الإخوان المسلمين هناك. وقد سئل عنه علي صدر الدين البيانوني المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا في لقاء بشبكة «إسلام أون لاين» فقال عنه: «كان الأستاذ محمد سرور زين العابدين من الإخوان المسلمين في سوريا، وما يزال على صلة وتعاون مع قياداتها»[39].

بل إن انتماء سرور للإخوان يثبته هو لدى حديثه عن نفسه، حين يقول إنه كان: «إخوانياً متعصباً جداً لشخص وأفكار الشيخ مصطفى السباعي». كما يتحدث عن السباعي قائلاً: «الصنف

38 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الإصلاح»، بثت في 15 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.
39 - السرورية (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، يناير (كانون الثاني) 2007).

الأول في سورية جماعة الإخوان المسلمين، وكان يقود هذه الجماعة الدكتور مصطفى السباعي، وهو في علمه ووعيه وجهاده من الشخصيات القليلة النادرة في العالم الإسلامي». وفي موضع آخر يقول: «أنا اليوم أحب شيخنا السباعي وأقدر علمه وفضله وجهاده. ولكن أحبه حباً عن علم ومعرفة، وأعرف أن له اجتهادات خاطئة، وكنت أحبه حباً حزبياً أعمى، وأغالي في هذا الحب»[40].

كان محمد سرور في بداياته الحركية، مقرباً من الجناح الإخواني التابع لعصام العطار والمعروف بـ «جناح إخوان دمشق»، ثم انتقل إلى مروان حديد صاحب منهج استخدام العنف أي «المنهج الانقلابي» الذي أسسه أبو الأعلى المودودي في الفكر الإسلامي المعاصر، وأكمله اتجاه سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن» وفي كتابه «معالم في الطريق». لقد كان محمد سرور مأخوذاً بسحر سيد قطب، وعلى الأخص في ما يتعلق بتكييف الواقع المعاصر للأنظمة والحكومات، مع الرؤية السلفية التي تبلورت في تصورات سيد قطب القرآنية، حيث أعاد تشكيل العديد من المفاهيم القرآنية لتتلاءم مع رؤاه السياسية النزّاعة إلى الشدة مع الأنظمة السياسية بغية تخليص المجتمعات من الارتهان الذي طال للحكام[41].

---

40 - انظر مجلة: «السنّة» التي يصدرها محمد سرور، عدد 35، ص30 - 68.

41 - السرورية، مرجع سابق، ص 42.

بعد التضييق الطويل على إخوان سوريا من قبل النظام السوري، قدم محمد سرور إلى السعودية عام 1965، وعمل مدرساً للرياضيات في المعهد العلمي(42) في مدينة بريدة، وتتلمذ سلمان العودة عليه، قال عنه سلمان العودة: «هو أحد الجماعات والأفراد الذين جاؤوا طبعاً من سوريا، وليس من مصر وأعتقد أن الإخوان المسلمين في سوريا واجهوا وضعاً مشابهاً بالضغوط التي كانت عليهم في بلدهم فجاءت نسبة كبيرة منهم إلى جامعة الإمام، إلى المعاهد العلمية، إلى المدارس، إلى المؤسسات المختلفة، وطبعاً الأستاذ محمد سرور كان مدرساً أعتقد في مدينة حائل، ثم انتقل إلى منطقة القصيم وبالذات بريدة، ودرّسنا في المرحلة المتوسطة في الأولى والثاني متوسط. وقد كان من الطريف أنه يدرّس مادة الحساب ولكنه بلا شك كان يحمل فكرا وهمّاً، انتقل بعدها أظن إلى منطقة الأحساء ثم بعدها انتقل إلى ربما إلى الكويت لفترة معينة وأخيراً استقر به المقام في لندن، وهو أحد المؤثّرين دون شك في الساحة؛ من حيث تأثيره التربوي، ومن حيث كتاباته، كان

42 - تُشرف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على اثنين وستين معهداً علمياً موزعة على مختلف مناطق ومدن المملكة العربية السعودية، وتقدم من خلالها برامج دراسية تعنى بالجانب الشرعي واللغة العربية بشكل أساسي إضافة إلى العلوم الأخرى، وتقدم هذه البرامج الدراسية لحاملي الشهادة المتوسطة أو ما يوازيها، عرفت المعاهد العلمية في السعودية بمحاولات استقطاب تقوم بها التيارات لفرض ترسيخ النفوذ في المعاهد العلمية، نقرأ هذا في تاريخ معهد بريدة العلمي الذي كانت السرورية تهيمن عليه منذ منتصف الستينيات وإلى أن قبض على سلمان العودة ونشب ما عرف لاحقاً بأحداث بريدة في العام 1995 حينها استقطبت الجامعة كوادر تعليمية من محافظات قريبة عُرفت بتمدد التيار الجامي المعادي كلياً للسرورية لغرض ضرب ما جذرته السرورية في معهد بريدة العلمي.

يكتب في مجلة المجتمع. ولا زلت أذكر أن الأستاذ درّسنا من ضمن خمسين أو ستين من المعهد العلمي، وأنا أيضاً واحد من آلاف الطلاب الذين درسوا على يديه مادة الحساب... كان يأتينا بكتاب «زاد المعاد» تلك كانت بداية تعرفي على هذا الكتاب الجميل لابن القيم، رأيته وذهبت واشتريته وهو لا زال من أهم الكتب التي هي موجودة في مكتبتي وقرأته عدة مرات»[43].

يتحدث العودة عن محمد سرور بمنأى عن الحديث عنه كمؤثر رئيسي عليه، لكن الراصدين للحركات الإسلامية وصلوا إلى حالة من التوافق على ربط فكر العودة بتأثير محمد سرور زين العابدين، بعد أن انتقل محمد سرور من لندن إلى الأردن أفردت صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية ملفاً عنه، كتبت: «بعد إعلان نبأ انتقال الشيخ السوري، الإخواني السابق، محمد سرور بن نايف زين العابدين، من لندن إلى الأردن، في خطوة مفاجئة، كثرت الأسئلة حول منهج وآراء هذا الشيخ (70 عاماً)، المثير للجدل، خصوصاً مع بقاء الغموض حول انتساب تيار منهجي كامل داخل البحر الإسلامي الحركي إليه. محمد سرور بن نايف زين العابدين، كان إخوانيا سوريا، ثم وبعد اشتداد الوطأة الأمنية على الإخوان في

43 - من حديث سلمان العودة لبرنامج وثائقي «التيارات الإسلامية في السعودية» بث على قناة «العربية» في 28 أبريل (نيسان) 2006.

سوريا، انتهى به المطاف أواخر الستينيات الميلادية، معلماً في معهد بريدة العلمي، في منطقة القصيم السعودية، مارس التعليم والتبشير في المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتتلمذ عليه مجموعة من الأسماء التي برزت لاحقاً في سماء العمل الإسلامي الجديد في السعودية، أبرزهم سلمان العودة»[44].

يتحدث سلمان العودة عن محمد سرور بوصفه مدرساً له: «الأستاذ محمد سرور، درسني الحساب في الثانية متوسطة، ثم انتقل إلى الأحساء قبل أن أصل للمرحلة الثانوية؛ ولذلك لم يتسن لي التعرّف عليه في تلك المرحلة، خاصة وأنه كان صارماً خلال فترة تدريسه لنا، تعرفت عليه عبر كتبه ومقالاته، وكان يعجبني فيها نقده لجماعات التكفير والهجرة، وخلال السنوات الأخيرة لقيته في مكة، ثم في قطر عدة مرات، ووجدت شخصية عركتها السنين، وعدلت كثيراً من أفكارها، وكم تمنيت أن تظهر آراؤه الجديدة، وخلاصة تجاربه عبر وسائل الإعلام، ليتعرف الناس إليه من خلال ذاته، وما توصل إليه عبر تجربته الطويلة، التي بدأت كفرد في جماعة الإخوان المسلمين السورية، ثم شخصية

44 - تقرير من إعداد مشاري الذايدي، صحيفة «الشرق الأوسط»، 14 أكتوبر (تشرين الأول) 2004.

مستقلة، ذات تأثير على عدد من الأتباع، وربما انتهت به شخصيته مختلفةً عن هذا وذاك»[45].

ربما يكون تأثير محمد سرور زين العابدين الفكري غير معلن، بسبب البعد السري الذي شمل بعض نتاجه. كما اعترف بأنه هو مؤلف كتاب «وجاء دور المجوس»[46]، واستخدم اسم «عبدالله الغريب» كاسم مستعار لكتابة ذلك الكتاب وغيره من الكتب الأخرى[47].

من خلال التتبع يمكنني أن أفسر التأثير الخفي من قبل محمد سرور على تيارات عريضة من الإسلاميين في السعودية من خلال نصائحه وتوجيهاته في القراءة، هذا ما أشار إليه العودة. أظن أن التوجيه ليس شرطاً أن يكون على هيئة تفصيلات أيديولوجية، بل يمكن أن يكون حتى ولو عبر التأثير التربوي الذي أشار إليه العودة ذاته. مجلة «السنّة» التي تصدر عن «مركز دراسات السنّة النبوية» في برمنغهام، ويملكها محمد سرور ذاته صعد نجمها مع تسيّد

45 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

46 - «وجاء دور المجوس»، كتاب ظهر خلال الحرب العراقية-الإيرانية ووُزّع كثيراً بوصفه دعايةً ضد إيران الخمينية، لمؤلفه الدكتور عبدالله محمد الغريب، وتحدث كما في غلافه عن: الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية. طبع بلا ناشر منذ العام 1981.

47 - للاطلاع على حديثه حول هذا الكتاب وظروفه انظر لقاء قناة «المحور» معه في برنامج «مراجعات» على هذا الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=N5RSpkknVG4

ما عرف بالسرورية للمشهد الإسلامي بعد حرب الخليج 1991. وكانت تضم موضوعات فيها هجوم على شخصيات سياسية رئيسية في النظام الحاكم في السعودية.

شهد المعهد العلمي في بريدة سجالاً بين تيارات لم تتبلور، يمكن أن نقسمها إلى فريقين، أحدهما ديني، والآخر مدني. يصف العودة تلك المرحلة: «في صغري كنا ضمن مجموعة تعرف في المعهد العلمي في بريدة وكانت هناك تيارات حركية لم تكن متبلورة بشكل واضح. والتيار السروري لا يسمّي نفسه بهذه التسمية»[48]. لكنه رغم نفيه أن يكون التيار السروري قد اتخذ هذا المسمى، غير أنه لا ينكر أن المعهد العلمي كان بداخله تنظيم إسلامي، حيث يقول: «نعم كان هناك تنظيم لكن ليس اسمه سرورياً»[49]. العودة يقول إن: «محمد سرور عمل لا أقول تعديلاً لكن تغييراً جوهرياً في كثير من مرئياته وتصوراته في مقابلته قبل شهور. وجدت فيه شخصاً آخر غير الشخص القديم الذي أعرفه تماماً في الحقيقة. صار يحمل رؤى أكثر انتماءً للأمة وأكثر انتماءً للتجربة. ولذلك تمنيت أن يملك فرصة أو أن يعبّر عن الرؤى الجديدة التي لديه ليقارن بينها الناس من باب الإنصاف. ولكي لا يكون هناك

48 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010.
49 - المرجع السابق.

مجموعات يُظنّ بأنها تنتمي إليه»[50]. ويعتبر العودة أن انتماءه لذلك التيار ارتبط بالطفولة. لكنه حتى حينما كان في الكلية كان: «ربما حتى في الجامعة كنا في نشاط قوي في الكلية»[51].

لكنه اختار فيما بعد تأسيس مشروعه الدعوي الشخصي. يصف العودة ذلك الابتعاد قائلاً: «والله أن أختار نفسي أن أعبّر عن نفسي، وفي الوقت الذي أحرص فيه دائماً على أن لا أكون خصماً لأيٍّ كان قدر المستطاع، لأن الخصومة من حيث المبدأ لا تكون إلا عن ضرورة وأنا أحاول أن أكون مع التيارات الإسلامية المختلفة. مع الإخوان المسلمين. مع السلفيين مع الصوفية المعتدلة مع المستقلين وهؤلاء يمكن هم الذين يروق لي أمرهم أكثر من المشايخ والفقهاء والمصلحين قادة الرأي وأيضا أنا أختار بشكل أفضل وأكثر الجمهور العفوي العادي الذي لا يكون متشكّل أجد نفسي مع هؤلاء بالفطرية العفوية بالبساطة أكثر من الناس الذين قد يكون الأمر لا يخلوا من نوع من الصنعة، أو التكلّف، فالانتماء يحول بينك وبين كثير من الناس، وكما قلت لك أن الانتماء غالباً يكون مؤداه التعصب. ويشُل حركة الفكر، يجعل الإنسان أسيراً لموروث معين قد عاش فيه ذكريات جميلة ونشأ عليه لحمه وعصبه، فيعزّ عليه أن يقوم بدور التصحيح أو

50 - المرجع السابق.
51 - المرجع السابق.

المراجعة لذلك أنا دائماً أكبر الناس الذين يملكون القدرة على المراجعة والخروج من هذا النفق»[52].

من خلال السياقات المتنوعة الماضية، نعلم أن المزيج الذي جمع بين السلفية وبين تعاليم الإخوان الرئيسية كانت قد طبخت على يد محمد سرور زين العابدين، «إنها الجمع بين بنطال سيد قطب، وعباءة محمد بن عبد الوهاب»[53] ذلك أن أفكار الإخوان المسلمين لا يمكن لها وحدها أن تنتشر في مجتمع وهّابي[54]. وإذا قرأنا خطاب العودة في الثمانينيات الميلادية، وقرأنا مقالات محمد سرور زين العابدين في مجلة «السنّة» وطالعنا ما يكتبه عبد العزيز كامل في مجلة «البيان» وما تكتبه أقلام الإخوان المسلمين في الكويت، نجد التشابه الكبير بين القضايا التي يطرحونها، على الرغم من

---

52 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

53 - الوهابية مصطلح أطلق على حركة إسلامية سياسية قامت في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، الموافق الثامن عشر الميلادي، على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1703 - 1792)، و الإمام محمد بن سعود حيث تحالفا لنشر الدعوة السلفية، وكانت بدايتهما في الدرعية. جاءت دعوة الوهابية للمنهج السلفي بهدف ما تعتبره تنقية عقائد المسلمين والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام وتراها الوهابية مخالفة لجوهر الإسلام التوحيدي مثل التوسل بالقبور، والأولياء، والبدع بكافة أشكالها أو ما يطلق عليه بشكل عام اسم بدعة. نبعت الوهابية من أهل السنّة والجماعة ويصفها أتباعها بأنها دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرجوع إلى الإسلام الصافي وهو طريقة السلف الصالح في اتباع القرآن والسنّة، أي عمليا عدم الاعتماد الكلي على المذاهب الفقهية السنية الأربعة، والاعتماد المباشر على النص من القرآن والسنّة وأقوال السلف الصالح وإجماع العلماء مدللين على ذلك بأقوال للأئمة الأربعة. انظر كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره» د.عبدالله الصالح العثيمين، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1986.

54 - هذا الوصف لعمر العزي. انظر كتاب: السرورية، مرجع سابق، ص48.

أن إخوان الكويت اختلفوا عن التيار السروري في السعودية بأمور كثيرة من أبرزها أنهم يولون قضية فلسطين أهمية استثنائية، بينما ركز خطاب السرورية في الثمانينيات الميلادية على إصلاح الواقع، وعلى القضاء على الجاهلية العقائدية، وعلى محاولة صبغ المجتمع بلون إسلامي مختلف عن بقية البلدان، كانوا يريدون تحرير الإنسان[55] من هيمنة الحاكم المتغرّب أو التابع، ليدفعوا باتجاه إقامة النظام الإسلامي الذي يُطبّق الشريعة. وفي الفقرة التالية سنقرأ مرحلةً سابقة من مراحل سلمان العودة من خلال أعنف محاضرتين في تاريخه الأولى «لسنا أغبياء بدرجة كافية»، والثانية «الشريط الإسلامي ما له وما عليه».

ج - العودة وحصار الخطاب القديم:

كان خطاب سلمان العودة في الثمانينيات وأوائل التسعينيات خطاباً أقل ما يمكن أن يقال عنه إنه كان حماسياً اندفاعياً، كان العربة الهائجة التي تأخذ ما عنّ لها من قضايا لأجل السرعة فقط. وإذا قرأنا المحاضرات التي ألقاها العودة في مرحلته الأولى والتي ستمتد منذ بداية صعود نجمه في الثمانينيات وإلى سنة سجنه عام 1994 نرى أنها محاضرات ذات شقين اثنين:

55 - إشارةً محاضرة للدكتور سلمان العودة، تحولت إلى شريط: «تحرير الأرض أم تحرير الإنسان»، استمع إليه على هذا الرابط:
http://www.islamway.com/?iw__s=Lesson&iw__a=view&lesson__id=844

1 - **قضايا العالم الإسلامي:** وتشمل تناول مستجدات القضية الفلسطينية، والقتال الأفغاني للروس، وصولاً إلى الحرب على البوسنة والهرسك، والتي واكبت ذروة صعود نجم العودة، كان حينها الداعية الأشهر في الخليج، ولا يوازيه أحد في انتشار أشرطته، والازدحام على محاضراته. لم تقتصر جماهيريته على الإسلاميين في السعودية، بل كان يتحدث حتى عن قضايا البلدان المجاورة[56].

2 - **القضايا الداخلية:** وهي الجزء الأكثر حماسة وجاذبية لدى أتباعه، يتحدث عن المرأة، والعلمنة، والحكم، والسياسة، والولايات المتحدة الأميركية، والتعليم، والمدارس، والمناهج، والبيت، والأسرة، ورجال الأمن[57] والمؤسسات الرسمية، وكان خطابه منشقاً عن الطرح السائد، كان يتحدث –في تلك المرحلة– كزعيم قادم سيسير على أكتاف جماهيره، وسيغيّر الواقع الذي لم يكن يحمل أية بذرة إيجابية، بل كان يحرض الشباب على الاستغناء عن الوظائف الحكومية، ويحرض على

56 - إشارة إلى شريط: «هشيم الصحافة الكويتية»، على هذا الرابط: http://www.islamway.com/?iw__s=outdoor&iw__a=outlessons&lesson__id=973

57 - إشارة إلى شريط: «رسالة إلى أخي رجل الأمن»، على هذا الرابط: http://www.islamway.com/?iw__s=Lesson&iw__a=view&lesson__id=72

الاستغناء عن الدور الرعائي الذي تقدمه الدولة، عبر تكثيف الوظائف الحكومية لتشمل أكثر من نصف الشعب[58].

وإذا قرأنا مراحل وتاريخ خطاب سلمان العودة، نجد أن خطابه للعالم الإسلامي لم يمر بذات التغير الذي مر به خطابه عن الوضع الداخلي. كان ينتقد السياسات بالأسماء، كما كان ينتقد وزير الداخلية بالاسم[59]، كان يعارض قيادة المرأة للسيارة، وكان يهاجم رموز التيار العلماني في السعودية، وكان يهاجم الحداثة الأدبية التي نشطت في فترة الثمانينيات[60]. وكما سبق القول، سنحاول قراءة تلك المرحلة بجلاء، في محاضرتين أساسيتين ألقاهما الشيخ آنذاك.

58 - إشارة إلى شريط: «دلوني على سوق المدينة». على هذا الرابط:
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=audioinfo&audioid=13826

59 - إشارة إلى شريط: «رسالة من وراء القضبان». على هذا الرابط:
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=audioinfo&audioid=13938

60 - لقراءة تفاصيل مرحلة الحداثة في السعودية، راجع كتاب: الغذامي، عبدالله، حكاية الحداثة في السعودية (المركز الثقافي العربي، 2004). الغذامي لم يتحدث في كتابه عن هجوم سلمان العودة على الحداثيين، بل تحدث عن هجوم كل من: عوض القرني، وسعيد بن ناصر الغامدي. راجع أيضاً عن جدل الحداثة كتاب: الخضر، عبدالعزيز، السعودية سيرة دولة ومجتمع: قراءة في تجربة ثلث قرن من التحولات الفكرية والسياسية والتنموية (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2010).

المحور الأول - لسنا أغبياء بدرجة كافية[61]: ضمت محاضرته «لسنا أغبياء بدرجة كافية» هجوماً ضارياً على قيادة السعوديات للسيارة في الرياض في نوفمبر (تشرين الثاني) 1990 والتي كانت محوراً أساسياً في محاضرته، وربما كانت شحنة الاحتجاج على الوضع الداخلي «المنهار» -على حد وصفه- لم تبد ماثلة واضحة كما بدت في هذه المحاضرة، وحرص العودة الذي تحوّل عن منهجه هذا على إبعاد هذه المحاضرة وغيرها من المحاضرات الحماسية من أرشيف موقعه[62]، حيث رأى أن: «عدم إدراج شريط الأحداث، وشريط من خلف القضبان، فهذا راجع لكونها مرهونة بوقتها وقد حذفت من قائمة الأشرطة كل ما كان مرتبطاً بحدث خاص كأحداث البوسنة أو الجزائر أو أفغانستان أو غيرها، لأن معالجة الأحداث ليس لها طابع الخلود والاستمرار. أنا لا ألتفت إلى الوراء، فلا أندم على ما مضى لأنه تجربة تعلمت منها الكثير بخطئها وصوابها، ولا أعتقد أنني يجب

61 - استمع إلى شريط: «لسنا أغبياء بدرجة كافية» على هذا الرابط:
http://www.islamway.com/?iw__s=outdoor&iw__a=outlessons&lesson__id=4760
محاضرة (لسنا أغبيا بدرجة كافية) أعقبت تظاهر 47 سعودية قمن بقيادة السيارات ليلة الثلاثاء السادس من نوفمبر (تشرين الثاني) 1990 في العاصمة الرياض. وألقاها سلمان العودة في 11 نوفمبر (تشرين الثاني) 1990 في الجامع الكبير ببريدة.

62 - موقع سلمان العودة «الإسلام اليوم» أحد أنشطة مؤسسة «الإسلام اليوم» التي يمكلها ويرأسها العودة، وهو من أهم المواقع الإسلامية التي تضم نوافذ للتربية والاستشارات والأخبار. ضمنه بعض أرشيفه، بينما حرص ألا يظهر على الموقع أرشيفه القديم الذي يوصف من قبل المتابعين بـ «الحماسي».

أن أعيش في الماضي، وكثيراً ما قلت: «السجن ذكرى جميلة أتمنى ألا تعود، وشريط خلف القضبان ألقيته بعدما علمت بصدور أوامر باعتقالي، وكأنني أريد أن أقول كل ما في الجعبة قبل أن يحال بيني وبين القول»[63].

يتحدث العودة قائلاً: «إن المتأمل في واقع المرأة المسلمة في هذه البلاد لا يملك إلا أن يلم رأسه من الصداع الذي لا بد أن يصيبه. لم نعد نستغرب أن نرى الدموع تتقاطر من عيون الغيورين، من هذا الغزو المنظم الذي تراد به هذه البلاد بوجودها. أصبح حالنا وحال تلك التجاوزات والأخطاء والأخبار والمشاكل كحال خراش....»[64]. في هذا النص يتحدث عن «غزو» و«منظّم» يحاصر البلاد، وهو غزو يثير الصداع، ويشير إلى شدة وتزاحم «التجاوزات»، ويشبهها بحال خراش كما في البيت الشعري القديم:

تكاثرت الظباءُ على خراشٍ فما يدري خراشٌ ما يصيدُ

يصرّح في موضع آخر من محاضرته بنقد قيادة السعوديات للسيارات، ويطلق عليها اسم «المظاهرة». يقول: «... إن الغرض من هذا العمل (المظاهرة النسائية) هو جعل طلبة العلم والعلماء

63 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.
64 - شريط: «لسنا أغبياء بدرجة كافية»، مرجع سابق.

والدعاة في حالة من الارتباك لا يستقر لهم فيها قرار، فما أن يفيق الواحد منهم من هول خبر إلا يأتيه خبر آخر أهول منه، حتى أن الإنسان أصبح ينسى الأشياء الصغيرة، يتساهل بها ويقول نحن منشغلون بما هو أكبر من ذلك، وهذا الأكبر يأتي ما هو أكبر منه فينشغل عنه، وهكذا نفقد التركيز ونفقد القدرة على مقاومة المنكرات بصورة صحيحة. هذا هو الغرض...إذاً الغرض تغيير وضع المرأة المسلمة بهذه البلاد، لكن بهذه الطريقة، طريقة كثرة التجاوزات والأخبار المخالفة لما علم بالشرع والدين والخلق وما توارثته هذه البلاد كابراً عن كابر منذ عهد النبوة إلى اليوم هذا عن طريق أخطاء كثيرة تقع هنا، وهنا، وهنا، يفسرها البعض: هذه أخطاء فردية المسؤول عنها هذا الجهاز أو هذه الجهة التي وقعت فيها»[65].

في هذا النص يقرأ في قيادة المرأة للسيارة في تلك السنة «مؤامرة» تهدف إلى «إرباك» طلاب العلم والدعاة، وتوريطهم من ناحية حركية، وضرب مسيرتهم في توجيه الواقع الاجتماعي. كان يتوجه بحديثه إلى المجتمع السعودي، إلى الداخل؛ كان يوجه الأنظار إلى قيادة المرأة للسيارة ويصوّرها على أنها مؤامرة. وفي رأيي أن الهجوم على قيادة المرأة للسيارة في تلك المرحلة كان اللبنة الأسياسية لتحريض المجتمع ضد قيادة المرأة للسيارة،

65 - شريط: «لسنا أغبياء بدرجة كافية»، مرجع سابق.

إذ توافق الهجوم الديني على النساء اللواتي قدن السيارات، مع إجراءات حكومية ضدهن، حيث فصلن من أعمالهن ومن وظائفهن، وتم القبض على المشاركين جميعاً بمن فيهم من صوّر الحادثة[66]. وربما كان سبب تأخر انسجام المجتمع السعودي مع فكرة قيادة المرأة للسيارة تلك الحادثة التي اتسمت بالجرأة، لكنها لم تتسم بالحكمة. وكانت فرصة سانحة لأن يتسيّد الخطاب الديني الساحة. الإسلاميون في السعودية، وعلى رأسهم سفر بن عبد الرحمن الحوالي[67]، وسلمان بن فهد العودة، وناصر بن سليمان العمر[68]، كانوا يقولون للمجتمع، إن هذه الحادثة هي

---

66 - سجن المصور الفوتوغرافي السعودي الراحل، صالح العزاز، بسبب تصوير قيادة السعوديات للسيارات، كما قامت السلطات السعودية بأخذ إجراءات ضد الأكاديميات والنساء اللواتي قدن السيارات تلك السنة. وهي مرحلة تحدثت عنها الدكتورة عزيزة المانع الأكاديمية المشاركة في القيادة. نشر: شتاء عام 2003. في ملحق «الرسالة» بجريدة المدينة.

67 - سفر بن عبد الرحمن بن أحمد بن صالح آل غانم الحوالي، ولد في حوالة بمنطقة الباحة السعودية عام 1375هـ (1955)م، وهو أحد رموز الصحوة الإسلامية في المملكة العربية السعودية. أشار إليه بعض المفكرين الغربيين في كتاباتهم مثل هانتنجتون الذي كتب «صدام الحضارات»، فأشار إلى الحوالي في مقاله الأول. ومن الذين كتبوا عنه دراسات الباحث والخبير الأميركي المعروف في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية «كوردسمان» والذي خصص جزءاً من الدراسات عن السعودية حول كل من سفر الحوالي وسلمان العودة، بالإضافة إلى العديد من التقارير، ومنها تقارير مجموعة الأزمات الدولية التي أشارت إلى الحوالي ودوره السياسي والفكري. وهو من أكثر الرموز الحركية شعبية في السعودية. تعرّض للسجن بعد احتجاجه على تواجد القوات الأميركية في السعودية إبان حرب الخليج (1990). له مؤلفات منها: «العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها»، وهي رسالته العلمية للماجستير، «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»، وهي رسالته العلمية للدكتوراه، «مقدمة في تطور الفكر الغربي والحداثة»، «منهج الأشاعرة في العقيدة».

68 - ناصر بن سليمان بن محمد العمر، ولد في عام 1373هـ (1952)م، في قرية المريدسية التابعة لمدينة بريدة في منطقة القصيم وسط السعودية. أنهى دراسته الثانوية عام 1390هـ (1970)م من معهد الرياض العلمي. ثم أنهى دراسته الجامعية من كلية الشريعة عام 1394هـ (1974)م. وقد تم اختياره معيداً في جامعة الإمام محمد بن سعود=

ما كنا نحذر منه. وكسبت الصحوة الإسلامية شرائح جديدة من أرباب وربات البيوت الذين كانوا أسارى للتحريض الديني على العلمانيين والعلمانيات الذين يريدون الفساد والإفساد.

سلمان العودة كان المايسترو الذي يسير المشروع الصحوي، كان يوجه الجموع بسحر صوته، وفصاحته، وارتجاله لمحاضراته، واطلاعه على تفاصيل ما يجري للمسلمين قبل عصر الثورة المعلوماتية. كانت محاضرته هذه، تتويجاً لحالة الصراع بين العلمانيين والإسلاميين، إلى درجةٍ جعلت من سلمان العودة يصل إلى أبعد مدى في معارضة عمل المرأة، ويدعو إلى إدخالها في «المشروع الإسلامي». يقول العودة: «... على سبيل المثال قضية التمريض مثلاً، وهي من أحدث القضايا، حتى زاد عدد المسجلات عن 16 ألف متطوعة. وعقدت حفلات التخرج على أرقى المستويات، ونحن لم نجد شيئاً من هذا في ما يتعلق بالتدريب على السلاح الذي هو أهم بمراحل من التمريض، فإن العناية به ليست كذلك والدعاية له في الصحافة ليست كذلك، والعناية بالذين يقومون

= الإسلامية، بكلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه. حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه – عام 1399هـ (1979م). والدكتوراه من نفس القسم – عام 1404هـ- (1984م). ثم عُين أستاذاً مساعداً في قسم القرآن وعلومه عام 1404هـ (1984م)، اعتقل لمدة 4 سنوات تقريبا في سجن الحائر في المملكة العربية السعودية مع سلمان العودة، وسفر الحوالي، وآخرين. يعدّ من الرموز الأساسية للصحوة الإسلامية لكنه لم يواكب موجة التغير التي واكبها مجايلوه مثل الشيخ سلمان العودة والشيخ عائض القرني. له لقاءات فضائية متقطعة في قناة المجد الإسلامية، وقناة الجزيرة القطرية، وتلفزيون دولة قطر.

بحضوره ويتدربون فيه ليست بالدرجة الكافية وهذا مشهود حتى في مجال الصحافة والإعلام.... من سيدرب المرأة على السلاح، نحن بين أمرين: إما رجال، وإما نساء من الأمم الأخرى...»[69].

يرى العودة أن تدريب المرأة على السلاح أهم من التمريض، فهو يكنُّ الازدراء لمهنة التمريض، ذلك أن المخيال الذي احتفظ به خطابه عن المستشفيات كان كفيلاً بتحريم هذه المهنة. يقول

عن الحفلات الماجنة في المستشفيات: «... موقف ثالث: انتشار الروائح العفنة عن عدد من المستشفيات من مشارق البلاد وغربها، فيوماً تسمع عن حفل راقص، ويوماً عن مسابقة سباحة، ويوماً رابعاً تسمع عن مسابقة موسيقى، ويوماً تسمع عن نزع الحجاب من الممرضات، وكأن المسؤولين عن هذه المستشفيات لا يَرَونَ في الأمر حرجاً ولا يَرَونَ في الأمر خَرْقاً لقوانين البلد والمجتمع...»[70].

بقيت هذه الصورة النمطية عن دهاليز المستشفيات في السعودية سائدةً لدى بعض الشرائح الاجتماعية، وهذا ما دعا المؤسسات المدنية في السعودية للإشارة تكراراً إلى خطورة

69 - شريط: «لسنا أغبياء بدرجةٍ كافية»، مرجع سابق.
70 - المرجع السابق.

العنوسة المنتشرة بين الطبيبات والممرضات السعوديات، وذلك يعود إلى صورة تكوّنت ببطء وتمكنت من المجتمع، مؤداها أن الوسط الطبي موبوء بأشكال الفساد. اعتبر العودة تعليم الموسيقى شكلاً من أشكال الفساد الذي يغرق فيه المجتمع، يقول: «...وهناك الإعلان عن دورات للتدريب على الموسيقى للمراهقين...»[71].

إذا قرأنا الخطاب القديم لسلمان العودة، وقارناه بكل المواقف الاجتماعية المتحفظة التي سادت، والتي تحفّظت على الموسيقى، والفنون، وعلى الانفتاح على التخصصات والخدمات الطبية للنساء، من قبل الرجال؛ نجد تلك الخلطة أو المزيج من العادات والتقاليد المصبوغة بإرادة دينية. ونرى أن خطاب العودة القديم ساهم في رسم صورة محددة عن التدين، وتضخيم دور الشكل على حساب المضمون، والتخويف من الجمال. نقرأ تحول المجتمع السعودي من زمن البراءة التي كانت سائدةً في متابعة الأغاني والمسلسلات والمسرحيات على التلفزيون السعودي الرسمي، ومن ثم تحوّله إلى مجتمع يُقادُ بالفتاوى والتوجيهات الدينية المتزايدة، في أدق تفاصيل الحياة. نقرأ ذلك التحول الخطير من خلال النتائج التي وصل إليها المجتمع على المستوى النفسي والاجتماعي.

71 - المرجع السابق.

هجوم العودة على مهنة «التمريض» كان نموذجاً على ضخامة الأعمال الممنوعة على المرأة والتي تمكنت من خطابه القديم، يقول: «ولا تصحو من ذلك إلا على صوت يحدثك عن مجال الطيران والفتاة السعودية في مجال الطيران وإثارة ذلك في الصحف. جريدة الرياض مثلاً تحدثت عن سعودية خاضت التجربة، وتنقل عن عزيز ضياء أنه لم يصدق أن الشعب السعودي وصل إلى هذا المستوى وقوله: «لا أملك إلا التساؤل عن موقف الذين يحاولون ولا يزالون يصرون على وضع الحواجز أمام مسيرة هذه الفتاة»... ثم تتساءل أنت عن هؤلاء الذين يقصدهم فتقول إنه يقصد العلماء الذين سخر منهم في أكثر من مناسبة، وبالتأكيد إنهم يقولون: إذا قادت المرأة الطائرة فكيف لا تقود السيارة...»[(72)].

هذه الغضبة الضارية ضد أشكال حركة المرأة كافة، متمكنةً من خطاب العودة القديم، ذلك أنه وفي خطابه الجديد الذي سنقرؤه على امتداد هذه الرسالة في مجالات وموضوعات برنامج «حجر الزاوية» نجده يدخلُ في رؤية أُخرى لا تُقيمُ الفواصل والحواجز بين الدين والعقل والمصلحة. أما نموذج الخطاب القديم بكل وضوحه تجلى في ذاك الخطاب الحماسي الذي أخذنا أمثلته هنا. لكأن العودة يسير في الإباحة والتحريم على مسار محدد تفرضه رؤيته الافتراضية للواقع، ووعيه الخاص به.

72 - شريط: «لسنا أغبياء بدرجة كافية»، مرجع سابق.

لقد أخذت المرأة مساحة واسعة من خطاب العودة القديم، كانت محور الصراع، بل كانت الأداة التي يتصارع بها العلماني والإسلامي في تلك المرحلة؛ وربما إلى اليوم. وكأنما هناك فرضية تحكم الصراع مفادها أن من يقنع المرأة بمنهجه فإنه سيقنع المجتمع بأكمله. من جهةٍ أخرى ساهم خطاب تحويل المرأة إلى عورة متحركة في الواقع الاجتماعي إلى تكوين صورة سوداء عن المرأة تعتبرها موضع الخطيئة والجريمة.

لم تكن الصحافة السعودية بمنأى عن ضربات العودة في خطابه القديم. كانت مقالات سلمان العودة تُنشر تحديداً في مجلة «البيان» التي أسسها وهيمن عليها التيار الصحوي (السروري) في السعودية، ولم يكن يتعاطى كثيراً مع الصحافة. وله عبارات شهيرة في الهجوم على الصحف، كان يصف جريدةً مثل «الشرق الأوسط» اللندنية بـ «خضراء الدِمَن»[73]. كان على خلاف دائم مع المنهج الذي اختطّته الصحف. يقول: «... موضوع الصحافة، وما أدراك ما الصحافة؟ فإن الصحافة أصبحت ورقةً رائجةً للعلمانيين ينشرون فيها خزيهم وفسادهم، ومايشاؤون، وكأنه لارقيب عليهم وقد استغلوا واحتلوا هذه الصحف. فبالأمس مكنوا للحداثيين ينفثون سمومهم فيها ويتكلمون شعراً ونثراً ونقداً،

---

73 - «خضراء الدِمَن»، عبارةٌ سائرةٌ من أثرٍ منسوب للنبي صلى الله عليه وسلم، والذي ذكر أنها: «المرأةُ الحسناءُ في المنبت السوء».

ويئدون ويحاربون الأصوات التي تقوم ضدهم، ولو كانت أصواتاً قويةً، ولو كانت شعراً جميلاً، ولو كانت نثراً راقياً، ولو كانت أدبا رفيعا. المهم أن كل شخص ليس من الحداثيين وأدوا صوته ومنعوه، وهي أيضاً وكر للعلمانيين ومنبر لهم، ولا شك أن العلمانيين والحداثيين هم وجهان لعملة واحدة، إن صح أن هناك فرقاً بين الحداثيين والعلمانيين، فالصحافة ما بين إعلانات عن السفر والسياحة، إلى بانكوك وكازبلانكا وبلاد الإباحة والفجور والرذيلة وتخفيضات وتسهيلات إلى نقل للسفر الخليع الفاجر، إلى نشر لشعر المعاكسات والمغازلات، فهذه تتغزل بحبيبها وهذا يتغزل بحبيبته، وحتى الأشعار النبطية الساقطة السخيفة يفسحون لها صدورهم. لماذا؟ لأنه لا يهمهم الشكل، يهمهم المضمون، مادام المضمون يتحدى المجتمع، ويتحدى أخلاق الأمة ويتحدى الدين، فإنهم ينشرونه ولو كان بلغة ركيكة، يصححون ويعدلون وينشرونه بطريقة أحسن مما كان ومع ذلك فهي ركيكة...»[74].

ينتقد العودة هنا «الركاكة» في الصحافة، بينما يقع في مطبّ معرفي واضح حينما لا يفرق بين «العلمانيين» وبين «الحداثيين»، مع أن الفرق بين العلمانية، وبين الحداثة، متاح معرفياً، إذ الأولى تتصل بإدارة النظم السياسية وتحديد مستوى حركة الدين في

74 - شريط: «لسنا أغبياء بدرجةٍ كافية»، مرجع سابق.

الواقع، والثانية تعنى بالتحديث الفكري والشكلي، والحداثة تدخل حتى على الأزياء والمأكولات، والألبسة، والشعر، بينما هو وصفهما بأنهما: «وجهان لعملة واحدة».

ويبدو الخطاب القديم مشحوناً بعبارات تعكس حجم الصراع والعراك، في تلك الفترة. في هذا النص يستخدم كلماتٍ مثل: (خزي، فساد، إباحة، فجور، رذيلة، خليع، فاجر، ساقطة، سخيفة). وهكذا نرى أن لغة العراك، متجذرةٌ في محاضراته، مع أن خصومه لم يكونوا كثراً، بل كانوا يردّون عليه على مرأى من الناس في الصحف كما هو حال الراحل غازي القصيبي الذي كان قد دخل معركةً حامية الوطيس معه في تلك المرحلة، وسنرجع إليها في محور لاحق.

يواصل الشيخ العودة في خطابه القديم نقد الصحافة، فيقول: «...هذه هي الهموم الكبرى للصحافة، كيف تعالج الصحافة وضع المرأة؟ تثير الصحافة هذه الأمور وتطرح القضايا لأي تغيير في المجتمع وتنشر كل ما يتعلق بهذا المجال، تتحدث عن أن التغيير آت لا ريب فيه، وأن حركة التطور في المجتمع لا بد منها، وأن التغيير قادم، والمسألة كما يقولون مسألة وقت...كثيراً ما تتحدث الصحافة عن التنمية ودور المرأة فيها... وقد فتحت الصحافة

في هذا المجال صفحاتها لكاتبات معروفات الهوية، وأسماؤهن لاتخفى، وقد برزت مؤخراً في الأحداث الأخيرة... وتنتقد إحدى الدكتورات، الطالبات اللاتي يرفضن دراسة الأدب الإنجليزي ويعترضن عليه، ويا ليتكم تقرأون وتطلعون على ما يُدَرَّس في أقسام الأدب الإنجليزي من القصص الخليعة والكلام الفاضح والتي تعتبر هذه الدكتوره في مقالها في إحدى الصحف أن الطالبة التي ترفض دراسة الأدب الإنجليزي بأنها توصف وتوصم بأنها فتاة متطرفة... إنهن يشكلن حصاراً على الصوت المسلم، حصاراً على الفتاة المتدينة، أقولها بملء فمي: يحاولون ويحاولن جر المتدينين والمتدينات إلى التطرف جراً، ويحاولون باستغلال مناصبهم ومراكزهم وحرمان الطيبين والطيبات من الصوت القوي النزيه، يحاولون جر المؤمنين والمؤمنات جراً إلى التطرف، وهم يقصدون من وراء ذلك ما يقصدون...»[75].

هنا يبلغ العودة ذروة التحكم بحركة المرأة محركاً أبرز سمة من سمات خطابه القديم، وهي سمة التحكم بمستوى حركة المرأة ومجال مشاركتها في الحياة العامة. يسخر من اللواتي يطالبن بتعليم الفتاة الأدبَ الانجليزي بسبب تضمن تلك المناهج الكثير من «القصص الخليعة» و«الكلام الفاضح»، بحسب قوله. يُلاحق

75 - شريط: «لسنا أغبياء بدرجةٍ كافية»، مرجع سابق.

العودة المرأة مانعاً إياها من الاشتراك في أي مجال من المجالات التي لا يؤيدها، فبعد أن منع المرأة من العمل في الطبابة، وفي التمريض، ومنعها من دراسة الأدب الانجليزي، ومن قيادة السيارة، ومن قيادة الطائرة، تمتد ملاحقته في خطابه القديم للمرأة إلى حد التحذير من أن تعمل المرأة في المصانع، يقول: «... في أعمال كثيرة جديدة أصبحت تطرح على أن المرأة تشارك فيها في الدوائر الحكومية حتى المصانع، ففي جدة أصبحت المرأة كما تقول الأخبار تشتغل في مصانع الحلويات وغيرها من المصانع، وتعمل في عدد من الدوائر الحكومية بل حتى في الشركات الوطنية تعمل من أجل رفع مستوى الاقتصاد الوطني كما يقولون...»[76].

من جانب آخر يعود إلى مجال تعليم المرأة، إذ حمل خطابه القديم النقد المباشر للمؤسسات والجامعات، فهو مثلاً ينتقد الاختلاط في جامعة الملك سعود، إذ رأى أن: «...الاختلاط في الجامعات كجامعة الملك سعود مثلاً، في أكثر من كلية وفي كلية الطب، وفي المختبرات وفي بعض المواقع وفي جامعات أخرى في جدة، وفي الشرقية، جامعة الملك سعود أصبحت بعض أقسامها وبعض كلياتها عشاً ووكراً يخرج لنا مثل هذه النسوة وينعق بتلك الدعوات المشبوهة التي أصبحت تقض مضاجع الغيورين على الأمة

76 - المرجع السابق.

وعلى الدين والأخلاق، وعلى أمن هذه البلاد وكرامتها... أما الآن فهناك همس أصبح يتعالى، يدعو إلى أن يدخل الدكتور مباشرة على البنات للتدريس مباشرة، بدون حواجز ويقول: إن التدريس بواسطة الشاشة التليفزيونية فيه مشقة وتكلفة وفيه صعوبات وفيه سلبيات، فما هو الحرج في أن يدخل الرجل على البنات ويدرسهن مباشرة؟ بل ما هو الحرج في أن يُدَرِّسَ الطلابَ والطالبات؟ هكذا يدعون الآن (للدراسة) في صف وفصل واحد بحيث يكون الطلاب من الأمام والطالبات في الخلف، والطلاب لهم مدخل وباب خاص، والفتيات لهن مدخل وباب خاص آخر، وكل ذلك لا مانع أن نقول ذلك وفقاً للدين الحنيف وشريعتنا السمحة فهذه أصبحت كما يقولون (كليشة) توضع على أي أمر نريده، حتى ولو كان هذا الأمر أمراً معروفاً فإنه يراد من ورائه حرب الإسلام، يقولون: لا مانع أن يقال أو يفعل ذلك وفق تقاليد شريعتنا السمحة...»[77].

أيضاً حاول سلمان العودة أن يُبيِّن مستوى المؤامرة الذي يمكن أن يحدث للمرأة حسب رؤيته هو، فيتحدث في محاضرته هذه قائلاً: «...همي أن أكشف أبعاد المؤامرة على المرأة المسلمة في هذه البلاد وأن لا ننخدع في ما يقال ونظن أن القضية مجرد دعوة أن تقود المرأة السيارة...».

---

77 - شريط: «لسنا أغبياء بدرجةٍ كافية»، مرجع سابق.

وهكذا فإن العودة يرى –بحسب خطابه القديم– أن قيادة المرأة للسيارة، خطة منظمة ذات طابع مؤامراتي، تتناظر في السوء والشر، مع الاختلاط في الجامعة، ومع امتهان المرأة للتمريض، أو إقبالها على دراسة الأدب الإنجليزي. هذه الأمور جميعاً، في نظر العودة، آنذاك، تقض مضاجع الغيورين على الأمة، وعلى الدين والأخلاق.

بعد أن عرضنا نموذجاً أولياً لخطاب سلمان العودة القديم، يمكننا أن نقارنه بمسار التحوّل الذي اختطّه لنفسه مؤخراً، يكفي أن نقارن موقفه من قيادة المرأة للسيارة القديم، بموقفه الجديد، فهو يقول في مرحلته الحالية عن قيادتها للسيارة، بعد أن تلقى اتصالاً من أحد المشاهدين في برنامج «حجر الزاوية» سأله فيه عن حكم قيادة المرأة للسيارة؟ فأجاب قائلاً: «هذه يا أخي مازن ليست قضية، وهي ليست قضية شرعية، ليست قضية دينية، وإنما هي قضية تخضع لعادات المجتمع وقوانين الدول»[78]. إن إجابة سلمان العودة هذه توضح المسافة بين الخطاب القديم والخطاب الحالي، ربما يكون الاختلاف ضمن الإطار الإسلامي، لكنه وصل إلى درجة متقدمة من الانفتاح، والاستيعاب للمستجدات، وهذا ما سنتناوله بشكل أكبر في فصل مجالات برنامج «حجر الزاوية».

78 - برنامج «حجر الزاوية»، «حلقة مفتوحة»، بثت في 9 سبتمبر (أيلول) 2008.

المحور الثاني - الحرب مع «العلمانيين» السعوديين:

عرفنا في المحور الأول مستوى التشنج والحماس، الذي اتسم به خطاب العودة القديم، وضم المحور الأول مجرد مثال ونموذج على مستوى الاختلاف في درجة هدير الخطاب، وسنقرؤه في النموذج الآخر الذي سنطالعه في قراءة مضمونية لمحاضرة «الشريط الإسلامي ما له وما عليه»[79]. في بداية الشريط لكأن العودة يعلن حرباً ضارية ضد كل تسجيلات الموسيقى، وذلك يذكرنا بما قاله في شريط: «دلوني على سوق المدينة»[80]، حيث كان يَحضُّ على الاستثمار في الشريط الإسلامي. لقد كان العودة نجم الكاسيت السُّنّي في عصره، كان في فترة فوران المبيعات للأشرطة الإسلامية. يذكر العودة في هذا الشريط أن: «بعض التسجيلات لديها قائمة للمحاضرات المتداولة بأكثر من تسعة آلاف وخمسمائة شريط، يباع منها شهرياً مايزيد على ستين ألف شريط، البعض يراها أرقام خيالية. شريط «هادم اللذات»[81] بيع منه في محل واحد واحد فقط أكثر من ثلاثين ألف نسخة. وبيع

---

79 - شريط: «الشريط الإسلامي ما له وما عليه»، محاضرة ألقاها سلمان العودة في 19 ديسمبر (كانون الأول) 1990، وهي موجودة على الرابط:
http://www.islamway.com/?iw__s=Lesson&iw__a=view&lesson__id=57

80 - المرجع السابق.

81 - هو شريط للداعية: عبد الله بن حماد الرسي، «هادم اللذات»، وهو يتحدث عن الموت وسكراته، وانتشر بين الشباب منذ أواخر الثمانينيات في السعودية. وهو بنصه على الرابط:
http://www.midad.me/sounds/view/40476

منه في عموم المملكة مايقارب مائتي ألف نسخة. وضرب رقماً قياسياً في سرعة الانتشار»[82].

في معرض شرح رؤيته في هذا الشريط يعتبر العودة الشريط الإسلامي «الكاسيت» أداةً للصراع بين الحق والباطل، ويتحدث عن معوقات انتشار الشريط الإسلامي قائلاً: «... الأعداء الخارجيون الذين يخوِّفون الناس من الشريط ويحملون الشريط ما لا يحتمل حتى يصوروا الشريط وكأنه مادة متفجرة كما فعلوا في كاريكاتيراتهم وصورهم، بل إنهم يعقدون جلسات في مؤسسات سياسية كبرى للتحذير من الشريط والتخويف منه. وهذا ما يحول دون انتشاره. الوقوف في وجهه والحيلولة دون ترخيصه...»[83]. رأى العودة في خطابه القديم إذاً أن الشريط الإسلامي عبارة عن مدفع رئيسي في حربه ضد العلمانيين، وضد الأطراف المناوئة كافة، بما فيها الطرف السياسي، الذي كان حينها على خصومة معه، امتدت لبضع سنوات، وأدت إلى اعتقاله.

كما لا يستنكف العودة من الحديث عن وجود محاولات منظّمة لضرب الشريط الإسلامي، بغية ضرب الإسلام ذاته. ذلك أنه -كان- ينطلق من رؤية أصولية واضحة حينما تحدث، قائلاً:

82 - «الشريط الإسلامي ماله وما عليه»، مرجع سابق.

83 - المرجع السابق.

«بعض الأطراف والجهات التي يتوقف على موقفها انتشار الشريط أو عدمه وسماحها وامتناع الناس من شرائه أو تداوله إضافة إلى أنها تتحكم في فتح فروع جديدة من عدمها وتحول دون تحويل بعض محلات الأغاني إلى تسجيلات إسلامية... يكفي أن ندركَ السُعارَ العجيب الذي أصاب أعداء الدين وأعداء الدعوة من انتشار الشريط الإسلامي، فإنه ما أصابهم ماأصابهم إلا حينما رأوا من انتشار الشريط وفاعليته ودخوله كل بيت بل كل عقل وكل سيارة وتأثر الناس به على كافة فئاتهم وطبقاتهم. فهو من أقوى وسائل الدعوة انتشاراً، وكم من إنسان كانت هدايته بسبب شريط استمع إليه فكان سببا في تغيير مسار حياته من الظلام إلى النور...»[84].

ربط العودة في خطابه القديم بين المحتوى الذي يطرحه وبين المراد الإلهي في النص الإسلامي، بينما في خطابه الحالي في برنامج «حجر الزاوية» يُغَلِّب جانبَ الترغيب على الترهيب، إذ يقول في خطابه الجديد: «الإنسان يُفكر كيف يُقدم للناس ما لديه، يعني يُراعي الأسلوب ويراعي الطريقة ويقدم الترغيب على الترهيب، وهذا ذكره ابن عبد البر، وأشار إليه الشيخ ابن باز -رحمه الله- وقال: هو المتعين في هذا العصر، والذي لا يمكن غيره بسبب غلبة الجهل على الناس والبعد عن الدين فيحتاج

84 - المرجع السابق.

الناس إلى مراعاتهم وتقديم جانب الترغيب على جانب الترهيب وجانب الدعوة على جانب الحكم والمحاكمة والمساءلة والتقريع والتوبيخ»[85].

بين النصين الماضيين نعرف أن الخطاب القديم لسلمان العودة لم يكن يراعي جانب الترغيب في خطابه الأول، بقدر ما كان يتشنج في الترهيب، وفي ربط مُراد الله بمرادات تأويلاته، أو تأويلات غيره من الفقهاء الذين يستند إلى مرجعيتهم. وفي النص الأخير الحديث يمكن ملاحظة التطور في طريقة تناول الوعي الاجتماعي ومستوياته. بينما كان يهاجم الذين يسخرون من الشريط بما يتضمنه ذلك الشريط موضع السخرية، صار يتحدث عن الترغيب، وعن تغليب جانب الحكمة في الخطاب، ويمكن لأي قارئ أن يدرك في أي النصين تكمن الحكمة وسلاسة العبارة، وأضواء التيسير.

في شريطه ذاته، يتحدث العودة عن جانب مضموني آخر، وهو تضخيمه للمؤامرة على الشريط الإسلامي إلى درجة جعلتْه يظن أن دوائر القرار الغربي تجتمع من أجل محاربة الشريط الإسلامي ورسم الخطط ضده، يقول العودة في خطابه القديم:

85 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «مراقبة الله»، بث في 6 سبتمبر (أيلول) 2008.

«الهجوم الكاسح الغربي على الشريط أصبح ليس سراً هناك جلسات كبيرة في دوائرهم الكبرى، السياسية والإعلامية للكلام عما يسمى بمعركة الشريط، والهدف من ذلك تهويل الأمر وإثارة المخاوف من هذه الأشرطة ولذلك كثير منهم كما استمعت إلى أشرطتهم وقرأت كثيراً من اخبارهم يربطونها بما حدث في إيران وما جرى فيها»[86].

يشير العودة إلى دور «الكاسيت» في صعود الخمينية[87] وربطهم لصعود «الكاسيت» السني، بصعود الكاسيت الشيعي، ويمكن اعتبار هذا النص عبارة عن تلميح من قبل رمز ديني أساسي في تيار الصحوة الإسلامية في السعودية، ذلك أن ربط صعود الحركات الإسلامية بالحركة الخمينية كان موضع استنكار من قبل بعضهم، فهم يرون في نشاطهم استقلالاً عن التأثير الشيعي. كما يلمح العودة في مضمون النص السالف إلى خطورة انتشار الكاسيت الإسلامي؛ وكان في تقريره هذا يستند على ما رآه من تضييق على أشرطته في بعض دول العالم الإسلامي، حيث مُنعت في فترةٍ من الفترات بعض محاضراته من التداول في السعودية، وذلك قبل القبض عليه في العام 1994.

86 - «الشريط الإسلامي ما له وما عليه»، مرجع سابق.
87 - راجع التمهيد.

من خلال سماعي لمحاضرات سلمان العودة وقراءة ما فُرِّغ منها والتي ناهزت ثلاثمائة محاضرة، ومقارنتها بحلقات برنامج «حجر الزاوية» التي قاربت مائةً وخمسين حلقة، وجدْتُ أن العودة تحول على مستويات كثيرة، من بينها تحولات أسلوبية، وأخرى فكرية، وثالثةٌ مضمونية. كما أن هناك تحولات على مستوى بعض المفاهيم الكلية، لكن موقفه من المخالف داخل التيار الإسلامي السُنّي –والذي سنفرد له فصلاً ضمن مجالات الدراسة في الرسالة- لم يتطور، ليصل إلى التسامح مع المخالف الشيعي على سبيل المثال، بل بقي أميناً للتناول الحادّ لهم، خاصةً في هذه المحاضرة عندما شُبّه «الكاسيت» السلفي بالكاسيت الخميني وهذا في مخيال العودة اللاواعي شأنٌ مستنكرٌ، وهو الأمر الذي جعله ينفي –لا «الكاسيت» الخميني فحسب- وإنما التيار الشيعي كلياً، يقول العودة، آنذاك، متحدثاً عن الفوارق بين السعودية؛ حيث مذهب أهل السنّة والسلفية ودعوة ابن عبد الوهاب، وبين إيران، أرض الفتن ويصرح أن علماء «الرافضة» علماء ضلالة تابعون وليسوا علماء حقيقيين: «وهم بذلك خبثاء بلا حدود لأنهم يتجاهلون عمداً الفوارق الأساسية بين البلاد، بين هذه البلاد المباركة الطيبة وتلك البلاد المليئة بالفتن بينهما فرق كبير، لايجهله أحدٌ سواء من الناحية الاعتقادية، فأولئك قوم من الرافضة الشيعة لهم اعتقاد خاص ولهم مبدأ خاص في معاملة بعضهم

بعضاً وفي معاملة مجتمعهم، وفي هذه البلاد يخيم بحمد الله مذهب أهل السنّة والجماعة بل العقيدة السلفية الصحيحة، وآثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- باقية معروفة. كذلك من الناحية العلمية فهناك فرق كبير بين البلدين فهنا العلم بحمد الله يمد رواقه ويضرب أطنابه، أما هناك فإنه ليس لديهم علم، إنما لديهم علماء يُتّبعون، وليسوا علماء بل علماء ضلالة إنما العامة تتبعهم بدون تبصر وبدون روية وبدون تفكير...»[88].

نذكر هذا الفرق لنعلم أن خطاب العودة القديم والأخير بينه مشتركات، وإن كانت ليست كثيرة، لكن موقفاً مثل موقفه من «الشيعة» لا يمكن إغفاله، وأشير إليه هنا كتوضيح لمثال، وسأتناول في الفصول التالية بالتفصيل موقفه منهم في خطابه الأخير.

إن التحول الذي شهده خطاب العودة على ضخامته، وجدت فيه استثناءات وإن في زوايا ليست كثيرة، لكنها موجودة، بين أشرطة الأمس الصارخة، وبرنامج اليوم الناعم، وهو الذي سأرصده في خضم تناولي للمجالات المضمونية، التي تطرق إليها خطاب سلمان العودة.

88 - «الشريط الإسلامي ما له وما عليه»، مرجع سابق.

بقي الدفاع عن الكاسيت متمكناً من خطاب العودة القديم، كان يعتبره السلاح في وجه الخصوم، يقول: «فمنذ زمن حين ثارت قضية الحداثة نشر في جريدة «اليوم» في عددها رقم 5399 مقال بعنوان فوضى الكاسيت أبدى امتعاضه من الرواج الكبير الذي تلقاه الأشرطة الدينية، وذكر أنها أصبحت نوعا من التجارة الرابحة لأولئك الذين لايريدون خيرا بتلك الأشرطة وإنما هي متاجرة بالدين لا تليق بمسلم. ووصف المتحدثين بتلك الأشرطة بأنه لايعلم إلا الله مدى تمكنهم من الحديث والطرح الجاد لصالح الإسلام والمسلمين... ووصف ما يجري بأنه لا بد من التعامل معه بحزم حفاظاً على نقاء الدين الإسلامي الحنيف وصيانة للمجتمع من عوامل الانشقاق إذا تسربت إليه بذور الشك..الذين يبثون الشقاق في المجتمع هم الذين يدعون إلى التوحيد وإلى الصلاة والزكاة والصوم والحج وهم الذين يحاربون النحل الضالة من الحداثة العلمانية وغيرها، أما أصحاب الحداثة فهم الذين ينشرون سمومهم في هذا المجتمع، ويبثون أوبئتهم ويدسون أنوفهم في كل مكان، فهؤلاء هم الدعاة إلى الوحدة الوطنية أجاركم الله»[89].

كانت المقدمات التي بدأ بها العودة في محاضرته المشار إليها: «الشريط الإسلامي ما له وما عليه» عبارة عن ممهدات

89 - «الشريط الإسلامي ما له وما عليه»، مرجع سابق.

للانقضاض على غازي بن عبد الرحمن القصيبي[90]، الذي يقول في الرد عليه في مسألة الفصل بين الدين والسياسة: «طالعتنا صوت الكويت بمقال «يوميات كاسيت»... يوم السبت تحدث المقال عن شريط أحد العلماء المعروفين، وطالب صاحب المقال العلماء أن يبقوا في تخصصهم حتى لا يغرقوا ويغرقوا الشباب الحائر معهم، وطالب بأن يبتعدوا عن الحديث في الأمور السياسية. يا عجباً متى كان الفصل بين الدين والسياسة، ومنهج من هذا؟ إن عندنا علماء نرجو بركتهم ونأخذ منهم في أمور الحلال والحرام ونقبل حديهم في الحديث ولا نأخذ عنهم في أمور السياسة، فمتى كان الفصل بين الدين والسياسة؟ ماهي قيمة العالم إذا لم يبين للناس قضاياهم السياسية التي هي من أهم القضايا التي يحتاجون اليها والتي تتعلق بمصالح الأمة العامة»[91].

---

90 - غازي بن عبد الرحمن القصيبي، من أشهر الكُتّاب والأدباء والروائيين السعوديين، اشتهر بإدارته للتنمية في مختلف وزارات الحكومة التي تولاها، وكان ركناً أساسياً في الحداثة التنموية في السعودية، وهو أول كاتب تصدى للتيار الإسلامي السعودي في زاويته في «الشرق الأوسط» اللندنية، التي كان يكتبها تحت عنوان «في عين العاصفة»، ثم كتب رسائل إلى سلمان العودة، وناصر العمر، وعائض القرني جمعها في كتاب باسم: «حتى لا تكون فتنة»، الطبعة الثانية 1991، من دون دار نشر. وهو من مواليد الهفوف، شرق السعودية، في 2 مارس (آذار) 1940. من أهم كتبه التي تؤرخ لمراحل التنمية والتحديث في السعودية «حياة في الإدارة»، من مطبوعات: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى: 1998، توفي بعد معاناة مع المرض صباح يوم الأحد 14 أغسطس (آب) 2010، بعد حياة حافلة، ارتبطت بتأسيس الكثير من البنى التحتية في المملكة العربية السعودية.

91 - «الشريط الإسلامي ما له وما عليه»، مرجع سابق.

كان القصيبي ينشر في زاويته «في عين العاصفة»، ممرّراً رسائل، تستفز في الغالب رموز الصحوة الإسلامية في السعودية[92]، وكان من بين الذين وقعوا فريسة الاستفزاز سلمان العودة في خطابه القديم. يقول العودة رداً على القصيبي، متهماً إياه بـ «البحث عن الشهرة» وبأن: «القصيبي ينافس الإسلاميين بإصدار شريط لقصائد عن صدام، ولكن صوته القبيح والسعر المرتفع للإصدار حال دون انتشاره». كما يقول العودة: «إنك أيضاً في مقال: «يوميات كاسيت» وصفت طائفة أخرى من المؤمنين بأنها تستهدف الشهرة من خلال الشريط.. فها أنت تقول ساخراً من شابٍّ بكى من وجود مجندة أجنبية، تقول لماذا لا ينضم صاحبنا إلى المقاومة الكويتية. أرجو ألا يكون السبب الخوف.. وليس كذلك أصحاب الكاسيت فهي شعبية بلا ثمن... لم هذا الزخم الهائل من الكتابات حتى كثرت مقالاتك ومقابلاتك وقصائدك وتعليقاتك ومشاركاتك، حتى أن بعض الصحف ربما لو لم تصلها المقالة ما صدرت ذلك اليوم، فضلا عن المجلات الأسبوعية، والكتب، وأخيراً الأشرطة، حتى تجار الكاسيت الذين يسميهم ذلك التعيس... لم ترض إلا أن تشاركهم في عملهم الذي لم يبق بأيديهم غيره، وكأنك تندب حظك العاثر حينما تقول:

---

92 - راجع نماذج من سخط الإسلاميين عليه في كتاب: الخضر، عبدالعزيز، السعودية سيرة دولة ومجتمع: قراءة في تجربة ثلث قرن من التحولات الفكرية والسياسية والتنموية، مرجع سابق.

«جاء دوري، وهذا فاليوم استمعت إلى كاسيت بصوت قبيح يحتوي على القصائد التي كتبتها بعد الاحتلال وها أنا اصف نفسي بدون تردد من مجاهدي الكاسيت رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه وها أنا عرفت قدر نفسي جبان أخاف الموت في المعركة فأؤثر السلامة في الكاسيت، وأنا على خلاف زملاء المهنة من مجاهدي الكاسيت أحمد الله ان جعل البترول ضرورياً للعالم كله، كأنك تلمح إلى عدم انتشار شريطك وسبب ذلك تعزوه إلى صوتك القبيح كما وصفت... اسمح لي أن أقول لك رأياً متواضعاً: أولاً السعر غالٍ، الشريط بعشرين هو والكتاب والمضمون واحد لأن الكتاب مفرغ في الشريط فالذي يستمع إلى الشريط لا يحتاج للكتاب والذي يقرأ الكتاب لا يحتاج إلى الشريط، فلماذا يقرن بينهما في كيس واحد؟ الكتاب في سبعين صفحة فخمة ملونة منها عشر صفحات بيضاء مئة بالمئة والباقي يكون في الصفحة أحيانا كلمتان أو ثلاث كلمات. ماحاجة القارئ لذلك مع أنك تعرف ظروف القارئ الاقتصادية. وماحاجته إلى الشريط بصوتك القبيح على أنغام الموسيقى؟»[93].

لا يمكن لمن قرأ هذا النص المفرّغ من محاضرة سلمان العودة، ولمن شاهد نتاجه الأخير، وعلى الأخصّ في برنامج «حجر

93 - «الشريط الإسلامي ما له وما عليه»، مرجع سابق.

الزاوية» أن يتخيل أن هذا هو سلمان العودة. لقد حاصر الخطاب القديم العودة إلى درجة كبيرة، وكل من سمع الخطابين تملّكه الذهول. إن العودة تطهّر من كل العبارات التي وردت على لسانه إبان حديثه عن القصيبي، والذي لم ينته بعد؛ فوصفه لصوته بالقبيح والذي جاء قوياً مع أن القصيبي هو من وصف نفسه بذلك منطلقاً من كتاباته ذات الأسلوب الساخر، غير أن ذلك لا يبرر هجوم العودة. إن العودة بمقارنة سريعة يبين لنا أنه –في طرحه ببرنامجه– تخلص كثيراً من مخلفات التشدد في خطابه القديم.

كان ينهر القصيبي وكأن القصيبي، لم يكن ذا شأن على الإطلاق، كان يتحدث معه بنبرة عنيفة ساحقة، يقول مثلاً: «أخيراً ما معنى نشرك في «الشرق الأوسط»، باقة من الورود الحقيقية تعبيراً عن الإعجاب بشخصك مثلاً، فلان يرجو قبوله مريداً لنا، الجواب: لن تجد خيراً منا ترحيباً بمريد، فلان سمى مولوده باسمنا، وفلانة تصف كلماتنا بأنها جرعة أمن وأمان في هذا الزمان البائس، فلان يصف شخصنا المتواضع بالجوهرة، وآخر يرسل رجاءً حاراً هو ألا نمتنع أبدا عن الكتابة، العشرين يعبّر عن إشفاقه علينا من تعريضنا للمخاطر بسبب آرائنا... فلان يقول «عين العاصفة» هي الوجبة الدسمة الشهية. بقي أن أقول: إن المجتمع والأمة لا يمكن أن تقبل هذا المديح. ولا أن تتقبل البراءة

من حب المديح وحب الشهرة من إنسان ينشر مثل هذه القائمة الطويلة ممن مدحوه وكتبوا له رسائل ثناء وإطراء... الأمة تعرف مجاهدي الكاسيت كما وصفتهم منذ زمن بعيد وقد بلتهم وجربتهم في المحن والشدائد فوجدتهم أخلص الناس لها وأثبت الناس في الأزمات والمواقف وأصدق الناس وإن كانوا ليسوا بالملائكة ولا بالمعصومين... وتاريخهم طويل ولكن لعل اكتشافهم لهذه المعرفة، معرفة الأمة بهؤلاء الرجال، وأن الأمة لا تقدم عليهم أحداً هذا الاكتشاف المتأخر هو الذي سبب هذا الإزعاج»[94].

بهذه النماذج التي خصصتها للفصل الأول من الرسالة أحاول قياس المساحة التي ذهب إلى أقصاها سلمان العودة في خطابه القديم، من خلال اختيار هذه النصوص، كان يمكنني أن أختار أياً من أشرطته الأخرى، لكنني آثرت اختيار ما اخترت منطلقاً من منهج بحثي مفاده: أنني أبحث عن أقصى ما وصل إليه خطاب العودة القديم من تشدد، لأقارنه بموضوع الرسالة الجوهري المتعلق بمجالات التناول التي تضمنها برنامجه «حجر الزاوية»، وأظن أن النصوص الساخنة الماضية ستغري المتأمل لإكمال بقية مسارات تاريخ خطاب العودة، سأنقله من كل صخب وسخونة المعارك التي حملها ذلك الخطاب إلى مجالاتٍ أرحب.

94 - «الشريط الإسلامي ما له وما عليه»، مرجع سابق.

إن تحولات العودة أو مراجعاته لم تكن تعبر عن تاريخية خطاب العودة فحسب، بل عن ظروف الخطاب الديني الإسلامي ككل، وتضيق دائرة التعبير لتشمل تحولات المجتمع السعودي ذاته، الذي كان مسكوناً بالبراءة الأصلية فترة طويلة، إلى أن جاء الخطاب الصحوي الإسلامي الذي غير مساره. إن هذا الفصل كان عبارة عن قراءة مضمونية لنماذج نصية من خطابات العوة القديمة، سأردفها بمقارنات أخرى بخطاب العودة الجديد، وفق رؤية بحثية تكونت بعد متابعة برنامجه «حجر الزاوية». وعن الفوارق بين الخطابين في فكر العودة، بين الخطاب القديم والخطاب الجديد سيكون الفصل الثاني.

الفصل الثاني

«حجر الزاوية»: قراءة في أبرز الموضوعات الفكرية

نتطرق في هذا الفصل لتحليل مضموني لبرنامج «حجر الزاوية»، لخمس سنوات خلال الفترة (2005-2009)، وهو برنامج تجاوز تأثيره المحيط المحلي السعودي، إلى الأقطار الإسلامية. انتخبت عدة موضوعات تطرق إليها سلمان العودة في البرنامج، وبلغ عدد الحلقات التي حللتها مضمونياً، واستقيتُ مادة الموضوعات الرئيسية منها مائة وخمس وأربعين حلقة من البرنامج. حاولتُ أن أختار موضوعات متفرقة تتناول الجوانب المدنية، والدينية، والفقهية، والفكرية. عدلت عن الموضوعات التي لم يكن سلمان العودة فيها مختلفاً عن غيره، كالحديث عن العبادات، وعن بعض التوجيهات، أو الإرشادات. بينما قمتُ باختيار موضوعات شكّلت منهجاً فكرياً للطرح الذي اختطه سلمان العودة في مرحلته الجديدة. وسنقوم بتحليل موضوعي يأخذ بالاعتبار الطابع التاريخي أو السجالي لأفكار العودة. وهذا ما سنشاهده في الموضوعات المتناولة في هذا الفصل.

أولاً: مفهوم الجهاد

أ - معركة نوفمبر (تشرين الثاني) 2004

بدأ بث برنامج «حجر الزاوية»، والمنطقة في حالة غليان سياسي، بسبب الحرب الأميركية على العراق في عام 2003،

وبسبب تجدد الشخصيات السياسية في فلسطين إثر وفاة الزعيم الفلسطيني، ياسر عرفات، في 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2004، أما في الشرق فهناك الصراع بين قوات التحالف، وبين «طالبان»، وما تبقى من فلول تنظيم القاعدة في أفغانستان وباكستان. لهذا كانت أولى الحلقات التي بثت في اليوم الأول من رمضان الموافق 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، حلقة عن «الجهاد». كان الجدل الدائر والمتردد عن الموقف الحقيقي لسلمان العودة مما يجري في العراق هو المهيمن على المشهد الإعلامي السعودي. في 5 نوفمبر (تشرين الثاني) 2004، نشر موقع «الإسلام اليوم» الذي يشرف عليه سلمان العودة، بياناً لنصرة «المجاهدين في العراق»، في ما عرف بعد ذلك بـ «بيان الـ 26»، وقد شارك العودة في التوقيع عليه، وجاء في عشر فقرات أساسية.

افتتح البيان بالتذكير بـ: «الحال الاستثنائية التي يمر بها أهلنا في العراق مما يدعو إلى التناصر والتضافر وتبادل الرأي والمشورة والنصيحة التي هي من حق المسلم على أخيه». ودعا البيان أهل العراق «خصوصاً من له رتبة أو جاه أو تأثير مادي أو معنوي إلى التوجه الصادق والنية الصالحة، والتخلي عن حظوظ النفس». وأكد البيان أن من «شروط النجاح فهم الظرف والمرحلة والواقع الذي يعيشه الإنسان فهماً جيداً؛ فإن أي طموح أو تطلع لا يعتد بالرؤية الواقعية، ولا يقرأ الخريطة بكل تداخلاتها وتناقضاتها

وألوانها؛ فإنه يؤدي به إلى الفشل». لكنه وفي الفقرة الموالية، حمل طابعاً أكثر سخونةً وحِدّةٍ، إذ قال إن: «جهاد المحتلين واجب على ذوي القدرة، وهو من جهاد الدفع، وبابه دفع الصائل، ولا يشترط له ما يشترط لجهاد المبادأة والطلب، ولا يلزم له وجود قيادة عامة، وإنما يعمل في ذلك بقدر المستطاع، كما قال تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم»[95].

مشاركة العودة في هذا البيان فتحت الباب للحديث عن حقيقة «التغير» الذي طرأ على فهمه للجهاد. وفي معمعة الحديث عن موقف العودة من الأحداث الدائرة في العراق، وفي حومة الجدل الذي أثاره بتوقيعه على البيان، صدرت جريدة الوطن السعودية في 20 نوفمبر (تشرين الثاني) 2004 وعلى صدر صفحتها الأولى باللون الأحمر البارز، العنوان التالي: سلمان العودة يستنجد بالمسؤولين لإيقاف ابنه ومنعه من السفر، والأمن يعثر على الابن ويسلمه خلال 24 ساعة، والابن يفاجئ الجميع إنها مزحة العيد!!». جاء الخبر غفلاً من اسم كاتبه، وفيه: «استنجد الداعية الشيخ سلمان بن فهد العودة بالسلطات السعودية أول من أمس طالبا البحث معه عن ابنه

95 - راجع نص البيان في موقع «الإسلام اليوم» نشر في 5 نوفمبر (تشرين الثاني) 2004. كما خصّصت صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية تحقيقاً عن البيان، حلّلت مضامينه، واستضافت بعض المتخصصين في حركات الإسلام السياسي لمناقشته، نشر التحقيق الذي قام به الصحافي مشاري الذايدي، تحت عنوان: «بيان السعوديين الـ 26 حول العراق: موقف نهائي أم محطة في الطريق؟» في 12 نوفمبر (تشرين الثاني) 2004.

معاذ الذي خلّف رسالة يفيد فيها بنيته التوجه للعراق للمشاركة في الجهاد. وأمام ذلك تحركت الأجهزة الأمنية لتلقي القبض على الابن في مدينة جبة 100 كلم شمال حائل. وبين لـ «الوطن» مصدر موثوق أن الشيخ العودة فوجئ برسالة تركها ابنه في البيت يقول له فيها: «موعدنا الجنة بإذن الله.. سأسافر إلى العراق للجهاد». وفي بادرة قوية أبلغ الشيخ سلمان كبار المسؤولين في الدولة طالباً التدخل والمساعدة في البحث عن ابنه وإعادته. وقد ظل الشيخ العودة قلقاً ومتوتراً طوال الوقت قبل أن تتمكن الأجهزة الأمنية بنجاح كبير من توقيف الابن في مدينة جبة وإعادته إلى والده في نفس اليوم. ولم تتوقف المفاجآت عند هذا الحد فقد أبلغ الابن جهات التحقيق بأنه لم يكن يفكر في الإقدام على خطوة السفر إلى العراق والمشاركة في الجهاد، وإنما كان الأمر مجرد مزحة مع الأب بمناسبة العيد - على حد قول الابن. يُذكر هنا أن الشيخ سلمان بن فهد العودة أحد أهم الموقعين على بيان ما سمي بعلماء السعودية والذي يحثون فيه الشباب على الجهاد في العراق «يا زمان العجائب»![96].

رفع سلمان العودة على جريدة الوطن السعودية قضية بسبب ما وصفه بـ «الافتراء عليه وعلى ابنه». مكذباً الخبر من أساسه. كسب العودة القضية ضد جريدة الوطن في حكم صدر في 1 يناير

96 - جريدة الوطن السعودية 20 نوفمبر (تشرين الثاني) 2004.

(كانون الثاني) 2010 حيث أعلن مكتب المحاماة الذي ترافع عن القضية أن اللجنة المكلفة بالنظر في قضية موكله الشيخ العودة ضد الصحيفة قد أصدرت حكماً لصالح موكله يقضي بإلزامها بالاعتذار الرسمي على صفحاتها، وتغريمها أكثر من 60 ألف ريال (ما يعادل 16 ألف دولار أميركي) مع حق المدعي بالتظلم لدى ديوان المظالم[97].

تنازل الشيخ العودة عن الحق المادي، وهو يتحدث عن تفاصيل تلك الحادثة (لصاحب الرسالة)، بكثير من التعجب والألم، قائلاً: «قصة «الوطن» بالنسبة لي مؤلمة، فهي جناية إعلامية لا مسوغ لها، وإصرار مع سبق الترصد على حكاية غير الحقيقة. ولم يتصلوا ليعرفوا وجهة نظرنا، وتم سحب القضية من المحاكم الشرعية إلى دهاليز وزارة الإعلام ليتم قتلها خلال أكثر من خمس سنوات تغيب فيها العدالة، علماً أنني لمَّحت لهم سلفاً إلى استعدادي للتنازل إذا اعترفوا بأنهم على خطأ وأنني محق، وحتى بعد إعلاني عدم مطالبة الجريدة بالاعتذار، لم يتصل بي أي مسؤول في الجريدة، ليقول هذا موقف طيب. أنا لست نادماً على تسامحي، لأن مبدئي يقول: اعمل الخير وسوف يتم تجاهل ما تعمله، اعمل الخير على كل حال!»[98].

97 - نشر نص خبر كسب سلمان العودة للقضية ضد جريدة الوطن السعودية في موقع «الإسلام اليوم» 2 يناير (كانون الثاني) 2010.
98 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

كل ذلك الجدل حدث في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الشهر الذي صدر فيه البيان، وخبر جريدة «الوطن» عن ابن سلمان العودة. لكن إذا تجاوزنا موقف العودة من القتال الدائر في العراق، والذي –كما يبدو من خلال نص البيان- كان أقرب إلى الموافقة على قتال الأميركيين من معارضته، سنعثر على مقال كتبه سلمان العودة في جريدة (الجزيرة) السعودية، جاء فيه ما هو أكثر دلالة من لغة البيان، يقول في المقال عن القتال في العراق: «يا أهل العراق: لقد وفد إليكم من أبناء الإسلام النجباء من لم تسعهم الأرض وهم يشهدون القصف المجرم عليكم، فانطلقوا وقد باعوا لله نفوساً كريمة، يطلبون الشهادة في سبيل الله، ويرومون قتل المعتدين المتجرئين، وهم يعلمون أن العديد البشري لديكم من المدربين المسلحين كثير، ولكنهم يأبون إلا المشاركة والتعبير عن التضامن في إحدى صوره النبيلة»[99].

بعد أن ثار الجدل الإعلامي والصحافي ضد رأي سلمان العودة، وانسجامه مع بعض الشخصيات الموقعة على البيان؛ والتي تصنّف على أنها غير متماهية مع تطورات فكر العودة الجديد، بعد كل ذلك الفوران، طرح العودة رأياً واضحاً وإن جاء متأخراً عن تاريخ النصوص التي نقلناها قبل أسطر. فقد قال في البرنامج عن الذهاب إلى العراق بكل وضوح: «الكل يعلم أننا لا

99 - جريدة الجزيرة السعودية، 3 أبريل (نيسان) 2003.

نؤيد ذهاب الشباب العربي إلى العراق، وهذا أحد الأسباب أنهم يذهبون بعقلية مختلفة وبرنامج مختلف. دع العراق لأهل العراق. فأهل مكة أدرى بشعابها، هم يعرفون كيف يتفاهمون في ما بينهم، وكيف يتعاملون وكيف يبدأون، أما حينما تأتي عناصر أخرى من خارج العراق وقد تأتي برؤية مختلفة وعندها هدف مختلف، أنا أقول الهدف الحالي في العراق ينبغي أن يكون هو إيذاء المحتل وإلحاق الضرر به، أما أن تأتي مجموعات أخرى قد تكون لها أهداف مختلفة، قد تكون أهداف بعيدة واسعة، هنا لن يكون هناك اتفاق، وقد يكون هذا أحد أسباب إرباك حركة الجهاد والمقاومة والتأثير عليها من الناحية الإعلامية ومن الناحية السياسية ومن الناحية الواقعية»[100].

ب - تجديد مفهوم الجهاد

في سياق آخر، وفي حلقة «الجهاد» من «حجر الزاوية»، يتناول العودة موضوع «الجهاد» بعيداً عن الوشائج السياسية التي ربما تؤثر في صياغة المفهوم. إذ يقول: «أول آية ورد فيها ذكر الجهاد في القرآن الكريم كانت بمكة، وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 52)، به يعني بالقرآن، طيب وهو الموضع الوحيد في القرآن والسنّة

100 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الجهاد»، بثت في 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.

الذي فيه وصف الجهاد بأنه كبير، هو الموضع الوحيد، إذاً الجهاد الكبير هو جهاد الحجة والبرهان والإقناع والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والصبر على الحق، هذا هو الجهاد الكبير، هذا هو الجهاد الأكبر، وهو أول ما ورد في القرآن الكريم، وفي سورة وآية مكية، قبل أن يهاجر المسلمون أصلاً إلى المدينة، وقبل أن يؤمروا بالقتال»[101].

يفصّل العودة هنا في معنى الجهاد إلى درجة جعلته يفرق بين الجهاد والقتال، رأى أن الجهاد أعم من القتال. بينما مكّنت الاستعمالات السياسية لمفهوم الجهاد أن تجعله مرتبطاً بالقتال، وعلى الأخص في مرحلة القتال الأفغاني ضد الاتحاد السوفياتي. إذ ذاك كانت كلمة «المجاهدين» تتردد حتى على ألسنة المسؤولين، وكبار الديبلوماسيين العرب والغربيين. تلك الحمولة من دوران اللفظ بين مجموعة من الألسنة ساهمت في توظيف الجهاد قتالياً. بل يذهب العودة إلى ما هو أبعد من ذلك، في طرحه لمعنى الجهاد، يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ (التوبة: 73)، ومن المجمع عليه أن جهاد المنافقين ليس هو القتال، لأن جهادهم يكون بالحجة، يكون بالإقناع، يكون بالحذر منهم، يكون بمعانٍ

101 - المرجع السابق.

أخرى، وأما جهاد الكفار فيكون بالسيف، ويكون بالإقناع أيضاً، والدعوة على حد سواء. هذه أيضاً في عشرات المواضع من القرآن الكريم تجد أن الله سبحانه وتعالى يأمر بالجهاد، جاهدوا بأموالكم وأنفسكم:

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: 41)،

طيب... ما معنى الجهاد؟ هل معناه فقط بذل النفس والمال في ميدان المعركة الحربية؟ أقول الجواب: ليس كذلك، وإنما الجهاد بالمال يكون بصرف المال في مرضاة الله سبحانه وتعالى، في سبيل الخير كله، هذا من الجهاد بالمال، ومن الجهاد بالقتال، ومساعدة المقاتلين في سبيل الله أيضاً. الجهاد بالنفس هل يعني فقط القتال في المعركة؟ الجواب: لا، وإنما الجهاد بالنفس مفهوم شامل، يشمل الجهاد بالنفس في ميدان المعركة، ويشمل الجهاد بها في ميدان الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإنفاق، والعمل الدنيوي يُحتاج إليه، إلى غير ذلك من المعاني»[102].

يريد العودة أن يتناول الجهاد من جانبه المدني، بعيداً عن حصر الجهاد بموضوع القتال، كما فعلت أغلبية الجماعات المسلحة، ما أدى إلى الأعمال القتالية الداخلية في المجتمعات

102 - المرجع السابق.

الإسلامية. ويستمر العودة في حديثه قائلاً: «الجهاد في الإسلام مفهوم شمولي يعني الحياة، مثل ما كان يقول محمد إقبال -رحمه الله:

جهادُ المسلمين لهم حياةٌ ألا إن الحياةَ هي الجهاد»[103].

في ما مضى من نصوص؛ يرفض العودة ابتسار مفهوم الجهاد وحصره في القتال، ليضعه أو يمدّه إلى مجالات ذات طابع مدني، كالتضامن الاجتماعي، والإصلاح، والبذل، ثم مضى ليجعل منه جزءاً من الحياة. وفي موضع آخر يستطرد في هذه الفكرة بشكل أوضح؛ يقول: «إذاً أنا أقول الإسلام ينحاز للحياة، أما الموت في سبيل الله فهو مطلب في ظرفه ومكانه، والحياة في سبيل الله أيضاً مطلب أعظم. ومن لم يتقن فن الحياة في سبيل الله، فلن يتقن فن الموت في سبيل الله»[104]. العودة هنا يرفض جعل الموت مقصداً من مقاصد الإسلام، ويفهم الحياة وسيلة أساسية لبناء وعمارة الأرض، يقول: «الحياة في سبيل الله هي معركة البناء، والموت تضحية أعظم ما تكون حين تساهم في حماية الحياة»[105].

103 - المرجع السابق.
104 - المرجع السابق.
105 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الحياة في سبيل الله»، بثت في 9 يوليو (تموز) 2006.

ج - الجهاد الفقهي والجهاد السياسي

من خلال قراءة ما طرحه العودة في برنامج «حجر الزاوية» حول «الجهاد» يمكنني الوصول إلى نتيجة مفادها أن تناوله للجهاد بمفهوم سياسي حينما يكون فقهياً فإنه يقارب صياغة مفهوم مدني للجهاد. على عكس تناوله للجهاد بصيغة ما يعرف بـ «المقاومة»، وعلى الأخص في الشأن العراقي، الذي كان العودة واضحاً في ضرورة إشاعة الجهاد بصيغته القتالية لطرد القوات الأجنبية. بلغ العودة ذروة تناول الجهاد بصيغته المدنية حينما جعل الموت في سبيل الله له طابع خاص لبعض من اصطفاهم الله، يقول: «علينا أن نشيع كلمة الحياة في سبيل الله حتى تكون رديفًا للموت في سبيل الله، وأن يفهم الناس أن الحياة بصعوباتها وتكاليفها ممكن أن تكون في سبيل الله، وإذا كان الموت في سبيل الله لنخبة خاصَّة من الناس الذين اصطفاهم الله تعالى، إلا أن كلَّ المسلمين يمكن أن يظفروا بشرف الحياة في سبيل الله تعالى، من خلال معالجة شؤون الحياة البسيطة، وتقبُّلِها، وتحمُّلها، والرعيل الأول كانوا أئمة، ومِمّن شُهِد لهم بالجنة، وفي نفس الوقت كانوا أهل مال، وثراء، وزرع، وضرع، وغِنى»[106].

---

106 - انظر فتوى لسلمان العودة بعنوان: «هل نَفْعُ الآخرين من الحياة في سبيل الله؟»، نشرت في موقع «الإسلام اليوم» بتاريخ 6 يونيو (حزيران) 2009.

إذاً فالعودة يرى أن الجهاد ليس مشروعاً شعبياً، وليس فرضاً عينياً، بل هو معزوٌّ إلى نخبة مخصوصة، ربما تكون جيشاً أو قوة أمنية، تتعهد بحماية بقية الناس. والناس ليسوا مطالبين بتحويل حياتهم إلى مشروع موت، بل الخاصة التي عهد إليها بحفظ الأمن، أما بقية المجتمع فمن مهامه عمارة الأرض، والحياة في سبيل الله. هذا الطرح لمفهوم الجهاد بالنسبة لمجال التداول الفكري لدى الإسلاميين في السعودية، يمكنني أن أصفه بالطرح المدني غير المسبوق لمقاربة تفسير أكثر حيوية وفعالية للمجتمع من الفهم السائد. يردُ في كتب الفقه في أبواب الجهاد أحكام تتعلق بالقتال، والموت في سبيل الله، لكن؛ لم تكن تتضمن الحديث عن الحياة في سبيل الله، كما لم تكن تتضمن أي معنى للجهاد؛ غير معنى القتال. يحصر العودة في مكان آخر علة الجهاد بـ: «حماية المشروع الإسلامي، وفي نظري أن هذا المعنى سهل وواضح ويمكن تقبله أكاديمياً وعلمياً»(107). إذاً هو يطرح مقاربة جديدة، وإذا كانت كتب الفقه قد عللت شرعية الجهاد بـ: «حماية بيضة الإسلام»، فإنه يعلّلها بحماية المشروع الإسلامي.

107 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الجهاد»، بثت في 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

يعارض العودة التقسيم الكلاسيكي للجهاد ما بين جهاد دفع وجهاد طلب، فيقول: «ماهية الجهاد في الإسلام وهل هو جهاد طلب أو هو جهاد دفع، وأقول: إن هذا السؤال تقليدي كثيراً ما يكرر ويردد وكأنه من الأسئلة المفخخة، كما عبرت عنه في إحدى المرات، بمعنى أن بعض الأسئلة تفرض على المجيب أحد طريقين لا ثالث لهما، بينما يمكن الانفصال عن السؤال كله جملة وإن كان هذا السؤال له وجه، ونحن نجد أن من أهل العلم السابقين من قال إن الجهاد هو لمدافعة العدو، وهذا ذكره سفيان الثوري، ولكن أكثر أهل العلم على أن الجهاد يكون للمجاهدة ومدافعة العدو، كما يكون جهاد الطلب أيضاً ويسمى جهاد المبادأة أحياناً، يعني البدء بمقاتلة الأعداء، إنما بكل حال يجب تحديد مفهوم المبادأة ومفهوم الهجوم، هل يعني أن الإسلام دين العدوان على الأمم الأخرى؟ هكذا بمجرد أن يؤنس المسلمين من أنفسهم قوة يعمدون للهجوم على الآخرين! ليس هذا هو المعنى، وضعت في أحد المجامع العلمية دراسة وعرضتها على عدد من الفقهاء واستزادوها واستحسنوها فقلت: إنما يمكن أن نعبر أن ليس هناك ضرورة أن نقول مسألة هجوم أو دفاع لأن هذا السؤال ليس له صيغة شرعية ولم يرد في كتاب ولا في سنّة وإنما هو نوع من الأسئلة التي قد تكون واضحة أو ملبسة. إنما لو قلنا أن مقصد الجهاد في الإسلام هو حماية المشروع الإسلامي، حماية الإسلام، حماية المسلمين،

حماية الأمة الإسلامية، الحماية بالتأكيد تعني المقاومة، ولذلك أنا أقول إن المقاومة في الإسلام ومدافعة المحتلين والغزاة قدر متفق عليه في الأصل عند المسلمين»[108].

في معرض حديثه عن حكم القتال في العراق، أعاد العودة رأيه السابق ذكره، حيث يُوَظّف الجهاد سياسياً بمفهومه القتالي، يقول عن القتال في العراق: «فإذا غُزي بلد إسلامي، كما وقع في العراق، فالجهاد حينئذ هو مقاتلة العدو المحتل فقط، وليس غيره، لا توسيع الدائرة بقتل الناس بالشبهة والاحتمال والظن ولمجرد العلاقة. في أحد الأيام اتصل بي أحد الإخوة، وقال: يا أخي هؤلاء منافقون الذين نقتلهم. طيب حتى لو كانوا منافقين لا يجوز قتلهم، النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين وإنما لما استأذنه بعضهم في قتلهم قال: (لا، لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)، وهديه صلى الله عليه وسلم في المنافقين معروف، هذا إذا سلمنا أنهم منافقين، مع أنه ليس من حق الإنسان أن يتهم كل من خالفه بأنه منافق. فأنا أقول كما ذكرت أن هناك نوع من الخطر الكبير وأخشى أن تكون هذه التجاوزات التي تقع في العراق، أنها أكثر ما يهدد ويضر حتى «المقاومة الرشيدة» فالناس يجمعون أحياناً على مقاومة العدو المحتل لما يكون أمر الصمود

108 - المرجع السابق.

إليه، لكن أن تكون القضية مفتوحة وضائعة وكل أحد مستهدف بكافة الاحتمالات، والطوائف تتقاتل في ما بينها، هذا شيعي وهذا سني وهذا كردي، هذا خطر كبير، أما من يتحدثون أننا نُحرّض أو نُكَفّر، فبالعكس، أنت ممكن تتابع أنت وغيرك، نحن لا نكفّر أحداً من المسلمين والأصل عندنا بقاء المسلم على دينه وأيضاً لا نحرّض على قتل الأبرياء وعلى قتل المدنيين وعلى قتل المسلمين. فموقفنا واضح جداً، نحن مع المقاومة الرشيدة في فلسطين، التي تقاتل العدو الصهيوني فقط، ومع المقاومة الرشيدة في العراق التي تقاتل جيش التحالف المحتل فقط، أما ما سوى ذلك فنحن لا نقره ولا نقوله»[109].

في ذلك النص يسمي العودة قتال العراقيين ضد القوات الأجنبية بـ «المقاومة الرشيدة»، وهو ذات الوصف الذي خلعه على قتال الفلسطينيين ضد الإسرائيليين. وهو بنحته لهذا المصطلح يبرئ ساحة القتال في العراق، مميزاً بين «المقاومة الرشيدة» وبين غيرها من أصناف الاعتداءات. اختار هذا التفريق ليخرج برأيه عن المسؤولية التي ألقيت على عاتقه من قبل نقاده الذين رأوا في تأييده لما يجري من قتال في العراق شكلاً من أشكال الوقوف مع «الإرهاب».

109 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «العبادة»، بثت في 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.

بقيت آراؤه غير واضحة لقرائه حول مفهومه للجهاد بعامةٍ، منذ مواقفه من القتال الأفغاني الروسي. ساهمت تلك الآراء في وضع شخصية سلمان العودة موضع الشك، حيث أُلقي القبض عليه في عمّان عاصمة الأردن في أغسطس (آب) من العام 2002، وإن تعددت الأسباب التي طرحت بشكل إعلامي عن سبب هذا الاعتقال. كما تمت محاولة توريط للعودة بأحداث «مدريد» التي وقعت في 11 مارس (آذار) 2004، حيث ذكرت مجلة «دير شبيغل» الألمانية الصادرة في 11 سبتمبر (أيلول) 2004 أن ربيع الملقب بـ «محمد المصري» المشتبه الرئيسي في تخطيط أحداث مدريد، قال خلال اتصال هاتفي تنصت عليه المحققون الإيطاليون إن سلمان العودة شارك في تمويل اعتداءات مدريد التي اسفرت عن 191 قتيلاً. كما رفضت سويسرا منح الشيخ العودة تأشيرة دخول في مايو (أيار) 2007. يقول العودة: «رفعنا قضية وأخذت مجراها... هناك محامي، والشيء الذي يعني أدهشني جاء ردّ من الحكومة السويسرية أكثر من مرة، وفي أحد الردود قالوا إننا مستعدون لمراجعة موقفنا، وترشح لي بعض المعلومات أن هناك تقارير عربية قد تكون هي التي قُدمت لهم حيال هذا الموضوع؛ أي موضوع نشر الكراهية، وحاولوا أن يلتقطوا من موقعنا الإلكتروني بعض الفتاوى لأشخاص آخرين»[110]. بقيت تلك الأخبار تتردّد

---

110 - من حديثه لبرنامج «إضاءات» على قناة العربية، بث في 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 2008.

عن العودة بسبب موقفه الملتبس عن الجهاد. حيث لم يفرّقوا بين طرح العودة للجهاد بالمعنى الفقهي، وبين طرح العودة للجهاد بالمعنى السياسي، كما هو موقفه من القتال الدائر في العراق.

يقول الشيخ العودة في مسألة منعه من دخول سويسرا: «لم يذكر السويسريون موضوع التمويل، احتجوا بوجود فتاوى تدين الصهيونية في موقع «الإسلام اليوم»، وتبين شرعية مقاومة الاستعمار اليهودي في فلسطين، وأعتقد أن اليمين المتطرف المسيطر على وزارة الداخلية هو المسؤول عن هذا الإجراء»[111]. وهو يربط المنع السويسري له بموقفه المعادي للصهيونية، وليس بالتفاصيل الفقهية كما تردد الصحافة وبعض وسائل الإعلام.

ومن المفارقات التي تطاردني أثناء بحثي عن موقف العودة من الذهاب إلى العراق للقتال، أنه وعلى الرغم من التحريض اللفظي واللغوي والحثّ المستمر الذي نقلنا بعضاً منه في ما تقدم من فقرات، على الرغم من كل ذلك إلا أنه يرفض في «الحوارات» التي أجريتها معه، الخاصة بهذه الأطروحة، أن يصنّف على أنه من دعاة الذهاب إلى العراق للجهاد. يقول في حواري معه: «موقفي الرافض للذهاب لأي بلد في العالم بقصد القتال ليس متروكاً للاستنباط أو

111 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

التحليل، وبياني لم يكن خطاباً عابراً أو تسجيل رأي، كانت قضية مبدئية أعلنتها على وسائل الإعلام مئات المرات، وأعيدت مئات المرات، عبر قناة المجد، والعربية والجزيرة، واقرأ، والتلفزيون السعودي، والصحف، والمجلات، بل نشرنا مطوية طبعناها على حسابنا ووزعت منها مئات الآلاف من النسخ وجادلنا حتى انقطعت أنفاسنا. وبالمناسبة كان هؤلاء الشباب يظنون أننا ننفذ مهمة رسمية، وأنا أصارحك القول إنني لم أسمع من أحد، أياً كان، كلمة «شكراً»، أو «أحسنت» ولم أكن أنتظرها، كنت أؤدي مهمةً شرعيةً إيمانيةً احتسابيةً، لو لم أفعلها لأكلني ضميري عِتاباً، لأنني كنت أرى ما لم يره آخرون ممن سكتوا أو اقتصر دورهم على مجرد تسجيل موقف رافض. أما الخطاب الموجه للشعب العراقي فهو يتحدث عن حقهم في المدافعة إذا كانوا قادرين على ذلك، وهذا شأن آخر، مثلهم في ذلك مثل الفلسطينيين أو الفيتناميين أو أي أمة يتم غزوها دون سند صحيح، وهذا ما حدث بشأن العراق. والمقاومة كانت واحدةً من الأوراق المؤثّرة خاصة في ظل توتر طائفي وانفلات أمني، لكن من الخطأ الاعتماد على المقاومة بظن أنها هي صانعة المستقبل، هي تؤدي دوراً وقتياً نافعاً لو أُحسن استثماره، ومن ذلك أن يدرك المحتل أن غزو أي بلد ليس نزهة مريحة فلا يكرر المأساة في بلاد أخرى. والمقاومة هي جزء من

الحل لو نسقت مشروعها مع المشروع السياسي والوطني، لكن هذا يتطلب مستوى من الوعي والإدراك والنضج، أعتقد أنهم بعيدون عنه»[112].

د - موقف العودة من القتال في البوسنة والهرسك وأفغانستان

لم يكن الشيخ سلمان العودة يؤيد ذهاب الشباب السعودي إلى أفغانستان، على الرغم من تشجيع الحكومات للشباب والتسهيلات التي تقدمها لهم إذا ما رغبوا بالذهاب. كانت مرحلة قتال الأفغان ضد الاتحاد السوفياتي خلال الفترة من 25 ديسمبر (كانون الأول) 1979، وإلى 15 مايو (أيار) 1988، ودعمت الولايات المتحدة الأميركية والصين والمملكة العربية السعودية وباكستان، ودول عربية أخرى، القيادات الأفغانية في مواجهة الاتحاد السوفياتي. رأى العودة أن الذهاب إلى أفغانستان ليس ضرورياً، وفضّل الدعم بالمال على الذهاب بالنفس، وكان يُغلِّب الجانب التربوي على الجانب العسكري، يقول في فترة ما قبل السجن، أي فترة طرحه القديم في محاضرة له: «إن الانهماك في العمل العسكري على مدى السنوات الطويلة الماضية، لا شك أن له آثاره البعيدة في انشغال المسلمين

112 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

جميعاً هناك، عن الاشتغال بالعلم، والتعليم، والدعوة، فضلاً عن أن الشعب الأفغاني كغيره من الشعوب الإسلامية الأخرى، يحتاج أصلاً إلى جهودٍ كبيرةٍ في الإصلاح، والتعليم والدعوة ورفع الجهل عنه. تعليمهم دين الله عز وجل، الصحيح المبرئ من البدع والخرافات، الموافق لما جاء في كتاب الله تعالى، وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلّم، أصولاً وفروعاً، فإن الناس لا يمكن أن يجتمعوا إلا على كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلمّ، فلنتفق على هذا القدر الذي يُجمع عليه المسلمون جميعاً، وأن نتفق للتحاكم إلى الكتاب والسنّة، وإلى العلماء العاملين بهما، وندع ما سوى ذلك، ولنربِّ الناس على الدين الصحيح أصولاً وفروعاً»[113].

وهو رأي أكده في حوارات إعلامية أجراها بعد خروجه من السجن وعزا سبب معارضته لذهاب الشباب هناك قائلاً: «كنت أعتقد أو أعلم أنه لم يكن هناك محاضن تربوية لاستقبال الناس هناك، وغالب الذين كنت أشاهدهم يذهبون هم من الشباب في مقتبل العمر لأنه فترة التوقد والحماس»[114].

كانت علة معارضته لذهاب الشباب إلى أفغانستان، فقدان التأهيل التربوي، وهذا ما يتضح في رأيه الواضح حول التربية

113 - من محاضرة «الله أكبر سقطت كابل» على هذا الرابط:
http://sms.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=120223

114 - من حديثه لبرنامج «إضاءات» على قناة العربية بث بتاريخ 29 سبتمبر (أيلول) 2004.

الجهادية، حينما يقول: «ولا بد -أيضاً- من التربية الجسدية بالتغذية والوقاية والعلاج، ثم التدريب على ألوان السلاح، وهذا كله يكمل ما سبق. أليس من المؤسف أن كثيراً من الجهات المحاربة للإسلام أصبحت تسعى إلى شغل عقول الشباب وأمور الناس بأمور ثانوية، وأحياناً قضايا تافهة تصرف عن الأهداف العليا والمصيرية التي تفكر فيها الأمة؟! مثلاً: في كثير من الأحيان تجد الإنسان مشغولاً بلقمة الخبز ويبذل وقته كله في الحصول عليها والسعي إليها، ولذلك ليس لديه وقت لكي يتعلم العلم الشرعي، ولا ليجاهد في سبيل الله، أو ليأمر بالمعروف، أو لينهى عن المنكر، وأصبحوا يعقّدون هذا الأمر حتى يأخذ وقت الإنسان، وأحياناً يشتغل الإنسان بأمور تافهة، من جنس ما ذكرت قبل قليل، حتى يكون عقله مملوءاً بأشياء وقشور لا قيمة لها، فلا يكون عنده تفكير بهموم الأمة، وإذا لم نفلح في نقل الشباب من هذه الحال، فإن هذا يعني أننا لا زلنا دون مستوى التربية الجهادية»[115]. فهو يدخل ضمن سياق مفهوم «الإعداد» الوارد في سورة الأنفال:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: 60). إذاً لم تكن معارضة العودة للجهاد في أفغانستان لأنه كان يمتلك ذات المفهوم الذي يطرحه الآن عن الجهاد المدني. بل كان يحاول أن يعدّ المجاهد

---

115 - من محاضرة «التربية الجهادية» على هذا الرابط:
http://sms.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=120049

خير إعداد من الناحية الجسدية والعقدية والنفسية، وهو ما طرحه في محاضرته «التربية الجهادية».

يقول الشيخ العودة في معرض تعليله لموقفه المعارض للسفر إلى أفغانستان: «وكنت أحذر الشباب من الذهاب، وقلت هذا في مناسبات عدة، منها محاضرة كانت عن الغربة في مخيم كلية الشريعة، وكنت أقول للشباب: ادفعوا تذاكر سفركم للشعب الأفغاني، وابقوا حيث أنتم، ولدي مبررات كافية لهذا الموقف، منها، عدم وجود استراتيجية محددة لهذا الأمر، وعدم وجود محاضن تربوية تحفظ الشباب من التكفير والأفكار المنحرفة، ومشاهدتي لصغر سن الذين يسافرون، وقلة حصيلتهم العلمية والدراسية، ولخوفي أن يكونوا ضمن حرب بالوكالة لا يدركون أبعادها، وإحساسي بأن الأفغان مختلفون ومستعدون لتغيير مواقفهم بسرعة والانتقال من الطرف إلى الطرف الآخر»[116].

خلال الفترة من 6 أبريل (نيسان) 1992 إلى 1995 اندلعت حرب إبادة ضد البوسنة والهرسك راح ضحيتها وفق تقارير الأمم المتحدة أكثر من ثلاثمائة ألف قتيل. كانت هذه الحرب مشعلةً لفتيل الجدل الذي كان على أشده متأثراً بعامل غزو العراق للكويت

116 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

في أغسطس (آب) 1990، فاستجاب الخطاب الإسلامي لهبّة الحرب على البوسنة والهرسك، وذهب العديد من السعوديين والعرب إلى جبهة البوسنة والهرسك للدفاع عنها ضد الصرب، ودار جدل داخل الخطاب الفقهي حول مشروعية الذهاب إلى البوسنة والهرسك للمشاركة في القتال. كان لسلمان العودة رأيه في هذه الحرب، لكن ما يعنينا هنا، في هذا التناول، رأيه تحديداً في الذهاب إلى البوسنة. نقف مع هذه الفتوى في إحدى محاضراته: «السؤال يقول: ما هي أخبار المجاهدين العرب؟ وهل تنصح من له القدرة على الجهاد الذهاب إلى هناك؟ الجواب: في الواقع أخبار المجاهدين أشرت إلى شيء منها، أما الذهاب فلا بأس أن يذهب بعض الشباب القادرين أصحاب الخبرة والقدرة والإمكانية، على الأقل يذهبوا لتعليم الإسلام والدعوة إلى الله عز وجل وتعليمهم التعليم الصحيح، وتعليمهم القرآن الكريم، وتربيتهم على الإسلام، فهذا من أعظم الأمور؛ بل ومن أهم أسباب النصر، التي يتذرعون بها في الانتصار على عدوهم وأقول: (رُبَّ ضارة نافعة)

اشتدي أزمة تنفرجي   قد آذن ليلك بالبلج

وهناك صعوبات بالذهاب، لكن على الإنسان ألا يذهب إلا بعد أن يكون لديه خبرة بالطرق والوسائل، فإنه يعود من مطار

زغرب العديد من الشباب من الخليج والبلاد العربية يعودون على أعقابهم، ولا تسمح لهم السلطات بمواصلة المسير إلى داخل البلاد»[117].

أما في برنامج «حجر الزاوية» فقد طغى حديثه عن القتال في العراق على بقية الساحات الأخرى، كفلسطين، والشيشان، وأفغانستان، كأن العراق له خاصية أخرى، فعلى الرغم من التفاوت في مواقف العودة من الذهاب إلى العراق تحديداً، غير أن منعه من الذهاب للجهاد في العراق، والذي صرح به في ذات البرنامج، هو أوضح مواقفه وآخرها، لهذا يمكننا أن نعتمده. وكما لم يتطرق إلى المعارك القديمة التي كان له فيها شأو، فإنه لم يتعرض إلى «الاتحاد السوفياتي» إلا أربع مرات على مر السنوات الخمس، وقد ذكره في سياق الحديث عن الانهيار للإمبراطوريات مهما طغت وتجبرت. كما لم يتطرق للبوسنة والهرسك إلا مرةً واحدة على سبيل ذكر كمية الدعاة هناك، والاستجابة التي يلقونها من البوسنيين.

117 - من محاضرة «الإسلام والغرب» على هذا الرابط:
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audio 120007#id=13791

هـ - إحراجات الخطاب القديم

وجه القيادي في تنظيم القاعدة: يوسف العييري (قتل في مواجهة أمنية عام 2003)، رسالةً إلى سلمان العودة نشرها تعليقاً في موقع «الإسلام اليوم» في 2 أغسطس (آب) 2000 جاء فيها: «أنت الذي قلت: اسجنونا ولكن أصلحوا الأوضاع، فكان ذلك وسجنتم ولكن لم تصلح الأوضاع، بل ساءت وخرجتم ورأيتم السوء، وعندما خرجتم استشرفت القلوب للقياكم والجلوس معكم والتلذذ بحديثكم، فأنتم الذين صقلتم نفوسكم وربيتموها، فأحببنا أن ننهل من نفوس تربت ووطنت على الشقاء وأحبت الصبر، وعندما لقيناكم كان لفضيلتكم من الأقوال ما أحزننا»[118].

هذه الرسالة التي انتشرت بسرعة البرق، توحي صياغتها أنها صادرة عن تلميذ سابق لسلمان العودة، صُدم بالتغير الذي طرأ على شيخه. سألتُ الشيخ العودة عن هذه الرسالة فقال: «لم أكن أعرفه (يوسف العييري) من قبل، وأتذكر أنه زارني مع بعض الشباب، بمناسبة أحداث الشيشان، ولعل هذا ما أحزنه أنني انتقدت بوضوح فكرة الهجوم الذي شنّه بعض الشباب على داغستان،

118 - من نص رسالة يوسف العييري إلى سلمان العودة انتشرت في المنتديات والمواقع الإلكترونية، ونشرت أول ما نشرت كتعليق في موقع «الإسلام اليوم» ضمن أعمال مؤسسة «الإسلام اليوم» التي يملكها ويرأسها سلمان العودة.

وسخِرتُ من الأحلام التوسعية لديهم، وكذلك ما يتعلق بالقتال في الفلبين، وأن فتح الجبهات القتالية لا يجوز أن يكون فوضى ولا أن يترك للناس دون حساب. والمجموعة الجهادية كما تُسمى تُراقب تغيرات الآخرين، ولكنها لم تتفطن للتغيرات الضخمة التي طرأت عليها، هي التي كانت تبحث عن «قيادة» تتترس بها وتمنحها ولاءً مشروطاً مقابل تبني رؤيتها، لم تكن تحاول أن تستبين الطريق، بل هي حزمت أمرها، وبدأت تُرشّح من تؤهله «طاقته» للقيادة، وظنوا أن فترة السجن التي مرت بي وبزملائي د. سفر الحوالي[119]، ود. ناصر العمر[120] قد صنعت لنا شعبية وبُعداً نضالياً، وأن ساعة المفاصلة مع المجتمعات والأنظمة التي مارست القمع قد دنت. وفوجئوا بأنني وزملائي نحتفظ بهدوئنا، ولا نجعل من قضيتنا الخاصة سبباً في حرق المجتمعات، والمتاجرة بأرواح الشباب. كان أول ما سمعوا إبان خروجي أن «الذهاب إلى الشيشان حماقة»، وراجعوني فيها كثيراً كثيراً، وبقيت مُصّراً على موقفي، مع حرصي الشديد على عدم خسارة الشباب الغض القابل للتأثير، ويبدو أن انحيازي للوضوح والمكاشفة في هذه المسألة تغلب على روح الاحتواء والحفاظ على النفسيات، لأنني كنت أشعر أن ثمّة خطراً قادماً. وقد صارحت بعض المسؤولين هنا (بالسعودية)، بأن فئة ولو قلّت من بقايا الجهاد الأفغاني أو من طالبان قد لا

119 - انظر ترجمته، ص 67.
120 - انظر ترجمته، ص 67.

تنفع، ولكنها ربما تُضِر ضرراً مدوياً يصعب تداركه، واقترحت أن يسارع المسؤولون لمعالجة الموقف قبل تفاقمه، وحين وقعت أحداث سبتمبر (أيلول) اتصل بي هذا المسؤول فوراً، وقال: هل تدري ماذا تذكرت حين رأيت الحريق؟ تذكرت تحذيراتك التي قلتها لي في مكتبي وكانت في غاية الوضوح»[121].

يطرح العودة رؤيته باعتباره مُدركاً مبكراً للخطر الذي تشكله كرة الثلج المتطرفة العائدة من أفغانستان، لهذا كان رأيه واضحاً وصريحاً تجاه تنظيم القاعدة لجهة معارضته الشديدة للأعمال التي يقومون بها في الداخل والخارج. وهو ما سنقف عنده في الفصل الذي سنخصصه للموقف من «الإرهاب» مفهوماً، ولموقفه من «تنظيم القاعدة» تنظيماً، في ما سيأتي من صفحات الرسالة.

121 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

و - الجهاد المدني في «حجر الزاوية»

تبين من خلال القراءة المطولة لموضوع الجهاد في نتاج سلمان العودة أن «حجر الزاوية» احتضن المفهوم الجديد للجهاد، الذي طوّره العودة تحت اسم: «الجهاد المدني»[122]، حيث وضع الجهاد بشكله العام، مبتعداً عن قرنه بالقتال، وكرر هذا المفهوم في حلقة «الجهاد» التي أشرنا إليها كثيراً في معرض قراءتنا الشمولية لمفهوم الجهاد لدى الرجل. إن نبشنا لقديم المحاضرات ومقارنتها بجديد «حجر الزاوية» أردنا منه رصد الصورة بشمولها، لأنه كان رمز مرحلة كبيرة ساد فيها الكثير من اللغط والجدل، ولأن العودة بقي عند البعض داعية جهاد، وصار عند البعض الآخر حمامة سلام. لقد فضلنا البحث في نصوصه وقراءتها بآلياتنا البحثية بما يتواءم والمنهج الأكاديمي.

122 - رأى الشيخ يوسف القرضاوي أن مصطلح «الجهاد المدني» من ابتكاره هو. ويعرّف القرضاوي الجهاد المدني بأنه: «الجهاد الذي يلبّي حاجات المجتمع المختلفة، ويُعالج مشكلاته المتنوّعة، ويغطّي مطالبه المادية والمعنوية، وينهض به في سائر المجالات، حتى يتبوّأ مكانته اللائقة به، وهو يشمل مجالات عدة: المجال العلمي أو الثقافي، والمجال الاجتماعي، والمجال الاقتصادي، والمجال التعليمي والتربوي، والمجال الصحّي والطبي، والمجال البيئي، والمجال الحضاري بصفة عامة». يذكر القرضاوي أنه هو من صاغ المصطلح فيقول: «وقد سألني بعض الإخوة الحضور الذين أعجبوا بهذا المصطلح: «الجهاد المدني»، هل هذا المصطلح من ابتكارك؟ قلت لهم: أعتقد ذلك، فأنا لم آخذه عن أحد». انظر: يوسف القرضاوي. «فقه الجهاد». الجزء الأول. ص 232-233. من مطبوعات مكتبة وهبة. الطبعة الثالثة: 2010.

من خلال التنقيب الماضي نخلص إلى أن مفهوم الجهاد لدى سلمان العودة قد تطور من الجهاد المرتبط بفعل القتل والمنازلة، إلى الجهاد المدني الشامل، بمعناه الدنيوي المدني، كما بسطنا في السابق. لهذا نراه يؤكد في برنامج «حجر الزاوية» على أن: «الكفر وحده ليس مبرراً للقتل»[123]، وفي موضع آخر يرى أنه: «في ما يتعلق بآيات الجهاد، يعني بعض الغربيين يقع عندهم إشكال حتى أنه في بعض الولايات الأميركية قاموا بمصادرة المصحف من المدارس بعدما أهدته لهم منظمة تسمى بمنظمة عمر بن الخطاب بسبب عدم وضوح الصورة لديهم في ما يتعلق بالجهاد، الله سبحانه وتعالى لما يقول:

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ (البقرة: 191)، هل هذا معناه أمر بقتل الناس في الشوارع؟ أم أن الأمر يتعلق بقتال الناس الذين أنت معهم في حالة حرب؟ ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾ (البقرة: 191)، فهنا الالتباس في المفاهيم قد يكون مقصودا في بعض الحالات، وقد يكون غير مقصود بسبب نقص الوعي في مجال الترجمة»[124]. وفي مكانٍ آخر قال العودة: «إذا كان الجهاد هو ذِرْوَةُ سنام الإسلام، فهذه الذروة ينبغي أن تكون في الغاية العليا من التنظيم والانضباط، فالجهاد ليس هو القتال، فهناك الجهاد

---

123 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الجهاد»، بث في 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

124 - المرجع السابق.

بالمال، والجهاد باللسان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «جاهدوا المشركين، بأموالكم وألسنتكم، وأيديكم»، فذكر الجهاد بالمال، والجهاد باللسان... وهناك الجهاد بالقلم، والجهاد بالإعلام، والجهاد بالمواقع الإليكترونية، والجهاد بالتربية، والجهاد بالدعم والإغاثة، والجهاد السياسي»[125].

إنه شكل من أشكال التطور الذي امتاز به خطاب سلمان العودة في «حجر الزاوية» عن خطابه القديم.

ثانياً: رؤية الإصلاح

أ - مفهوم الإصلاح في التسعينيات

بلغ العودة ذروة حماسه في مرحلة ما قبل السجن، وتحديداً منذ حرب الخليج الثانية، في أغسطس (آب) 1990، طرح في هذه المرحلة أشد خطاباته توتراً وحدة، وفي مراجعة سريعة لمحاضراته في تلك الفترة مثل: «أسباب سقوط الدول، الشريط الإسلامي ما له وما عليه، تحرير الأرض أم تحرير الإنسان، الأمة الغائبة، السهام الأخيرة، أخي رجل الأمن، رسالة من وراء

125 - من برنامج «الحياة كلمة» على mbc في حلقة خصصت لحرب غزة، بثت في 17 يناير (كانون الثاني) 2009.

القضبان»، اكتملت صورة الصدام في الواقعة التي عُرِفت حينها بـ «أحداث بريدة». يصف العودة هذا الحدث قائلاً: «أحداث بريدة هي إفراز لأحداث الخليج، ويقظة الناس على أوضاع بلادهم، وأهمية المشاركة في التفكير باعتبار المصير الواحد، وهي ككل بداية، انطلاقة بريئة غير ذات أبعاد، ويمكن احتواؤها بالعديد من الطرق، لكن سخونة الجو وسيطرة روح الخوف أملت التعامل الأمني مع الأحداث. وأنا لم أرفض لأن المنع كان عن الدروس والمحاضرات العامة التي يتم الإعلان عنها باحتشاد الناس حولها، أما جلسات البيت فهي معتادة، وسبق أن نفذتها غير مرة، منها: «أحاديث الربيع» وهي جلسات ربيعية تربوية، ولم يأتني منع مكتوب ولا شفوي من جلسات المنزل، وأنت خبير أن كثيراً ممن يتم التحفظ عليهم يلقون دروساً حتى من سجنهم أو إقامتهم الجبرية، ومن ذلك دروس الشيخ منتظري من مقر إقامته الجبرية حتى مات -رحمه الله»[126].

سبق الصدام احتشاد يجذبه مغناطيس شخصية وكاريزما سلمان العودة، وإن لم يكن مسؤولاً عن تلك الجلبة، لكنه لم يعارضها، فقد كان مُنكّباً على قراءة مرحلة امتزج فيها الديني بالسياسي، والمحلي بالإقليمي والدولي، وكان لحضور اسمين

126 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

سيكونان من أبرز الأسماء الإسلامية الجهادية فيما بعد، أكبر الأثر في تشتيت فهم الناس لرؤية العودة الإصلاحية، حيث ترددت أنباء عن قيام أسامة بن لادن، زعيم تنظيم القاعدة، قبل تأسيسه للتنظيم، ود. عبد الله عزام(127) قائد «المجاهدين» العرب في أفغانستان، بإلقاء كلمات في الجامع الكبير في مدينة بريدة، قيل إنها كلمات ألقيت عقب محاضرات سلمان العودة، وحينما سألتُه عن هذه القصة في التسجيلات واللقاءات التي أجريتها معه قال: «كلاهما تحدث في الجامع الكبير حسب معلوماتي، لكن ليس بعد درسي المحدد، الذي كان يقام مساء الأحد، وكنا نحرص على ألا

127 - عبد الله يوسف عزام (1360هـ - 1410هـ) (1941 - 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 1989)، وهو شخصية إسلامية يوصف بأنه رائد «الجهاد الأفغاني»، ومن أعلام الإخوان المسلمين، وذو شخصية محورية في تطوير الحركات الإسلامية المسلحة. ويعتبر من المؤسسين لحركة حماس. وأسس عبد الله عزام مدرسة فكرية وبنية تحتية شبه عسكرية كانت تركّز على الصراعات الوطنية، الثورية والتحررية المنفصلة. كانت فلسفة عزام في ترشيد الجهاد العالمي وتبنّي أسلوب عملي لضم وتدريب المسلحين المسلمين من أنحاء العالم قد أثمرت أثناء الحرب ضد الاحتلال السوفياتي في أفغانستان، وكانت مؤثرة تأثيراً حرجا على التطوّر اللاحق لحركة القاعدة العسكرية. ولد عبد الله عزام في قرية سيلة الحارثية في لواء جنين الواقعة شمال وسط فلسطين، وكانت لا تزال تحت الانتداب البريطاني، في حي اسمه حارة الشواهنة، واسم والده الحاج يوسف مصطفى عزام. تلقى عبد الله عزام علوم الابتدائية والإعدادية في مدرسة القرية، ثم واصل تعليمه العالي بكلية خضوري الزراعية، ونال منها دبلوماً بدرجة امتياز، ثم انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق ونال منها شهادة الليسانس في الشريعة بتقدير جيد جداً عام 1966. قتُل في باكستان وهو متّجه إلى مسجد «سبع الليل» الذي خصّصته جمعية الهلال الأحمر الكويتي للمقاتلين المتطوعين العرب، إذ كانت الخطب في المساجد الأفغانية بلغة الأوردو، فحضر لإلقاء خطبته يوم الجمعة بتاريخ 25 ربيع الثاني 1410هـ، الموافق 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 1989م، وانفجرت به سيارته التي لغمها له خصومه الذين لم تثبت هويتهم إلى اليوم ودفن يوم وفاته في باكستان.

يتبعه أي نشاط آخر، في نفس الوقت، نظراً لظروف الحضور الذي يأتي من مدن عدة، ويصعب عليه البقاء لوقت أطول»[128].

كان موقفه من النظام الحاكم موقف الناقد، وشارك في التوقيع على مذكرة «النصيحة»[129]. يقول العودة: «نعم؛ وقعت على المذكرة، ولم أكن ضمن من أعدّوها»[130]. وإذا كان بعض الباحثين قد وضع العودة في سياق المعارضة السعودية[131]، فإنه يرى أن: «اللغة في تلك المرحلة تؤهل لذلك التصنيف ولو بشكل جزئي، والمعارضة ليست عيباً بذاتها، العيب هو التعصب والجمود»[132].

---

128 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

129 - مذكرة «النصيحة» عبارة عن عريضة قدمت للسياسي في 1993 تضمنت تواقيع لـ 400 شخصية، كان من بينهم سلمان العودة، وهو خطاب أثار جدلاً كبيراً، وتأزمت على خلفيته علاقة رموز الصحوة بمؤسسة هيئة كبار العلماء (مع أن بعض أعضاء الهيئة بارك المذكرة في البداية ثم تراجع عن ذلك)، فضلاً عن السياسي.

130 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

131 - كما يفهم في تناولات عبد العزيز الخضر لخطاب العودة في كتابه: السعودية سيرة دولة ومجتمع: قراءة في تجربة ثلث قرن من التحولات الفكرية والسياسية والتنموية، مرجع سابق.

132 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

بعض الباحثين رأى أن العودة تقاطع مع «لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية»[133] وذلك من خلال: «استفادة لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية في لندن من الأزمة بين رموز الصحوة والدولة، وكسبت شعبية كبرى بين شباب الصحوة، وأصبحت منبراً ومرجعاً

133 - لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية، أنشئت في 3 مايو (أيار) 1993 في المملكة العربية السعودية. وقع عليها: عبد الله بن سليمان المسعري، حمود التويجري، عبد الله بن جبرين، محمد المسعري، عبد الله الحامد، حمد الصليفيح، وعبد الله بن حمود التويجري، ورأت الحكومة السعودية في إنشاء هذه اللجنة تحديا لسلطاتها فألغتها، وأمرت بالقبض على مؤسسيها، وقد استطاع بعض أعضائها الهرب إلى خارج البلاد قبل أن يتم القبض عليهم. تم حل اللجنة في 1 مارس (آذار) 1994، وأدت حملة أطلقتها منظمة العفو الدولية إلى إطلاق سراح المسعري في أبريل (نيسان) 1994. أطلق المسعري مع سعد الفقيه* اللجنة مرة أخرى من لندن وقام باستعمال الناسوخ (الفاكس) وبعد ذلك الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) في هجوم مكثف على الحكومة السعودية. انفصل الفقيه عن المسعري عام 2006 وذلك بدعوى أن المعارضة السعودية يجب أن تعمل في نطاق القانون البريطاني تحديدا، وكوّن الفقيه منظمة مستقلة هي الحركة الإسلامية للإصلاح.

* سعد بن راشد بن محمد بن راشد الفقيه ولد في 1 فبراير (شباط) 1957، معارض سعودي، والمؤسس والمتحدث الرسمي لـ «الحركة الإسلامية للإصلاح». سافر إلى بريطانيا للتخصص في الجراحة في فترة الثمانينيات ثم عاد إلى الرياض. غادر بعد سنوات من النشاط الداخلي في مجال الإصلاح عام 1994 ليترأس مكتب لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية، انفصل عن لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية عام 1996 بسبب اختلافه مع الناطق الرسمي للجنة الدفاع محمد المسعري في المنهج والأسلوب الذي يتبعه كل منهما. تزعم الحركة الإسلامية للإصلاح في 11 أبريل (نيسان) 1996. اتهمته الولايات المتحدة الأميركية بالاشتراك بمكتب مع المهندس خالد الفواز، أحد معاوني أسامة بن لادن، وباقتناء الهاتف الفضائي الذي استعمله بن لادن لتنسيق هجوم استهدف سفارتيها في كينيا وتنزانيا عام 1998م. وقالت أكثر من مرة إن موقعه على الإنترنت يتم «استغلاله» لحشد الدعم الأيديولوجي والمادي لتنظيم القاعدة. و بناءً عليه جمّدت الولايات المتحدة أمواله، وقد صنفته وزارة الخزانة الأميركية على أنه إرهابي عالمي، تبعتها بريطانيا في ديسمبر (كانون الأول) 2005 بتجميد أرصدة الحركة الإسلامية للإصلاح، وقدّمت مع الولايات المتحدة الأميركية والسعودية طلباً لمجلس الأمن بهيئة الأمم المتحدة لإضافة الحركة الإسلامية للإصلاح إلى قائمته الخاصة بأسماء الأفراد والمنظمات التي يُشتبه في صلتها بحركة طالبان أو تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن.

إعلامياً في تلك اللحظة التاريخية، وأصبحت كأنها مشروع واحد وهم واحد، وزعت المنشورات على الرغم من خطورتها الأمنية التي كلفت بعض الموزعين لها مدة طويلة في السجن»[134]. غير أن العودة ينفي علاقته بتلك اللجنة قائلاً: «لم أكن عضواً في تلك اللجنة، ولم يكن لي بها علاقة كمشروع أو مؤسسة»[135].

تصاعدت شعبية العودة بعد أن غذَّى العاطفة الشعبية بالرفض للمارسات السياسية، ويرى البعض أن شعبية سلمان العودة وسفر الحوالي[136]: «تصاعدت وأخذت أعداد هائلة من أشرطتهما بالانتشار في سائر أنحاء البلاد، وفي تحدٍّ علني للنظام استغلا السخط الشعبي، وحظيا بمصداقية شعبية تفوق بكثير تلك التي يتمتع بها رجال الدين التابعين للنظام»[137].

134 - الخضر، عبد العزيز، السعودية سيرة دولة ومجتمع: قراءة في تجربة ثلث قرن من التحولات الفكرية والسياسية والتنموية، مرجع سابق، ص 189.
135 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.
136 - انظر ترجمته، ص 67.
137 - انظر ص 5 من التقرير 31 للمجموعة الدولية لمعالجة الأزمات (الشرق الأوسط)، 21 سبتمبر (أيلول) 2004.

محمد المسعري[138] في معرض سرده لقصة تأسيس لجنة الحقوق الشرعية قال بوضوح إنه «استثمر» حدث القبض على العودة لإعلان تأسيس اللجنة، وصرّح أن الأعمال الكبيرة تحتاج إلى محفزات أو محرضات لتطرح، وتأسيس اللجنة كان يحتاج إلى حدث بمثل أهمية القبض على سلمان العودة[139].

أبدى العودة شراسة في مواجهة المنع من المحاضرات وإلقاء الدروس، فـ: «الشيخ استكمالاً لتمرده ونهايته أراد ألا يدخل السجن دون موقف وضجيج، فكان يوم مدينة بريدة الشهير، والمهرجان الخطابي الذي أربك الجهات المسؤولة، ثم حدوث المسيرة إلى مبنى الإمارة، قدم الشيخ شريطاً استباقياً سجله في المنزل[*] بعنوان رسالة من وراء القضبان، المشكلة أخذت بعداً آخر،

---

138 - محمد بن عبد الله المسعري، ولد في 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 1946، معارض سعودي يحمل شهادة دكتوراه في الفيزياء، مقيم في لندن حالياً. أمين عام تنظيم التجديد الإسلامي والناطق الرسمي له. أحد مؤسسي «لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية» في 3 مايو (أيار) 1993، والتي وقّع عليها كلٌ من: الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري مقرراً ورئيساً للجنة، والشيخ سليمان الرشودي، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، والدكتور حمد الصليفيح، والأستاذ الدكتور عبد الله الحامد، والدكتور عبد الله بن حمود التويجري. ثم ضمّ إليهم: الدكتور محمد بن عبد الله المسعري ناطقاً رسمياً باسم اللجنة، وأميناً عاماً لها. في 1 مارس (آذار) 2004 حُلّت لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية. مع أنه متخصّص في الفيزياء فقد قام بأبحاث كثيرة في الشريعة الإسلامية وله مؤلفات منها: كتاب «التوحيد» وكتاب «طاعة الحكام وقيودها» وغيرها الكثير من المباحث الشرعية.

139 - في لقاء على قناة «الحوار» تحدث المسعري لمدة خمسين دقيقة عن قصة تأسيس «لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية» وذلك في 20 فبراير (شباط) 2010 وهي على الرابط التالي:
http://www.youtube.com/watch?v=lPIlCLn7EFA

(*) يقال إنه سجل هذه المحاضرة في منزل د. ناصر العمر في الرياض.

وتداخلت قضية لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية التي واجهتها الدولة بحزم ورفض مطلق مع قضية العودة وتيار الصحوة، وانتهزت لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية بقيادة المسعري تلك اللحظة التاريخية»[140].

في خضم هذا التزامن بين حظر اللجنة، وبين حصار العودة: «تم الخلط بين اللجنة والشيخ، وأصبحت شيئاً واحداً، لقد استفادت اللجنة من هذه المناسبة وشكلت صراعاً لا يمكن نسيانه، لأي متابع، وفرضت حضورها، لكنها كانت ضارة بتيار الصحوة»[141]. ارتبكت الرؤية الاجتماعية، واختلط أتباع العودة بأنصار لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية، الأمر الذي حدا بالبعض إلى وضع العودة في خانة «المعارض السياسي»[142].

في محاضرته «رسالة من وراء القضبان»، يطرح العودة نفسه باعتباره مستهدفاً بسبب آرائه الإصلاحية التي تهم كل المواطنين، في كافة أرجاء البلاد، بل وكل المسلمين، يقول: «الدعاة يطالبون بقضية تخص الأمة والبلاد من شرقها إلى غربها، تخص المنطقة الجنوبية وتخص المنطقة الشمالية، تخص المنطقة الشرقية،

140 - المرجع السابق.
141 - المرجع السابق.
142 - المرجع السابق.

كما تخص المنطقة الغربية، وتخص المنطقة الوسطى، بل إنها تخص هذه البلاد وتعم كل مسلم يعنيه أمر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فالقضية هي قضية الامتثال لشريعة الله تعالى التي جاءت بالعدل وجاءت بالمساواة، وجاءت برفع الظلم، وجاءت بتحقيق المطالب الإنسانية، وجاءت بحفظ كرامة الإنسان وحقه، فلا يُعتدى عليه ولا يظلم ولا يبخس حقه، ولا يهضم، ولا يتجسس عليه، ولا يوقف بغير بينة وبغير نص، ولا يُحقق معه إلا بنص، ولا يحق لأحد أن يتجسس عليه أو يتلصص على مكالماته، أو خصوصياته أو مراسلاته، أو محادثاته، إلى غير ذلك، ليس الدعاة بل الأمة كلها، كل إنسان مسلم ومواطن من المسلمين له هذا الحق. ولذلك فليست قضية الدعاة قضية شخصية وإنما هي قضية تهم الأمة كلها من أولها إلى آخرها، أما الدعاة فقد آن الأوان ليعلنوها للناس كلمة صريحة، العدو والصديق... القريب والبعيد... الحاكم والمحكوم... من يعرفهم ومن لا يعرفهم، لا نسألكم عليه من أجر، لا نسألكم عليه مالاً. إن رأيتمونا يوماً من الأيام طلاب جاه، أو طلاب شهرة، أو طلاب منصب، أو طلاب مال، أو طلاب وظيفة، فاحثوا في وجوهنا التراب، واعتبروا هذا آية على عدم مصداقية ما ندعو إليه. نحن دعاة حق نرى أنه يجب أن يدعو إليه الجميع، ويجب أن يلتف عليه الجميع، ويجب ألا تسقط هذه الراية بحال من الأحوال، لأنها الراية التي تسعى إلى

إعادة الحقوق إلى أهلها، سواء كانت هذه الحقوق حقوقاً معنوية، مثل كون الإنسان يعرف ما يخصه، هو فرد من الأمة له الحق أن يعرف لماذا حصل كذا، ولماذا اتخذت الأمة هذا الموقف، ولماذا حاربت هذا، ولماذا سالمت هذا، ولماذا عادت هذا، وما هي الأشياء التي ستفعلها، هو فرد من الأمة من حقه أن يعرف ما يخصه، ولا يجوز أبداً أن يُعتّم عليه، أو يُضلّل، أو يُعمّى؛ بحيث يعتبر أنه قاصر العقل، والفكر، ليس على مستوى أن يدرك أو يفهم، ولهذا ينبغي أن تكون الأمور في ظنهم أسراراً وطلاسم لا يعرفها إلا نفر قليل، أما الباقون فمن حقهم أن يقرأوا -مثلاً- في الجرائد أو يسمعوا من الإذاعة، وما قرأوا أو سمعوا، فليعتبروا أن هذا هو الكلام الذي يجب أن يقوله حتى لو لم يؤمنوا به ولو لم يصدقوه، ويجب أن يرددوه ويجيبوا به. إذاً أين عقول الأمة؟ أين أفكار الأمة؟ أين المختصون؟ بل أين الآلاف المؤلفة من الدكاترة والفضلاء والأساتذة وطلاب الجامعات والمتخرجين الذين بذلت أموال طائلة من أجل إعدادهم وتعليمهم وتخريجهم؟ فما معنى -بعد ذلك- أن يحازوا ويحصروا ويقال لهم: إن عقولكم في إجازة مفتوحة، ليس من حقكم أن تفهموا، ولا أن تسألوا، وتناقشوا، وتشاركوا، ولا أن تشيروا، هذه مصادرة لحقوق معنوية كبيرة للأمة، لأن الإنسان، إنسانيته ليست بجسمه»[143].

143 - محاضرة «رسالة من وراء القضبان»، مرجع سابق.

يطرح العودة نفسه مخلّصاً لا يطلب أي منصب، كما يُجذّر من مطالباته لتمس هموم المسلمين، ويربط بين الاستهداف السياسي الذي يُلمِّح له، بل ويصرِّح به، وبين آرائه التي يطرحها. في موضع آخر من نفس المحاضرة يعيد حديثه عن الإصلاح الدنيوي، وليس فقط الإصلاح الديني، ذلك أن نقد الفساد، والدعوة إلى الحفاظ على المال العام، ونقد الاستعانة بالأجنبي في حرب الخليج الثانية كانت طافحة من بين بحر محاضرات العودة التي ناهزت الخمسمائة محاضرة، جلها كانت تعليقات على أحداث تجري في الواقع السعودي.

فالعودة يرى أن: «المهمة هي مهمة إصلاح أوضاع الناس، حتى أوضاع الناس الدنيوية، فالكثيرون يتحدثون في مجالسهم وخصوصياتهم عما يشعرون به من فقدان العدل الاجتماعي، ومن سحق كثير من الطبقات، وأنهم لا يجدون حقوقهم في المال العام، في الوظائف، وفي المخصصات، ولا يجدون حقوقهم في الفرص التي هي في الأصل حقوق مشتركة للأمة يتساوى فيها الجميع، يشتكي من ذلك المزارع، ويشتكي منه الموظف الصغير والمتوسط، ويشتكي منه الطلاب، والمتخرجون، ويشتكي منه ألوان وأصناف من الناس، وكثير من رجال البادية، وكثير من أهل المناطق المختلفة المتباينة وغيرهم، فالجميع يتحدثون عن ذلك. فبالله! من هو المستفيد من أن تظل هذه الأشياء مجرد مشاعر

دفينة في النفوس تتحول إلى أحقاد بغضاء وتدمير للمجتمع، دون أن تُعطى فرصة على الأقل للتنفيس؟! ماذا يضرك أن تُعطي الناس مجالاً للتنفيس عما في نفوسهم؟ ربما شعر لو تحدث أنه وضع عن ظهره حملاً ثقيلاً وعبئاً جليلاً ينوء به، وما يضيرك أن يتحدث عنك الناس؟ بل ماذا يضير أن يتحدثوا ويُأخذ من كلامهم النافع المفيد ليكون نبراساً؟ فإننا لا نعتقد أن أحداً يملك أن يُصلح الأمة وهي فاسدة أو نائمة، بل ولا أحد يستطيع ذلك لو أراده، فضلاً عن أنه لا يمكن أن يريده، إلا دعاة الإصلاح الذين يشهد الناس لهم بذلك، أما مجرد أن أدّعي -أنا أو غيري- ذلك، فهذه دعوى لا تُصدّق ولا تُكذّب إلا من خلال الواقع الذي يمكن أن يحكم لها أو عليها»[144].

هذه المحاضرة سجلها الدكتور العودة، في منزله، وقيل في منزل د. ناصر العمر في الرياض، في نوفمبر (تشرين الثاني) من العام 1994، قبل سجنه بأيام، وأعلن فيها نفسه إصلاحياً، ووضع من سجنه علامة على الفساد الذي تعاني منه البلاد. لهذا صرح بنقد شخصيات أساسية في النظام الحاكم، كما طرح توصيات مباشرة، لجهاز المباحث العامة، في السعودية، في محاضرته «رسالة إلى أخي رجل الأمن»[145].

144 - محاضرة «رسالة من وراء القضبان»، مرجع سابق.
145 - محاضرة «رسالة إلى أخي رجل الأمن»، مرجع سابق.

إن مفهوم الإصلاح لدى سلمان العودة في التسعينيات كان مزيجاً من إصلاح السعودية، وإصلاح الأمة، وربما رأى أن نواة إصلاح الأمة لا بد أن تبدأ من السعودية، لهذا يقول في محاضرته: «مهمة الإصلاح التي نستهدفها ويجب أن يستهدفها جميع المخلصين، ليست مقصورة على بلد بعينه ولا على مجال بخصوصه، بل ينبغي أن نستهدف العمل على إصلاح الأمة في كل مكان بقدر المستطاع، سواء في الجوانب العلمية، أو في الجوانب العملية. هذه المهمة ينبغي أن يَنتدِبَ لها أقوامٌ من بيننا نذروا أنفسهم لهذه المهمة وصبروا عليها، ونحن نعتقد أن جزءاً من مسؤوليتنا يتمثل في مخاطبة الأمة كلها، بقضاياها العامة، والوقوف مع المسلمين في ملماتهم ومصائبهم ونكباتهم، وتعريف إخوانهم المسلمين بقضاياهم، والعمل على إحياء معاني الأخوة الدينية بين المسلمين، وإزالة جميع المظاهر السيئة من حياتهم أو تفكيرهم»[146].

إن رؤيته للإصلاح كانت شاملة وراديكالية، تريد إزالة الفساد السياسي، والاقتصادي، والديني، يريد ويطمح إلى إلغاء كل مظاهر الفساد، كما يراها هو، وهو ما تراجع عنه في مرحلته الجديدة. كان لديه مشروعٌ أمميٌّ يريد البدء به من السعودية. لهذا

146 - محاضرة «رسالة من وراء القضبان»، مرجع سابق.

تم قمع تلك الهبّة الإسلامية والتي أطلق عليها «الصحوة»، والتي كانت أكثر مراحل السعودية ارتباكاً واضطراباً، وكانت نتائجها كبيرة، حيث أعقب سجن الدعاة ضمورٌ كبيرٌ في تيار الصحوة. فـ «على الرغم من الإثارة الإعلامية التي حدثت مع اعتقال الشيخ، فقد كان البعض يتوقع استمرار الأحداث بخط تصاعدي، لكن الذي حدث عكس ذلك على الرغم من حدوث تفجيري العليا ثم الخبر فقد مرت السنوات الخمس سريعاً بركودٍ ملموسٍ لخطاب الصحوة»(147).

مفهوم الإصلاح لدى سلمان العودة بعد خروجه من السجن سيأخذ شكلاً مختلفاً، وسيكون في سياق مختلف، ذلك أن الكثير من المفاهيم الدينية التي عالجها الرجل في برنامج «حجر الزاوية» أخذت خطاً مدنياً، وضربنا على ذلك مثلاً بالجهاد، وسنقف مع تمدين العودة لمفهوم الإصلاح في الفقرة التالية.

ب- تمدين مفهوم الإصلاح

تحولت شخصية الدكتور سلمان العودة إلى شخصية تطرح ما تريد بهدوء، جسّد برنامج «حجر الزاوية» مرحلة الطرح الناعم

147 - الخضر، عبد العزيز، السعودي سيرة دولة ومجتمع: قراءة في تجربة ثلث قرن من التحولات الفكرية والسياسية والتنموية، مرجع سابق. ص159.

بالنسبة للعودة، وهي أكثر مراحله ثراءً وانتشاراً وقبولاً وتأثيراً، وهو يدرك هذا النوع من الطرح، يقول العودة: «قال لي واحد منهم: أنا أشاهدك وأنا مسترخي، أنا هذا هو الذي يتناسب معي. لأني أرى أن ما نحتاجه ليس فقط في خطابنا الديني، وإنما حتى في مجتمعنا، أن نتحدث بعيداً عن التكلف وعن التوقر الزائد، وعن التوتر، سواء في التلقي أو في الإرسال، والأداء. فهذا الذي كنا نهدف إليه، في «حجر الزاوية»[148].

أخذ العودة خطاً جديداً في الطرح في هذا البرنامج، لهذا تربى مفهوم الإصلاح في جوّ البرنامج الهادئ فصاغه بأسلوب مدني تحديثي، لم يكن مُنْجَرّاً وراء الحمولة التاريخية لكلمة «الإصلاح» والتي سبقت سجنه. بل بدأ يطرح التكامل في الإصلاح بين جميع أطياف المجتمع، فهو ضد الإصلاح الفردي الجزئي البعيد عن إدراك ظروف كل مجتمع. يتحدث العودة عن ذلك، قائلاً: «التيارات الإصلاحية والإسلامية إنها أحياناً تفضل أن تقوم بمشروعها الخاص، وهذا طبعاً له إيجابياتٌ وسلبياتٌ، من إيجابياته أنهم يشعرون أن هذا شيء يخصهم وأنه منهم وإليهم. ومن سلبياته أنه يكرس الانفصال عن المجتمع أحيانا ويحول المجتمع إلى جزر أو شرائح متعارضة، هذا مشروع الإسلاميين، وهذا مشروع غير

148 - حوار خاص بهذه الرسالة أجريته مع سلمان العودة بتاريخ 25 سبتمبر (أيلول) 2009.

الإسلاميين، أياً كانوا. أما الاندماج أو الشراكة في أي مشروع قد يكون هذا المشروع وزارة صحة، أو تعليم، أو منشط أو اقتصاد أو شركة، يحقق قدراً من الاندماج والتعايش داخل المجتمع بين الشرائح المختلفة»[149].

يعارض العودة ربط مشكلاتنا كلها بالزعيم؛ يجيب على سؤال يطرح موضوع الإصلاح السياسي قائلاً: «نحن نعتقد أن كل عيوبنا يتحملها هذا الزعيم، وأن أي إصلاح ننشده أيضاً سوف يأتي عبر زعيم ننشده وننتظره، هذا خطأ»[150].

يتحدث العودة عن «القابلية للاستبداد» بمعنى أنه يرد المسؤولية عن الاستبداد والتسلط الذي يمارس ضد المسلمين من قبل السلطات بأنواعها إلى المجتمع من جهة وإلى السلطة ذاتها من جهةٍ أخرى، مستعيناً بنظرية مالك بن نبي حول «القابلية للاستعمار»، يقول العودة: «نحن نشهد بأن حكومات العالم الإسلامية حكومات ذات طابع استبدادي، وأحياناً تكون سلطوي أو أبوي بحيث إن السلطة تجمع في يدها كل الصلاحيات وكل القرارات وكل الخيوط هذا واضح جداً ولا يحتاج إلى حديث وهو أحد مظاهر المشكلة العويصة في العالم الإسلامي، تحتاج إلى

149 - المرجع السابق.
150 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الإصلاح»، بثت في 15 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.

تدارك وإصلاح، لكن هناك في المقابل كثير من الناس الذين هم يصنعون الاستبداد بمعنى أن عندهم ما يصفه مالك بن نبي[151] -رحمه الله- بـ «القابلية للاستبداد»، ولذلك تجد أنه عندنا سلطة الزعيم الأوحد الذي يقول كما كان فرعون يقول: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ (غافر:29)، لكن أيضاً تجد في مقابل ذلك سلطة شيخ القبيلة، تجدها بنفس الإطار، سلطة الفقيه أحياناً التي تحاكي سلطة الأحبار والرهبان، وأنه لا أحد اعترض عليه ولا أحد حتى يسأله برهاناً أو دليلاً،

151 - مالك بن نبي، ولد في مدينة تبسة شرق الجزائر سنة 1905، وترعرع في أسرة إسلامية محافظة. فكان والده موظفاً بالقضاء الإسلامي حيث حُول بحكم وظيفته إلى ولاية تبسة حين بدا مالك بن نبي يتابع دراسته القرآنية. ودرس الابتدائية بالمدرسة الفرنسية. وتخرج سنة 1925، سافر بعدها مع أحد أصدقائه إلى فرنسا حيث كانت له تجربة لم تكتمل، فعاد مجددا إلى مسقط رأسه، وعمل في محكمة أفلو حيث وصلها في مارس (آذار) 1927، احتك أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب فبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده. واستقال من منصبه القضائي فيما بعد سنة 1928 إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية، وفي سنة 1930 سافر إلى فرنسا وحاول أولا الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، إلا أنه لم يكن يسمح في ذلك الوقت للجزائريين أمثاله بمزاولة مثل هذه الدراسات. فتركت هذه الممارسات تأثيرا كبيرا في نفسه. واضطر للتعديل في أهدافه وغاياته، فالتحق بمدرسة (اللاسلكي) للتخرج كمساعد مهندس، ممّا يجعل موضوعه تقنياً خالصاً، أي بطابعه العلمي الصرف، على العكس من المجال القضائي أو السياسي. يتحدث مالك بن نبي عن نظرية القابلية للاستبداد في كتابه: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: عمر مصقاوي. نشر دار الفكر بدمشق، 1963. انغمس مالك بن نبي في الدراسة وفي الحياة الفكرية، واختار الإقامة في فرنسا وتزوج من فرنسية ثم شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي، فأصدر كتابه «الظاهرة القرآنية» في سنة 1946 ثم «شروط النهضة» في 1948، الذي طرح فيه مفهوم القابلية للاستعمار للمرة الأولى، و«وجهة العالم الإسلامي» 1954، أما كتابه «مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي»، فيعتبر أحد أهم كتبه. انتقل إلى القاهرة بعد إعلان الثورة المسلحة في الجزائر سنة 1954 وهناك حظي باحترام كبير، فكتب فكرة الإفريقية الآسيوية 1956. وتوالت أعماله الجادة. وبعد استقلال الجزائر عاد إلى أرض الوطن، فعين مديراً للتعليم العالي الذي كان محصوراً في جامعة الجزائر المركزية، حتى استقال سنة 1967 متفرغاً للكتابة، توفي في دمشق عام 1973.

سلطة الأب على أسرته أحياناً مصادرة رأي، سلطة المعلم في الفصل أحياناً والتي لا تسمح للطالب حتى بمجرد السؤال، سلطة الزوج، سلطة الصحفي أو الكاتب أو المفكر الذي قد يبدو أنه يحل المشكلات لكن هو في الواقع جزءٌ منها لأنه يطرح ما لديه بطريقة استبدادية لا تسمح للآخرين بالمراجعة أو بالتصحيح»(152).

يُوزّع العودة المسؤوليات تجاه حالة التخلف، ويرفض إحالة المسؤولية كاملةً على الحكّام، كما جرت العادة لدى المنادين بالإصلاح بالطريقة التقليدية. من خلال قراءتي ومتابعتي لنصوص العودة الجديدة حول مفهوم الإصلاح أرى أنه اختطّ منهج مالك بن نبي المفكر الجزائري النهضوي في مشروعه المهم عن التخلف العربي والإسلامي، فاستطاع أن يضع الجانب الثقافي شريكاً في المسؤولية عن الاستبداد، وأن يجعل المسؤولية مشتركة بين المجتمع والحكّام.

غير أن خطاب العودة الجديد في «حجر الزاوية»، كان وثيق الصلة بما يطرحه في مناسباتٍ أخرى، نقرأه وهو يتحدث عن نقده لمفهوم الحركات الإسلامية للإصلاح وهو يكتب: «أقول لجلسائي إن علينا أن نفرّق بين الإسلام وبين الحركات الإسلامية. قد

152 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الإصلاح»، بث في 15 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

يضيق نظام حكم ما بالحركات الإسلامية؛ بسبب الخوف وعدم الاطمئنان، أو المغالبة السياسية أو المزاحمة، وقد يقع لبعض الحركات أن تنفتح نحو السياسة وتضخم دورها وأهميتها، وكأن الإمساك بأزمتها يعني نهاية المشكلة والمعاناة، وهي رؤية ضيقة تجاوزتها حركات كثيرة؛ أدرَكَتْ أن التغيير يجب أن يستهدف سلوك الفرد وعقله، ومنحه الخبرات والمهارات والمعارف والأفكار الصحيحة، وليس أن نتصارع على الكراسي والمناصب بإقصائية متبادلة، وكل طرف يقول: أنا أو الدمار»(153).

يرفض العودة في مقالته هذه التي أثارت جدلاً كبيراً ربط الإسلام بالحركات الإسلامية، وحصره بمشروع الحركات. في النص السالف يقرأ العودة المبررات السياسية التي جعلت الحكّام ينظرون بعين الريبة والشك تجاه المشروعات التي تتبناها الحركات الإسلامية. يقدمُ العودة فرقاً جوهرياً في طرحه حينما ينفي كون الإسلام هو الحركات الإسلامية.

وفق رؤية العودة الجديدة للإصلاح فإن مشكلة الأمة لا ترتبط بالسياسيين فحسب، بل رأى أن: «معاناة الأمة ليست في ساستها فحسب، بل في أنماط تفكيرها، ومسالك عيشها بما يتوجب معه

153 - مقال «الإسلام والحركات» نشر في موقع «الإسلام اليوم» بتاريخ 11 أبريل (نيسان) 2009.

اعتماد نظرة أوسع أفقاً، وأبعد عن المصادرة والأحادية والإقصاء والتصارع على السلطة، وأكثر هدوءاً وإدراكاً لإمكانيات الإصلاح والتغيير»[154].

في جانب آخر من رؤيته المدنية المترابطة لمفهوم الإصلاح الذي ينطلق من رؤية معينة لمسار التخلف، يرى العودة أن: «جهود الإصلاح على صعيد الأفراد والجماعات والدول مرتبطة بحصول الخطأ ومن الطريف هنا أن العلماء يتكلمون عن قضية التفكير الإيجابي وكيف أن تنظر إلى الأشياء، كل الأشياء من زاوية إيجابية، فالعاقل من تكلم مثلاً عن الخطأ وكيف نوظف الخطأ توظيفاً سليماً وجيداً»[155].

في هذه الأفكار نقرأ التحولات التي خاض غمارها سلمان العودة، وهي نقلات تعبر عن روح النقد الذي يكرّسه للرؤى والأفكار التي أخذتها التيارات الدينية على أنها من الثوابت التي لا يمكن المساس بها، ولا يمكن الزيغ عنها. يُشكّل الإصلاح في طرح العودة الجديد مفهوماً مدنياً بحتاً، يمكن أن يكون قد استقاه من فهم شرعي معين، لكن لا يمكن إغفال الطابع الإنساني والمدني

154 - المرجع السابق.

155 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «التصحيح»، بثت في 10 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.

الذي يحيط برؤاه حول المفهوم الإصلاحي. ذلك أن ربط التخلف بعوامله المتعددة سواء أكانت اجتماعية أم فكرية أم سياسية، يُعتبر مجالاً جديداً في الطرح الإسلامي التقليدي.

كان لمرحلة «المراجعات» التي دشّنها سلمان العودة الأثر الكبير في تمدين مفهوم الإصلاح عنده، وتحويله من السعي إلى المناطحة الشكلية الضيقة مع الحكومات إلى البحث في عمق أزمة التخلف التي تجتاح العالم العربي والإسلامي، يقول هو عن هذا التمحيص: «السجن عزلني عن مؤثرات خارجية، ومنحنى فرصة الحفر داخل الذات، وبالتالي عرَّفني على نفسي، وعلى الآخرين أكثر وأكثر، وجعلني أقرأ تجارب المصلحين والعلماء عبر العصور، وتجارب المجتمعات الأخرى، فكوَّنت نفسي بشكل أفضل، وأصبحت أكثر إدراكاً لعمق مشكلة التخلف في العالم الإسلامي»[156].

في البرنامج ومن خلال قراءة مفهوم الإصلاح الذي طرحه العودة، يمكنني قراءة نتيجة أساسية وهي أن العودة في خطابه وكلامه عن الإصلاح لا يربطه بالثورة على الحُكام، كما لا يجعل من الحُكّام سبباً وحيداً، بل يضع المشكلة في إطارها الثقافي وبمفهومها الفكري.

156 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

إن مشكلة التخلف «ثقافية» سببها حمولة من العوامل والظروف، من أبرزها «القابلية للاستبداد»، التي أشار إليها في معرض حديثه عن الإصلاح، وهكذا فإن معالجة الإصلاح أخذت مساراً مدنياً في أطروحات برنامج «حجر الزاوية»، وهو نهجٌ لم يكن حاضراً في قديم ما ألقاه من محاضرات، أو وضعه من مؤلفات.

ثالثاً: معالجة الإرهاب

أ- الإرهاب والمشروع الإسلامي

ينفي سلمان العودة في برنامج «حجر الزاوية» في معرض حديثه عن الإرهاب، أن يكون مصطلح «الإرهاب»(157)، المعروف

157 - استخدم مصطلح Terrorism لأول مرة في عام 1795، وكانت الكلمة فرنسية مشتقة من كلمة لاتينية، Terrere وهو التخويف، واستعملت الكلمة لوصف الأساليب التي استخدمتها المجموعة السياسية الفرنسية المعروفة باليعقوبيين Jacobin Club، بعد الثورة الفرنسية وكانت هذه الأساليب عبارة عن إسكات واعتقال المعارضين لهذه المجموعة السياسية التي كان لها دور بارز في الثورة الفرنسية حيث كانت توجهاتها معتدلة في البداية ولكنها بدأت تنحو منحى راديكالياً بعد الثورة، وكان عدد المنتمين إلى هذه المجموعة يقارب 500.000، ولكن المجموعة انحلت وقتل معظم قيادييها في عام 1794. في بدايات القرن العشرين كانت كلمة الإرهابي تستخدم بصورة عامة لوصف الأشخاص أو الجهات الذين لايلتزمون بقوانين الحرب أثناء نشوب صراع معين مثل تجنب الاستهداف المتعمد لأهداف مدنية أو أشخاص مدنيين، ورعاية الأسرى والعناية بالجرحى، وكان التعبير يستخدم أيضا لوصف المعارضين السياسيين لحكومة معينة، وكانت كلمة إرهابي ذات معاني ايجابية من قبل المعارضين. وأقدم ذكر لهذه الكلمة مدون في سيرة فيرا زاسوليخ Vera Zasulich التي كانت كاتبة ماركسية من روسيا اغتالت الحاكم العسكري لمدينة سانت بطرسبرغ في عام 1878 لأسباب سياسية. ألقت زاسوليخ بعد الاغتيال مسدسها وسلمت نفسها، قائلة: «أنا =

إعلامياً هو ذاته الوارد في القرآن في كلمة: «ترهبون» بالآية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

يعلّق سلمان العودة على كلمة «ترهبون»، قائلاً: «أرى أن كثيراً من الباحثين والكاتبين خصوصاً غير المتعمقين، يحتاجون إلى لفت نظر في ما يتعلق بهذه الآية فأولاً هذا الاستخدام القرآني ليس مصطلحاً وإنما هو لفظ عابر بصيغة الفعل المضارع: (ترهبون به). إذاً لا نستطيع أن نقول إن مصطلح الإرهاب موجود في

= إرهابية ولست بقاتلة»، وكانت زاسوليخ عضواً في مجموعة فوضوية تسمى لاسلطوية وهي مجموعة معارضة لحكومة روسيا القيصرية. وفي الأربعينيات استعمل تعبير الحرب على الإرهاب لأول مرة من قبل سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين أثناء الحملة الواسعة التي قامت بها للقضاء على سلسلة من الضربات التي استهدفت مدنيين فلسطينيين والتي كانت تقوم بها منظمتا أرغون وشتيرن، فقامت القوات البريطانية بحملة دعائية واسعة في الجرائد قبيل الحملة واطلقوا تسمية الحرب على الإرهاب عليها ولكن الانتشار الأوسع للتعبير حدث في نهاية السبعينيات حيث جاء التعبير War on Terrorism ونصا على غلاف مجلة التايم Time magazine في عام 1977 وكان عنواناً لمقال رئيسي عن المعارضين أو ما أسماهم المقال اللاسلطويين الذي كانو من المعارضين السياسيين لحكومات الاتحاد السوفياتي وبعض الحكومات الأوروبية. بعد أحداث 11 سبتمبر (أيلول) 2001 حدثت تغييرات على المعنى الدقيق للإرهابي وتم استعمال تعبير الحرب على الإرهاب لوصف حملات متعددة الأوجه على الأصعدة الأعلامية والاقتصادية والأمنية والحملات العسكرية التي استهدفت دولا ذات سيادة وحكومات، وكان هذا الانعطاف في معاني كلمة إرهابي وتعبير الحرب على الإرهاب مصحوباً على الأغلب بإضافة وصف الشخص أو الجهة بكونه يستعمل الدين في الشؤون السياسية أو يقوم بتطبيق الدين بصورة متطرفة. (انظر الموسوعة الحرة «ويكيبديا»).

القرآن الكريم وإنما لفظة ترهبون هي التي تكون موجودة. وفرق بين استخدام عابر لكلمة وبين مصطلح محدد ومعتبر هذا أولاً، وثانياً أن الاستخدام القرآني يختلف عن اللغة الجارية اليوم، فقوله سبحانه ترهبون به عدو الله وعدوكم هذا معناها»[158].

كما يطرح مفهوماً آخر لكلمة «ترهبون به» الواردة في الآية حينما يقول: «ترهبون به إذاً الآية القرآنية تشير إلى إيجاد نوع من القوة التي تمنع من العدوان وليست تحمل على العدوان، لأن هذا الإرهاب المذكور في القرآن يشبه ما يسمى اليوم بتوازن القوى، يعني أن يكون عند هذه الجهة قوة تمنع من الاعتداء عليها، فيحصل بذلك الأمن والسلام. إذاً المقصود في الآية التخويف وليس المقصود القتل أو الضرب أو غير ذلك. بينما يستخدم لفظ الإرهاب اليوم في العالم بصيغة مختلفة فلا يستخدم بمعنى التخويف وإنما يستخدم إشارة إلى الأعمال العنيفة التي يترتب عليها القتل أو زعزعة الأمن أو ما أشبه ذلك»[159].

وبذلك يرى العودة أن توازن القوى، هو المراد في الآية لأنه يدفع نحو السلم، حينما يخافك العدو لما تحمله من قوة مخيفة يحدث السلام، والإرهاب ليس هو القتل والاعتداء، وإنما حيازة

158 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الإرهاب»، بث في 26 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.
159 - المرجع السابق.

قوة تمكنك من إدخال حالة ذعر ترسم لك حد ممانعة ضد أطماع الآخرين، الأمر الذي يرسي الأمن والسلام.

يشكّ العودة في الأهداف الحقيقية من تكرار مصطلح الإرهاب خاصةً إزاء المسلمين والأعمال الإسلامية، ويربط بين تهمة الإرهاب وإرادة تجريم «المشروع الإسلامي»، فهو رأى أن: «هناك ربطاً لكل ما هو إسلامي بالإرهاب وليس المواقع الإسلامية فقط، فوصمة الإرهاب أصبحت بوابة واسعة لمصادرة او إدانة أي عمل ينتمي لهذا الدين، وليس أمامنا إلا أن نمضي في طريق دعوتنا علماً وتعليماً وإبداعاً في شتى المجالات اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وتقنياً وغير ذلك. وقد تبين أن وراء هذه التهم أصابع صهيونية تخطط للإطاحة بكل ما هو إسلامي، إضافة إلى المتشبعين بالثقافة الأميركية ممن يعتبرون عنوان التحرر والتحضر هو الهجوم على المؤسسات الإسلامية ووصمها بالإرهاب»[160].

وإذا كان تكرار الصورة وتدويرها يحوّلها إلى حدث مضخّم ومؤرّخ كما رأى الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا[161]، فإن تكرار مصطلح «الإرهاب» بات من أبشع الأوصاف التي تُتداول

160 - من حوار مع صحيفة «عكاظ» السعودية نشر بتاريخ: 26 فبراير (شباط) 2005.
161 - جاك دريدا. ماذا حدث في 11 سبتمبر (أيلول). ترجمة: صفاء فتحي. 2003، مرجع سابق.

لضرب الخصوم سواءً على مستوى الأفراد أو بين التيارات في سجالاتهم[162]. لهذا يطرح العودة آلية فك الاشتباك بين المقاومة وبين الإرهاب، إذ يقول: «أؤكد أن من مقاصد الاستراتيجية للعدوان الصهيوني، ومن قبله التطرف الأميركي، المتصهين أيضًا، على العالم الإسلامي، في العراق، وفي فلسطين، وفي أفغانستان، وفي أكثر من مكان، أنهم يدركون أن الضغط على العالم الإسلامي يُبْرِزُ التطرف، وهم بحاجةٍ إلى صناعة عَدُوّ، هذا العدو اسمه: التطرف، أو الغُلُوّ، أو الإرهاب، فهم يحاولون أن يمارسوا هذا الضغط، وألا يتركوا مُتَنَفَّساً لشباب المسلمين، حتى يُغَذُّوا عوامِلَ التطرف، وعوامِلَ الغلو، ويُلْغُوا قضية العقلانية والتفكير والتخطيط الجيد، ويقدمون للناس دائما وأبدا صورة مغلوطة عنا، ليقولوا لهم: انظروا هؤلاء ما يقولون، وانظروا هؤلاء ماذا يفعلون! بينما عندما يتكلم صحافي صهيوني، أو محاضر صهيوني، ويقول: اضربوا غزة بالقنابل النووية... فإن هذا يَمُرُّ باعتباره رأياً خاصاً، ويتم تجاوزه»[163].

162 - استخدم الإرهاب على مستوى التنافس الرياضي، إذ كما ذكرت وكالة: «اس.او.اس» المناهضة للعنصرية في 11-7-2006 أن سبب ضرب اللاعب الفرنسي: زين الدين زيدان للاعب الإيطالي ماتيرازي، في نهائي كأس العالم، كان بسبب وصف الأخير لزيدان بـ «الإرهابي». وفي 27 مارس (آذار) 2010 نشرت جريدة «الحياة» أن القضاء في المملكة العربية السعودية حكم بجلد وسجن موظف اتهم مديره بـ «الإرهاب»، الأمر الذي يؤكد حالة التدوير الذي تعرض له مصطلح الإرهاب، لدرجة أنه بات مفهوماً يعبر عن «شتيمة».

163 - من برنامج «الحياة كلمة» على mbc في حلقة خُصصت لحرب غزة، بث في 17 يناير (كانون الثاني) 2009، مرجع سابق.

يطرح العودة فرضية وجود خطة شاملة للمزج بين المقاومة والإرهاب لغرض ضرب المشروع الإسلامي، وإذا كان الجهاد لدى العودة يُشرع -كما تقدم- لـ «حماية المشروع الإسلامي»، فإن وصم المقاومين بالإرهاب يأتي لضرب المشروع الإسلامي، تلك هي رؤية العودة لعنصر التماسّ هذا بين الجهاد والإرهاب والمقاومة، والتي تبدو (نظرية المؤامرة) لائحة بوضوح بين طيّاتها.

ب - الإرهاب والعمل الخيري الإسلامي

طرح العودة يوم 11 سبتمبر (أيلول) 2001 تأريخاً لبداية تراجع العمل الخيري بعد اتهام الكثير من المؤسسات الخيرية الإسلامية بالإرهاب، فهو يرى أن: :هذا العمل الخيري الذي تم القضاء عليه بعد أحداث سبتمبر أصبح هناك الآن ضرورة ماسّة إلى تفعيل هذا العمل الخيري وإلى دعمه، وأن تقوم الحكومات ذاتها بمبادرات إيجابية، ورفع مسألة التحفّظ والشك والريب والتردّد والخوف الذي يراود كل من همّ أن يقوم بعمل خيري أو أن يتبرّع لعمل من الأعمال الخيرية»[164].

يبرئ العودة ساحة العمل الخيري من الأنشطة الإرهابية، ويعتبر اتهام المؤسسات الخيرية بالإرهاب هو اتهام للدولة التي

164 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «رجع الصدى 2»، بثت في 10 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.

تعمل فيها[165]. مع أن المعلومات الأمنية لم تبرئ ساحة العمل الإسلامي الخيري من المسؤوليات عن الإرهاب، بل رأت السعودية والولايات المتحدة الأميركية أن مؤسسة الحرمين الخيرية[166] متهمة بتمويل الإرهاب، ففي 2 يونيو (حزيران)، 2004 أعلنت السعودية والولايات المتحدة انهما ستطلبان من الأمم المتحدة إدراج خمسة فروع لمؤسسة الحرمين ضمن لائحة الهيئات والأفراد المتهمين بتمويل الإرهاب. وتقع هذه الفروع في هولندا وألبانيا وأفغانستان وبنغلاديش وإثيوبيا. وبالفعل أعلنت وزارة الشؤون الإسلامية السعودية حل مؤسسة الحرمين الخيرية في 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2004. كما نقلت الصحف ووسائل الإعلام أن أميركا وضعت اسم عقيل العقيل الرئيس السابق لمؤسسة الحرمين، ضمن لائحة ممولي الإرهاب[167].

---

165 - تصريح لسلمان العودة نشر في جريدة «الوسط» البحرينية بتاريخ: 3 مارس (آذار) 2010 أثناء مشاركته في «مؤتمر العمل الخيري الخليجي».

166 - مؤسسة الحرمين الخيرية، من أشهر المؤسسات الخيرية الإسلامية السعودية، أسست في مدينة كراتشي الباكستانية عام 1988. أشرف على تأسيسها عقيل العقيل وأصبح مديرا لها إلى أن أقيل بعد اتهام الحكومة الأميركية له بتمويل الإرهاب. بلغ عدد موظفي المؤسسة أكثر من خمسة آلاف شخص في أنحاء العالم معظمهم من المتطوعين، وبعد اتهامها بتمويل الإرهاب اضطرت المؤسسة لغلق 14 مكتباً لها وتم تقليص أطرها إلى 250 موظفا. في 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2004، أعلنت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في السعودية حل مؤسسة الحرمين الخيرية، وطلبت من إدارة المؤسسة إغلاق المقار وتسريح جميع الموظفين. وتم توكيل الهيئة السعودية الأهلية للإغاثة والأعمال الخيرية بتولى القيام بنشاطات مؤسسة الحرمين في الخارج. رفع عقيل العقيل دعوى قضائية في محكمة أميركية بواشنطن العاصمة ضد مسؤولين أميركيين من بينهم وزيرة الخارجية السابقة «كوندوليزا رايس» ووزير الخزانة الأميركي السابق «جون سنو» ووزير العدل السابق «ألبرتو غونزاليس» بالإضافة إلى «جوان زاراتي». رفضت الإدارة الأميركية الاعتراف بقانونية رفعه للقضية.

167 - انظر صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية، عدد: (9319)، 3 يونيو (حزيران) 2004.

في الفقرة التالية نحاول القبض على معالجة العودة لأحداث 11 سبتمبر (أيلول) 2001، بوصفه الحدث الذي حوّل الأنظار إلى المؤسسات الخيرية، وجعلها موضع اتهام ومساءلة. هذا فضلاً عن كونه حدثاً تشكّل في رحمه مفهوم الإرهاب في القرن الحادي والعشرين.

ج - مرحلة 11 سبتمبر والموقف من تنظيم القاعدة

يتحدث العودة في برنامج «حجر الزاوية» عن الحدث بصفته بوابة رئيسية لما أعقبه من حروب على العراق وأفغانستان، فهو حدث أعطى الغرب مبرراته الكافية ليمارس ضغوطه ونفوذه على العالم الإسلامي، كما يربط بين الحدث ونمو الغضب الغربي تجاه الإسلام ومقدساته، حينما يقول: «هناك موجة جديدة من العدوان خصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر على الإسلام وعلى شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليس فقط بالجدل الذي قد يبدو علمياً أو حجة أو بحثاً عن الحق أو عرضاً للمذاهب، وإنما هو بالهجوم الذي يستهدف أحياناً الضرب تحت الحزام كما يقال، والسخرية بالإسلام والسخرية بالرسول عليه الصلاة والسلام، ونحن نحفظ ونقرأ اليوم في الكتب المطبوعة والمترجمة والمتداولة أن كثيراً من عقلاء العالم، دعك من المسلمين، كانوا

يلهجون بلسان الصدق والثناء على سيد الهدى وقائد الدعاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[168].

يقرأ العودة 11 سبتمبر، بوصفه سبباً أساسياً للخارطة العدوانية التي وقعت ضد بعض الدول الإسلامية، على مستوى الحرب العسكرية، أو حتى على مستويات الضغط الثقافي للتغيير في مؤسسات التعليم، أو المؤسسات الدينية. نلمس هذا في حديث له يقول فيه: «لا شك أن ما يقع فى العراق الآن أو ما يقع فى أفغانستان كأثر من تداعيات الحدث يوحي بأنّ تداعيات الحدث لا زالت باقية، ولكن من المؤكد أن الحدث لم يعد فى وتيرته وعنفوانه الأول سواء في ما يتعلق بموقف الإدارات الغربية من العالم الإسلامي أو في ما يتعلق بأوضاع العالم الإسلامي والاحتقان الذي حدث وما ترتب عليه من وجود حالة من الاستنفار وتهيؤ فئات من الشباب للتجنيد وغير ذلك من الاعتبارات أو الانفجارات الأمنية التى حصلت فى أكثر من بلد إسلامي. هناك تراجع واضح فى هذا الإطار وأظنه نتيجة طبيعية لتقدم الزمن، والمهم هو أن يحرص الجميع وبالذات أصحاب القرار على المحافظة على هذه الاستمرارية وألا تعود المنطقة من جديد إلى توتر آخر»[169].

---

168 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «حوار مع قس نصراني 1»، بثت في 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 2005.

169 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «المرأة والعمل»، بثت في 12 سبتمبر (أيلول) 2008.

مرّ موقف الدكتور سلمان العودة من أحداث 11 سبتمبر بما يشبه التطور في الموقف، كان في البداية لا يستطيع مواجهة موافقة كاسحة بين أغلبية الإسلاميين على الحدث. تبادلوا التهاني والتبريكات بسقوط الأبراج، وربما لم يرد العودة استفزازهم لهذا احتاج إلى سنوات عديدة ليطرح موقفه الرافض للحدث جملةً وتفصيلاً. كما أن خوفه من الضغط على المستويات الثقافية للمسلمين، وبخاصة في الجانب التعليمي أخّر صدعه بالمعارضة الصريحة للحدث.

بعض خصوم العودة اعتبر عدم مواجهته للقاعدة في البداية هو خوف على جماهيريته ونفوذه، وهؤلاء لا يزال بعضهم يعتبر أن تغيرر العودة لا يعدو كونه تغيراً تكتيكياً!

رأى العودة أن المطالبة بتغيير المناهج مثلاً والتي لقيت رواجاً بعد الحدث هي العلّة لتلك الدعوة، حيث يقول: «المقررات الدراسية هي التي توزع على الطلاب لكن المناهج مختلفة فهناك مقرر للطالب وهناك مقرر للمعلم وهناك أهداف الخطة ومخرجاتها وكذلك هناك النشاط المدرسي وهناك العلاقة بين الأسرة والمدرسة فالمنهج إذاً أشمل من المقرر المدرسي، ولو سئلنا عن بداية الإصلاح والشرارة التي ينطلق منها لقلنا من التعليم ذاته،

فالمعلم هو وليد منهج، وأعتقد أن مناهجنا يغلب عليها الجانب النظري وربما أصبحت هذه العملية تقليدية لواقع العقل، وخاصة أنه ليس هناك إحساس بالمتغير الدولي ولذلك يجب علينا أن نُعيد إنتاج البرامج العملية، فالتحديث للبرامج ضرورة فمثلاً المقررات في كلية الطب منذ عشرين سنة هي هي لم تتغير فهذا ربما لأنه لا يكون لديهم إحساس بالمتغير، فهناك الكثير والمجلات تتحدث على مدار اليوم والأسبوع فكل شيء جديد في عالم متجدد بينما المناهج والمقررات لا تتواكب مع المتغير فهناك حاجات لا بد أن تكون متجددة في المجتمعات الحية وأعتقد أن هناك حاجة إلى مراقبة جيدة وتقييم للأعمال التي نعملها وكيف نطورها لا بما تخضع له الأمزجة أو القناعات فقضية المناهج بعد 11 سبتمبر ارتفع سقفها وأصبحت مثارة بطريقة قوية فأصبحت قضية تغيير المناهج حاضرة بقوة والآن وقد ذهب رد الفعل وبقي الفعل فاعتقد من الخطأ تحوير قضية المناهج إلى قضية استقطاب فيتحدث كل طرف بما يراه وهذا يتهم الآخر ويسبّ ويتم استهداف أشخاص مع أن هناك أشخاصا مخلصين لدينهم وأمتهم وتلغيهم بـ «لازم أن يكون مع أو ضد»[170].

---

170 - صحيفة «المدينة»، 17 أبريل (نيسان) 2010.

الضغوط الخارجية تحضر في خطاب العودة، يرفض أن يكون التطوير عبارة عن استجابة للضغوط الخارجية، مع إقراره بأن حدثاً كبيراً مثل 11 سبتمبر كان المبرر الرئيسي للحملة على كل ما هو إسلامي، يقول في هذا المجال: «عملية إصلاح وتطوير المناهج هذه جزء من عملية تحديث المناهج لكن مع ذلك لا نرضى بالضغوط الخارجية، ولكن لا يعني أننا نرفض الضغوط الخارجية أن لا نفهم المتغيرات الدولية فليس من الصواب أن الطالب لا يفهم من المقرر الواقع، بل يفهمه من التاريخ فيجب أن لا نخضع للضغوط السياسية الخارجية، ولكن يجب أن نعي ونتجاوب مع المتغيرات الدولية، كما أؤكد أن لا تتحول عملية تطوير المناهج إلى استقطاب وتراشق، فالعلوم الدينية واللغوية بحاجة إلى تطوير مستمر، فمثلا نستبعد الأمثلة التي انتهت تاريخياً مثل الرّق، ونطوّر المناهج في ما تتمثل به حاجات المجتمع من الحوار داخل الأسرة وخارجه، ويضبط سلوك المجتمع من خلالها، وأن يكون عندنا مقرر من السيرة النبوية وهو نموذج متكامل، وهناك من يتهم المناهج الدينية أنها مسؤولة عن العنف والإرهاب، فأنا أزعم أن هذه الإجابات هي إجابات عاطفية ليست إجابات علمية معرفية لأنها ليست مبنية على الاستقراء والإحصاء فما يزال العنف يضرب في كل الدول الإسلامية والقضية مُثارة في الإعلام مما يُدلل (على) أن ثمة مشكلة، وعلى هذا يجب علينا أن لا نتهم

المناهج الدينية، وقد ذهبت السكرة وجاءت الفكرة، فأصبح بأيدينا أن نشيع في المناهج الاهتمام بالأسرة والإصلاح والتعايش ومحاربة التكفير والعنف»[171].

يقرأ العودة بطريقة أخرى 11 سبتمبر، مستخدماً التحليل السياسي، إذ يعتبر موجة الحدث وما سيتبعه من أحداث فرصة لإتاحة المجال للذراع الإيرانية أن تبسط نفوذها في المنطقة، لهذا حذّر العودة من تسيّد إيران للمنطقة بعد أحداث 11 سبتمبر، وذلك باسترسال صريح. حيث رأى أن: «العنوان الرئيس لأحداث سبتمبر والخطابات التي تصدر هو ما يتعلق بإيران، ووضعها في المنطقة، والاحتمالات القادمة، والاحتقان ما بين أميركا وإيران، وحول هذه القضية ما يكون مدعاة إلى التعليق: أولاً: في ما يخص الإدارة الأميركية فمن الواضح أنها تريد أن تظل إسرائيل حاكمة في المنطقة، ولذلك فمن حقها أن تحصل على السلاح النووي، بينما يُحرم الآخرون، وعلى الرغم من أني أنحاز دائماً إلى الجوانب التنموية والخدمية، وألاّ نُكدس الأسلحة على حساب الناس، لكن لا بد أن يكون ثمة توازن»[172].

171 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «العيد»، بثت في 18 سبتمبر (أيلول) 2009.
172 - المرجع السابق.

يستمر العودة في التنظير لخطورة استغلال المشروع الإيراني حدث 11 سبتمبر وتوابعه لفرض نفوذها في المنطقة، معتبراً أن في الإدارة الأميركية: «تيار يحاول أن يعيد العلاقة واللحمة بين إيران وأميركا، وقصة الكاتب والمستشار الأميركي «ولي نصر»[173] تعزز ذلك، وهو من أصل إيراني، صاحب كتاب «صحوة الشيعة»، وهو مستشار كبير، وقد كتب كتاباً يراجع فيه النظرة إلى التشيع ودورها في المنطقة، ويرى إمكانية التصالح بين الولايات المتحدة والشيعة وإيران، ثانياً: من المؤكد أن إيران استثمرت سقوط أعدائها في العراق وأفغانستان، دون أن تخسر من جراء ذلك شيئاً، وهذا بالتالي أعطى إيران فرصة لمزيد من التوسع والبحث عن مناطق للنفوذ، وهذا التوسع وهذا النفوذ الذي يبدو أن سياسية إيران تتجه إليه ليس عيباً بحدٍّ ذاته، فللدول طموحاتها المشروعة، لكن المشكلة أن هذا الطموح سوف يكون بالضرورة مصادمة للوجود العربي وللامتداد السني، وهذه قضية تدعو إلى

173 - ولي نصر، ابن المفكر والأستاذ الأميركي من أصل إيراني سيد حسين نصر، كتب ولي نصر أطروحته للدكتوراه عن أبي الأعلى المودودي. ولقي كتابه: «صحوة الشيعة»، الذي ترجم إلى العربية اهتماماً واسعاً. وله في السوق كتاب عن صعود الطبقة الوسطى في العالم العربي والإسلامي. كما روج لهذه الفكرة صراحة برنارد لويس، الذي يعتبره البعض منظر «المحافظين الجدد» بقوله في ما يخص الشرق الأوسط إن «مشكلة أميركا هي أن أصدقاءها في الشرق الأوسط هم حكومات سنّية معتدلة تحكم شعوباً متطرفة، بينما أعداؤنا في إيران لديهم شعب ديمقراطي وحكومة متطرفة، لذا يجب على أميركا أن تتحالف مع الشيعة الذين هم الأمل في المستقبل لنشر الديمقراطية في المنطقة». انظر: مأمون فندي، مقال «حل الدولتين: العراق». صحيفة الشرق الأوسط 9 أغسطس (آب) 2010.

قدر من الصدام والتوتر ما بين مشروع إيراني ومشروع عربي، أو بين مشروع فارسي كما يعبر البعض ومشروع عربي، أو مشروع سني ومشروع شيعي»[174].

بقيت مواقف العودة لسنوات تتحاشى الدخول مع الإسلاميين في جدل كبير، وبخاصة إذا استحضرنا التأييد العلني من قبلهم لحدث 11 سبتمبر، كانوا في حالة نشوةٍ بالحدث، فهو الإعلان الرئيسي عن عالمية تنظيم القاعدة، وخروجه من قمقم العمليات الصغيرة إلى الأحداث الكبيرة، لهذا لم يشأ أن ينازل جموعاً غفيرة من الناس في معركة سيخسرها، فهو يعرف حسابات كلامه جيداً، ويربط التصريح بالتوقيت، وخبر الجموع التي تنتظر منه اختلافاً ولو يسيراً لتدخل معركة حامية معه. لهذا كانت تلك المواقف عبارة عن مراحل متدرجة، كان يحفر طريقاً نظريةً وفقهية مناسبة ليعلن بعدها موقفه الصريح من ذلك الحدث الضخم.

بقي العودة مراعياً لنوعيات المخاطبين، فهو حينما يتحدث عن 11 سبتمبر، في إثنينية عبد المقصود خوجة، وهي ندوة ثقافية بجدة، يحضرها المثقفون بشتى أطيافهم، يقول عن الصراع بين الإسلام والغرب: «نحن الذين ضربنا أنفسنا وليس الغرب الذي ضربنا،...إن التاريخ الإسلامي ليس معصوماً وليس حكماً إسلامياً حاسماً لكن فيه إشراقةٌ كبيرة، وأعتبر أن علماءنا

174 - موقع «الإسلام اليوم» 12 سبتمبر (أيلول) 2008، مرجع سابق.

وفقهاءنا ليس لديهم عصمة بل هم يجتهدون ويخطئون وليس لهم الطاعة المطلقة بل هي لله ورسوله»[175].

تختلف نبرة العودة في التعبير عن صور الإرهاب تبعاً لتنوع المخاطبين واختلافهم. تلك الجمل التي باح بها لندوة منعزلة لا يمكن أن يتفوّه بها في تلك الفترة في برنامج «حجر الزاوية» أو في دروسه، ذلك أن طبيعة المخاطبين تختلف. أغلبية الحضور في ندوة خوجة هم من النخبة المثقفة التي لا تحتاج إلى تدرج أو تمهيد ليتم إخبارهم بالرأي أو بالفكرة التي يود قولها.

في 14 سبتمبر (أيلول) 2007 وجه سلمان العودة نداءً إلى زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، وتلقّته القنوات العربية والعالمية على أنه حدث رئيسي، ففي برنامج «حجر الزاوية» قال العودة مخاطباً أسامة بن لادن: «أخي أسامة إن ما جرى في 11 سبتمبر هو قتل لبضعة آلاف ربما أقل من ثلاثة آلاف ممن ماتوا في الطائرات أو ماتوا في مثل هذه الأبراج ؛ بينما تجد دعاة مغمورين -قد لا نعرفهم جميعاً- هدى الله على أيديهم عشرات بل مئات الآلاف فاهتدوا إلى الإسلام واستناروا بنوره وامتلأت قلوبهم بحب الله عز وجل، أفلا ندرك حينئذ الفرق بين من قتل وبين من أحيا،

175 - نشرت تغطية لندوة عبد المقصود خوجة في موقع «الإسلام اليوم»، 26 أبريل (نيسان) 2006.

وربنا سبحانه يقول:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: 32)، فإحياء نفس واحدة بالعلم أو بالإيمان هو الفتح المبين وهو الأجر العظيم»[176].

لم يظهر على العودة أنه مستعدٌ لتوجيه الرسالة لبن لادن، ذلك أن رسالته إليه كانت بناءً على طلب متصل اسمه «مساعد» طلب من العودة أن يوجه رسالة إلى بن لادن بمناسبة ذكرى 11 سبتمبر، فأنشأ الرسالة على الفور. في النص السالف يتحدث مع بن لادن بلطف، مستخدماً صفة الأخوّة وهو أمر اعترض عليه البعض كما يقول العودة. في تصريح له ذكر أنه: «تلقى العديد من ردود الفعل الإيجابية، التي تدعم موقفه، والدعوة التي وجهها لبن لادن. فيما تلقى ردوداً أيضاً من بعض من قال إن رسائلهم تحمل تعاطفاً «خفياً» مع القاعدة، يدون فيها تأثرهم بالدعوة»[177].

ضاق العودة بالربط بينه وبين بن لادن، كما يتحدث في برنامج «حجر الزاوية»: «الأمر المؤلم فعلاً أنه مرة من المرات إحدى صحفنا السعودية الناطقة باللغة الإنجليزية ولا داعي للتسمية في صحيفة ما عملت معي مقابلة، ومقابلة رائعة لأن الأخت

176 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الإيجابية»، بث في 14 سبتمبر (أيلول) 2007.
177 - انظر صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية، 17 سبتمبر (أيلول)2007.

الصحافية كانت لطيفة جداً في تقديمها، وتعبت في كتابة المقابلة واعتنيت بها وانتظرت خروجها في تلك الجريدة، فإذا بها تخرج بخط عريض «شيخ بن لادن يتراجع». هذه المقابلة عملت معي أن تكون تعبر عن وجهة نظرك لا أحد يحجر عليك يعني لا تستطيع أن تغلق أفواه الناس، لكن أن تأخذ مقابلة وتقدّمها بهذه الطريقة، هذا شيء جارح»[178].

صحيفة «الوطن» السعودية كتبت أن رسالة العودة إلى بن لادن معدة سلفاً وفي مقدمة تحقيق صحافي كتبت الجريدة: «من الواضح بل من المؤكد أن رسالة الشيخ سلمان العودة لأسامة بن لادن كانت معدة سلفا، وليس كما تصور البعض أنها إجابة على سؤال من أحد المشاهدين للشيخ العودة. وقد جاءت الرسالة هادئة وواضحة ومحددة، صيغت بأسلوب أكثر عاطفية ودعوة لأسامة بن لادن أن يراجع نفسه»[179].

ومهما تضاربت التحليلات عن كون هذه الرسالة معدّة سلفاً أم جاءت مفاجئة مباشرةً، وهو ما أرجحه من خلال قراءتي لنص الحلقة، كان المتصل صريحاً وهو يطلب من العودة توجيه رسالة إلى بن لادن. في سياق الرسالة نقرأ براءة واضحة من تنظيم

178 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «العيد»، بثت في 18 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.
179 - جريدة «الوطن» السعودية، 21 سبتمبر (أيلول) 2007.

القاعدة ومن أعمالها، فهي نص براءة من هذا التنظيم بأشكاله وممارساته كافة. يقول في الرسالة: «أخي أسامة إن تدمير شعب بأكمله كما يجرى في أفغانستان في متاهة ومجاعة وقد فقد كل عوامل البنية التحتية والحياة والتواصل أو تدمير شعب آخر كما يجرى في العراق أيضاً يعني أكثر من ثلاثة ملايين مشرد بين الأردن وسوريا فقط فضلاً عمن ذهبوا إلى بلاد أخرى في الغرب أو في الشرق، إن شبح الحرب الأهلية الذي يُخيم على أفغانستان أو يُخيم على العراق أيضاً ليس مما يفرح به المسلم وقد سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلاً اسمه حرب فغيّر اسمه لأنه يكره الحرب»[180]. يخاطب العودة بن لادن بالدليل العقلي والشرعي. وأظن أن جزءاً من هدف الرسالة ليس إقناع أسامة بن لادن بالعدول عن فعله، بل هو إعلان علني بالبراءة من بن لادن، ومن تنظيم القاعدة، وبخاصة إذا استحضرنا الإلحاح الإعلامي على العودة بأن يتبرأ من أحداث إرهابية كثيرة.

ومهما يكن التفسير الإعلامي للرسالة غير أنها تضمنت منهجاً يعارض القتل واستخدام العنف. يرى محمد أبو رمان أن الرسالة تمثل: «منهجاً مختلفاً في فهم الإسلام، يبتعد عن الانزلاق المرعب الذي وصلت إليه القاعدة من تلغيم صورة الإسلام بجعله

180 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الإيجابية»، بثت في 14 سبتمبر (أيلول) 2007، مرجع سابق.

أقرب إلى رسالة احتجاج سياسي، لا تفرّق بين كبير ولا صغير، أو مدني ولا عسكري، تغولت بأبعادها السياسية على مقاصد الإسلام وروحه في نشر العدل والرحمة والهداية بين الناس أجمعين. وهي الملاحظة ذاتها التي يلتقطها د. فهمي جدعان، في كتابه «في الخلاص النهائي»، إذ يعتبر تغليب «الهاجس السياسي» في تصور الإسلاميين بمثابة «حيدة» عن الإسلام ومقصده الأساسي وهو «العدل المؤسس على المصلحة»، وهو بمثابة «تدنيس للمقدس» الديني في الإسلام الذي يشكل عاملاً جاذباً لهداية ملايين البشر إلى أصول الرحمة والعدل والخير التي يقوم عليها هذا الدين. فـ«رسالة القاعدة» وإن حملت في منطلقاتها غاية شريفة - «الدفاع عن المستضعفين» ضد قوى غاشمة، في ظل استنكاف النظم العربية عن القيام بواجبها- إلاّ أنّ هذه الغاية شُوّهت وتبددت بعد أن ضلت القاعدة الطريق وضلّلت جموع الشباب الذين شعروا بانسداد الأفاق إلاّ من طريق العنف والعمل المسلّح»(181).

ومهما يكن أسلوبه المتدرّج في التعبير عن موقفه من 11 سبتمبر، غير أنه لا يمكن إهمال الدور الذي لعبه خطاب العودة في توعية الإسلاميين بخطورة مثل ذلك الفعل، يقول عن مشاعره الأولى أثناء سماع خبر الاعتداءات في 11 سبتمبر: «كانت مشاعر

181 - موقع «الإسلام اليوم»، 16 سبتمبر (أيلول) 2007، مقال بعنوان: «من العودة إلى بن لادن. الإسلام بين منهجين».

اندهاش وتخوّف. لم أكن أعرف بالضبط من وراءها. فالتخوف من وجهين، فهناك احتمال أن يقوم هناك صدام دولي، صدام حضارات، وهذا بالتأكيد ليس من مصلحتنا البشرية، والتخوف الثاني كان عندي هاجس خفي أن يكون إسلاميون وراء مثل هذا العمل، وإن كنت وقتها مستبعداً أن يصل الأمر إلى هذا الحد. ومع ذلك كان هذا الهاجس عندي غير مستبعد، خاصةً وأنني كنت أتوقع أن يحدث شيء ما، من خلال وجود طالبان في ذلك الوقت وبعض شباب الجهاد. كنت أذكر قبل احداث سبتمبر بسنة، للقاء مع الأمير محمد بن نايف (مساعد وزير الداخلية السعودي) في جدة. وحدثته عن التعامل الرشيد مع التيارات الجهادية في أفغانستان؛ طالبان والمجموعات التي تنتمي إليها، وضرورة إيجاد خطة استراتيجية لدفعهم إلى تغيير توجهاتهم وأفكارهم قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه. وأذكر أنني قلت له إن مجموعة قليلة قد تلحق الضرر بك إلى حد كبير»[182].

إنه الحدث الأشرس والذي أدى إلى تداعيات، غيرت مفهوم التواصل بين الحضارات ولم تنته تبعاته حتى الآن.

182 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

د - النشاطات اللاّصفيّة وتهمة الإرهاب

تحولت المحاضن الصيفية للشباب والتي يسيطر عليها التيار الإسلامي إلى موضوع شدّ وجذب بين الإسلاميين والليبراليين، بل غدت مسألة جمع وطرح، بشأن مركزية السؤال الذي يدور حول مدى صحة تفريخ تلك المحاضن للإرهابيين والمتطرفين. لم تكن تلك المراكز والمحاضن الصيفية محل إجماع من كل الإسلاميين، بل يمكن اعتبارها محتكرةً من التيارين الصحويين الرئيسيين: «الإخواني» و«السروري»، وهما يستقطبان الشباب لطرح أنشطة رياضية ومسرحية وترفيهية لا تخلو بطبيعة الحال من التوجيه الفكري، ومن التسيير النظامي لتلك الجموع. بعض السلفيين لهم ملاحظات عليها[183]، أما سلفية المدينة أو «الجامية» فلها موقف معارض لهذه الأنشطة[184].

نقرأ التصعيد الليبرالي ضد هذه المراكز الصيفية في هجوم عبد الرحمن الراشد في مقالات ومقابلات كثيرة عليها، حيث يرى أن هذه المراكز: «لم تكن موجودة في دولة الإسلام السعودية قبل 20 سنة. فهل كنا كفاراً قبل عشرين سنة؟ هل كانت الدولة

183 - انظر نصيحة الشيخ: عبد المحسن العبيكان للمراكز الصيفية في جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية 29 يونيو (حزيران) 2006.

184 - الجامية (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، فبراير (شباط) 2010).

كافرة والسعوديون كفاراً قبل هذه المخيمات؟ هذه الأشياء دخلت مع الحركة السياسية الصحوية الأخيرة، فاخترعوا المخيمات والجمعيات الخيرية المستقلة. ما أقوله هو رأي شخصي، وفي النهاية لستُ أكثر من كاتب. هنالك من يقول إن لهذه المخيمات دوراً في رعاية الشباب دينياً. وأنا أقول ربما لكن فيها منفذ ينفذ منه بعض الناس الذين لهم أغراض سياسية في ظروف غير طبيعية في عالمنا اليوم... أنا لست ضدها بشكل عام. فقط في هذه الظروف الاستثنائية العصيبة الخطيرة جداً»[185].

سلمان العودة لا يرى لهذه المراكز والمحاضن أي علاقة بالإرهاب، مع إقراره بوجود آراء متشددة في تلك المحاضن، لكنه لا يطرح الإغلاق كعلاج للتشدد الموجود فيها، فهو يرى أن: «نسبة الشباب في الشعب السعودي تزيد على 60 أو 65%، طيب هؤلاء أين أماكن التربية لهم والمحاضن والتعليم، بل نجد أحياناً من قد يطالب بإغلاق ما بقي من المحاضن كالمراكز الصيفية أو حلقات تحفيظ القرآن الكريم أو غيرها وهذا معناه إنه كأننا نضطر الشباب اضطراراً إلى أن يبحثوا بأنفسهم على الأماكن التي يجدون فيها مرادهم كما أن ضرورة فتح الصدور لهؤلاء الشباب يعني الاستماع إليهم والصبر عليهم أيضاً واللطف بهم وطول النفس

185 - من حوار أجري معه في جريدة «المدينة»، نشر في 17 نوفمبر (تشرين الثاني) 2006.

وأنا قد جربت بصراحة. لا أتكلم عن شيء لا أعيشه. كثير من الشباب يكون عندهم أفكار قد تكون متشددة، لكن لما تستمع إليه وتحاوره وتورد عليه نصوص قرآن وسنة وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم تجد أن هذا الشاب يلين والمرة الأخرى والثالثة حتى ربما يصبح من دعاة النضج والهدوء والاعتدال والوسطية»[186].

لا يعتبر العودة وجود فرد أو مجموعة أفراد انخرطوا في أعمال إرهابية سبق وأن دخلوا في جمعية تحفيظ القرآن أو المراكز الصيفية مبرراً كافياً للحملة الشرسة على المراكز الصيفية، متسائلاً أين الدراسات العلمية التي تثبت كون هذه المحاضن لها علاقة حقيقية ومركزية في تفريخ الإرهاب، يتحدث بأسلوب حزين على تلك الحملة قائلاً: «تم استهداف الحديث عن البرامج الصيفية في أكثر من مناسبة والقائمين عليها، وأعتقد أن هذا فيه نوع من التجني لأن وجود فرد أو أفراد سبق أن اشتركوا في مركز صيفي أو في حلقة تحفيظ قرآن مثلاً، هذا لا يعني شيئاً لأن هؤلاء الأفراد أيضاً اشتركوا في المجتمع نفسه وكانوا ضيوفاً عليه واشتركوا في المسجد وكانوا ضيوفاً عليه كما كانوا ضيوفاً على المركز كانوا ضيوفاً على الجامعة أيضاً يوماً من الأيام كانوا

186 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «حوار مع قس نصراني 2»، بث في 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 2005.

ضيوفاً على بيوت أهليهم الذين لا يقرون مثل هذه الأشياء بعضهم أيضاً ربما كانوا أبعد ما يكونون عن الخير، يعني أنا أعتقد أن القضية ليست بحاجة إلى أن نترامى بالتهم وكل طرف يرمي بها على الطرف الآخر، وكأنها فرصة لتصفية الحسابات في ما بيننا. هذا ليس جيداً أبداً. القضية تتطلب أن يكون ثمة دراسة علمية موضوعية والدراسة العلمية الموضوعية الكل ينبغي أن يذعن لها، يعني ينبغي أن نحصر أسماء كل الناس الذين تورطوا في مثل هذه القضايا ونعمل دراسة من أين أتى هؤلاء؟ كم عدد الذين كانوا منهم متدينين ثم انتقلوا من التدين المعتدل إلى التدين المتشدد؟ كمثال، لكن بالمقابل كم عدد الذين كانوا ضائعين وكانوا في أماكن لهو وفساد وانحراف ثم انتقلوا نقلة مفاجئة وسريعة وخلال فترة وجيزة انتقلوا من الطرف إلى الطرف أيضاً بحيث نحاول أن نضع الأمر في نصابه بعيداً عن محاولة إلقاء التبعة على أطراف دون أخرى. الدراسة العلمية أعتقد أنها مهمة ولا زالت نوعاً ما غائبة، يعني نريد أن نعرف المناطق نريد أن نعرف التيارات نريد أن نعرف المحاضن ما يجري أحياناً أعتقد أنه قد يكون استجابة لنوع من التحريض والوشاية. قرأت اليوم مقالاً في إحدى الصحف يتكلم عن أنه مما يدل على صوابية هذا التحليل أن وزارة المعارف والتعليم وضعت ضوابط شديدة فأقول: هذه الضوابط أولاً طبيعية ولابد منها والضوابط هذه لأبناء الجيل كلهم وينبغي أن نقول إن بعض هذه الإجراءات التي اتخذت قد تكون استجابة لتحريض أو

لوشاية صدرت في بعض المطبوعات وفي بعض المناسبات، فهذه خلاصة ما يمكن أن نقوله في التعليق على هذا الموضوع»[187].

صعّد العودة ضد المنتقدين للمراكز الصيفية والمناشط اللاصفية، واصفاً تلك الحملة بأنها «استئصالية» يقول: «أُتابعُ بألم حملة إعلاميّة في بعض صحفنا؛ لإغلاق المراكز الصّيفيّة، وعددٍ من المناشط الدّعويّة، بحجّة مطاردة الإرهاب، ويذكّرني هذا بالحملة المكارثية في الولايات المتحدة، والتي قادها المحافظ الجمهوري (يوجين مكارثي) ضد المثقّفين اليساريين، والتي كانت تأخذ البريء بذنب المجرم»[188].

لا يجد العودة في المراكز الصيفية أي تأييد للعنف أو الإرهاب، بل يحصر الخطر في الأفكار المتشددة لدى البعض التي يمكن علاجها بالحوار والكلمة الطيبة، وهو يبرئ ساحة المراكز الصيفية من تهم الإرهاب التي توجه ضدها. تجاوز مطالبات الإغلاق المطروحة من قبل بعض السلفيين أو الليبراليين الذين يرون في هذه المناشط عبثاً لا طائل من ورائه، تجاوزها بدعوته إلى فتح بدل المركز الواحد عشرات المراكز.

---

187 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «فقه الأولويات»، بثت في 2 أكتوبر (تشرين الأول) 2006.

188 - انظر مقال: «هل هي استئصالية جديدة؟» نشر في موقع «الإسلام اليوم» بتاريخ: 26 يونيو (حزيران) 2004.

يقول في مقاله المخصص للدفاع عن المراكز الصيفية:

«وبكل صراحة أقول من منطلق غيرتي على هذا الوطن وعلى أبنائه وأجياله الواعدة: إنّه يجب أنْ يُفتح بدل المركز عشرة مراكز، وبدل الحلقة عشر حلقات، وبدل المخيّم عشرة، وأنْ تتنوع فيها المناشط والبرامج والأعمال، وأنْ تستمرّ مدى العام، مراكز الأحياء للبنين، وأخرى للبنات، فيها ميدان للرّياضة، وفرصة للتعارف، ومكتبة للقراءة، وصالة للتدريب، وأجهزة كمبيوتر، وتدريب على الحوار والتفاهم، وبناء الوعي، وتعميق الانتماء... إلخ. وليكنْ لهذه المراكز مرجعيّة إداريّة واضحة، وإشراف دقيق، ضَعُوا فيها ما شئتم، ومَنْ شئتم من أجل أنْ تظلّ وفيّةً لأهدافها... مستوعبةً لكل شرائح المجتمع وفئاته... بعيدةً عن التوظيف السلبّي لصالح التطرّف الدينيّ، أو التطرّف العلمانيّ، إنّ القراءة السريعة تعطي نتائج قاصرة، والتعميم يعني توسيع دائرة الاتهام، وهي أعظم خدمة يمكن تقديمها لأعداء الوطن، حين الادّعاء بأنّهم يمثّلون تغلغلاً وأتباعًا وقيادات ومؤسسات وحضورًا كثيفًا. هل يحلم هؤلاء بأفضلَ من هذا؟ هل هي خدمة لقضيّة حين يكون الأصل الاتهام... والاستثناء لثلاثة من العلماء، ووصفهم بأنّهم أبرياء؟!... يا لَلّعار!»[189].

---

(189) - المرجع السابق.

لم يتحدث الدكتور سلمان العودة في برنامج «حجر الزاوية» عن المراكز الصيفية إلا في موضعين اثنين، لكنه كان في موقف المدافع المنافح، إذ يطرح مبدأ الحوار والإصلاح للمراكز الصيفية بديلاً لفكرة الإغلاق، وفي موضعين من مواضع الدفاع عن المراكز إن في مقاله «هل هي استئصالية جديدة؟» أو في البرنامج، استدل بنسب الشباب السعودي، الذي إن أغلقت المراكز الصيفية في وجهه، فسيواجه الفراغ الذي ربما يجره إلى التفكير باتجاهات أخرى، والذهاب بعيداً في التفكير والسلوك.

فالأنشطة اللاصفية، في نظر الشيخ العودة، هي الحاضن المميز الوسطي للجيل الجديد من الشباب، ولا يرى في الدعوة إلى إغلاقها إلا استئصالية جديدة.

تلك كانت رؤية الدكتور سلمان العودة للإرهاب من خلال برنامجه «حجر الزاوية»، حاولتُ أن أختصرها بنصوص تبين مستويات المعالجة لموضوع الإرهاب، خلال السنوات الخمس الأولى من عمر البرنامج، التي هي ميدان هذا البحث.

رابعاً: الموقف من التيارات والمذاهب

أ - الموقف من التيار الليبرالي السعودي[190]

بقي الدكتور سلمان العودة بعد أن نضج خطابه، واستوى أسلوب الحسنى لديه على سوقه، يؤثر الهدوء في التعاطي مع المخالفين، مهما كان مستوى خلافه معهم، لهذا رفض أن يكون له موقف من الذين ينتقدونه، بل استمر في مشروعه ولم يلق بالاً للذين كرّسوا جهوداً كبيرة لنقده، وكان يرسل عبر مقالاته مجموعة من الرسائل لمنتقديه، لكن بصورة غير مباشرة. جمع العودة تلك المقالات والرؤى حول مخالفيه لينشرها في كتاب «شكراً أيها الأعداء»[191]. لم يكن يفضّل أن ينتهج طلابه أو مستمعوه مبدأ التصنيف الذي شاع في فترات الحرب والعراك بين الإسلاميين لعقود طويلة، وربما كان اسم العودة نفسه من أكثر الأسماء التي طالها التصنيف[192].

---

190 - تحدثت في الفقرة «ج» من الفصل الأول عن الموقف القديم لسلمان العودة من التيارات الأخرى آنذاك، وهنا سأتحدث عن الموقف الذي طرح في فترة ما بعد السجن، وسأركز كما هو موضوع الرسالة على ما يطرحه في برنامج: «حجر الزاوية».

191 - «شكراً أيها الأعداء»، دار «الإسلام اليوم» للنشر والتوزيع، 2010.

192 - شاعت في فترة التسعينيات التصنيفات على إثر المعارك الطاحنة بين التيارات الإسلامية في السعودية، الأمر الذي جعل مؤلفات التصنيف أو تقويم الرجال تزدهر في تلك الفترة. انظر كتاب: «تصنيف الناس بين الظن واليقين» تأليف: بكر بن عبد الله أبوزيد، طبع دار «العاصمة» للنشر والتوزيع في الرياض. وكتاب ربيع بن هادي مدخلي: «منهج أهل السنّة في نقد الرجال والكتب والطوائف»، وكتاب أحمد الصويان «منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم» وغيرها.

يقول العودة: «وأنا سبق وأن أشرت إلى قضية التراشق بالتهم والتنابز بالألقاب داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية وهذه لا نبرئ منها أحداً، فبعض الشباب المتحمسين المتدينين، قد يرمون من يخالفهم بالليبرالية والعلمانية دون أن يطلبوا في النائبات على ما قال برهاناً، وأيضاً بعض الأطراف الأخرى قد تصف من يخالفها من الأطراف المختلفة قد تصف بعض المتدينين أو بعض من يخالفهم بأنهم متطرفون أو أصوليون أو حتى إرهابيون أحياناً»[193]. يقف العودة ضد التصنيف المبعثر ضد الآخرين من قبل المتحمسين دينياً. الموقف من التصنيف هو موقف منهجي ديني في رأي العودة، لا يمكن أن تصف الأطراف الأخرى بأوصافٍ لا يُدرك المصنفُ نفسه كُنهها، فضلاً عن الكثير من المتحمسين لها وله.

---

193 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «التصحيح»، بث في 10 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

ينتشر في السعودية تيار ليبرالي سعودي، وهناك الكثير من النخب السعودية الذين ينسبون أنفسهم إلى الليبرالية، إبراهيم البليهي[194]، أحد الباحثين الرئيسيين في مشكلة التخلف في العالم العربي، يقول: «أنا مسلم أولاً ثم ليبرالي ثانياً، يعني مسلم مبادئ وليبرالي آليات، يعني أرى أن الإسلام لن يكون له نجاح إلا بالآليات التي توصل إليها البشر في تطبيق العدل»[195]. هذا نموذج وإلا فإن هناك تياراً سعودياً ينتمي إلى الليبرالية[196]، بغضّ النظر عن مستوى اتفاقه مع مفهوم الليبرالية الأساسي،

194 - إبراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان البليهي، مفكر وكاتب سعودي بارز، ولد في محافظة الشماسية في منطقة القصيم عام 1363هـ (1943م). يحمل شهادة في الشريعة، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. دار حوله جدل كبير فهو ابن المدرسة الدينية السلفية التقليدية، ويقدم أفكارا ليبرالية تقدمية، تتناقض في كثير من مضامينها مع مبادئ المدرسة التقليدية في السعودية. له آراء جريئة في نقد الفكر العربي والإسلامي، ومواقف إيجابية تجاه الحضارة الغربية ودورها البارز في التأسيس لنقلة كبيرة على مستوى الوعي. لديه العديد من النظريات الفلسفية التي اطلقها من خلال كتاباته ومقابلاته. وهو من مؤسسي المجتمع الليبرالي السعودي، وصاحب مقولة: « أنا مسلم مبادىء وليبرالي آليات». مُعجبو المفكر البليهي يطلقون عليه «قائد نهضة التنوير». كما قدم للمكتبة العربية عدة أبحاث مثل: «القيادة والانقياد»، و«العقل البشري»، و«عبقرية الاهتمام»، و«العلم ومهارة الأداء»، و«الكلال المهني». ينادي البليهي في كتابه «وأد مقومات الإبداع»، بالهُدى والرشد، وهما في مفهوم البليهي يتلخصان في تنمية التفكير العلمي، وتشجيع التحليل بدلاً من التلقين، والإبداع بدلاً من الاتباع، والدراية بدلاً من الرواية، والحوار بدلاً من الإلزام بحد السيف، واحترام الرأي الآخر، والتأكيد على لغة الحوار بين الثقافات والحضارات، على أساس من الاحترام المتبادل والندية. فالاحترام المتبادل هو الوسيلة المهمة لإقامة علاقات عميقة، ورسم المستقبل الإنساني المشترك بين الأديان والشعوب وإرساء قواعد التفاهم العميق.

195 - برنامج «إضاءات» على قناة العربية، بث بتاريخ: 6 أبريل (نيسان) 2005.

196 - أنشأ الليبراليون السعوديون منتدى على الانترنت تحت اسم: «الشبكة الليبرالية السعودية»، واستمر منذ 2006 إلى أن أغلق في ظروف غامضة في 2010، ثم ظهرت إثر ذلك منتديات بديلة بمسميات مختلفة.

فالبعض يرى أن التيار الليبرالي في السعودية لا يمثل الليبرالية الفعلية، وهذا رأي محمد سعيد طيب[197]، الذي يرى أن: «التيار الليبرالي في الوقت الحاضر غير مؤهل للدور الذي نتطلعه منه، ما لم يُنقِّ صفوفه من الانتهازيين والأدعياء والمتسلقين، لأن الليبرالية في البداية والنهاية، قيم وتبعات وواجبات، وليست شارة تعلق على الصدور»[198].

لهذا فإن موقف العودة من عدم وصم الآخر المختلف بالفكر بأنه ليبرالي أو علماني هو موقف دعوي تربوي، وإلا فهو يعلم أن في المجتمع الكثير من الليبراليين الذين ينسبون أنفسهم صراحةً إلى الليبرالية، أو إلى العلمانية، لكن الموقف التربوي لا يمكن أن يفهم منه أنه نفي للظاهرة جملةً وتفصيلاً. العودة ينطلق من فكر أممي

---

197 - محمد سعيد طيّب (1939) من مواليد مكة، ناشر ومحامي وناشط سياسي معروف. شغل منصب العضو المنتدب لشركة تهامة للاعلان والنشر - كبرى شركات الإعلان العربي - لربع قرن، نشر من خلالها أغلب الإنتاج الأدبي الرائد في السعودية، لحمزة شحاتة، محمد علي مغربي، طاهر زمخشري، محمد حسين زيدان، أحمد السباعي، محمد حسن عواد، أمين مدني، أحمد قنديل، وحمزة بوقري وغيرهم. ولطيّب صالون ثقافي شهير في مدينة جدة باسم (الثلوثية). كان في خمسينيات القرن العشرين من المتحمسين لمشاريع جمال عبد الناصر في المنطقة، الأمر الذي سبب له المتاعب في عهد الملك فيصل، حيث أدخلته كتاباته وآراؤه السجن عدة مرات، كما تعرض تنظيمه للطلاب الأحرار في الستينيات إلى سجن مؤسسيه؛ محمد سعيد طيب وعصام قدس ووهيب كابلي. ساهم في كتابة العريضة المدنية الأولى المقدمة إلى الملك فهد عام 1992، مشاركة مع محمد عبده يماني وعبد الله مناع، والتي على أثرها أصدر الملك فهد قراراته التاريخية بتشكيل مجلس الشورى، وإصدار نظام حكم، ونظام مناطق إدارية.

198 - صحيفة «الوطن» السعودية، 29 مارس (آذار) 2010.

لا يطيق أن يرى المجتمع مبعثراً إلى فئات أو تيارات على طريقة المجتمعات المدنية الغربية، يريد أن يوحّد المجتمع، ذلك أن الطريقة التي يفكر بها صاحب الرؤية الأممية تنطلق من أبجدية مفادها أن المجتمع لا بد أن يتوحد ليواجه الأحابيل والمؤامرات الخارجية، وأن التشرذم يقود إلى التشتت، ومن ثم نصبح فرائس سهلة في يد الغرب، ولقماً سائغة على موائدهم.

ودلالة التحليل الذي أوردته، قول العودة: «عندنا إذاً ثلاثة أطراف، عندنا الحكومات، وعندنا الإسلاميون، وعندنا الليبراليون، وأعتقد أن هذه الفئات الثلاث وإن لم تكن في درجة واحدة لكن أحياناً يبدو كما لو كان كل فئة تحاول أن ترمي الكرة في ملعب الطرف الآخر. وأنا أقول إذا شعرنا بأن هذه مشكلة تواجه المجتمع بكل فئاته وأطيافه، فهنا علينا صادقين أن نبحث عن الأسباب بشكل حقيقي بحيث يكون هناك استعداد لدى كل طرف أن يتحمل مسؤوليته، فالحكومات مثلاً تتحمل مسؤولياتها إنه قد يكون من أهم أسباب العنف الإغلاق؛ إغلاق منافذ التعبير عدم وجود فرصة للمتنفس للناس أن يعبروا عن آرائهم، أساليب القمع أحياناً والإسراف في الحلول الأمنية والمبالغة في السجن والتعذيب أحياناً في بعض المجتمعات والبيئات قضية أحياناً، الذي يعيشه الناس وعدم وجود مناخ سياسي جيد قضية أحياناً، قد يكون

البطالة والفقر وعدم وجود مجال للعمل ربما تكون من الأسباب. أنا لا أجزم أن كل هذه الأشياء هي أسباب لكن هي صالحة لأن تبحث من ضمن الأسباب المحتملة على أقل تقدير وجود ظاهرة العنف في العالم الإسلامي، لما نتكلم عن الجماعات الليبرالية أيضاً كثير من هذه الجماعات قد تكون ذات مسؤولية من منطلق أنها قد تطرح نوعاً من العنف المضاد أحياناً أو الاستفزاز، وعلى سبيل المثال أذكر أحد الكاتبين قرأت له مقالاً يقول فيه ما ملخصه أن كل داعية أو شاب متدين إن لم يستخدم العنف الآن والإرهاب فهو مشروع إرهابي مستقبلي، إذاَ أحياناً تنتقل الإدانة من إدانة الفعل إلى إدانة الدين الذي ينتسب إليه الإنسان أو المجتمع بشكل عام، وهذا الغرب نفسه قد لا يتجرأ عليه في كثير من الأحيان فضلاً عن إدانة مؤسسات أو محاضن تربوية»[199].

يحمّل العودة المسؤولية عن العنف إلى التيارات والمؤسسات والحكومات، فهو لا يبرئ التيار الليبرالي الذي أخذ على عاتقه نقد الإسلاميين كوسيلة لضرب منابع الإرهاب، بل يعتبر النقد المستفز للمتدينين ربما ينتج إرهاباً، فهو لا ينظر إلى النسيج الاجتماعي على أنه منفصل عن بعضه البعض، بل يأخذه وحدة

199 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الإرهاب»، بث في 26 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

متكاملة، معتبراً أن وجود خلل من فرد يعني أن هناك حمولة من الأخطاء المشتركة، التي يشترك في المسؤولية عنها أطراف عديدة في المجتمع. لهذا يحسب العودة الليبرالية جزءًا أساسياً مسؤولاً عن حركة المجتمع بالسلب أو الإيجاب، وهو يبرهن على طرحه هذا بالحديث المستمر عن الدور السلبي للأفكار. يرى في النص السابق أن الطرح الليبرالي يقع موقعاً سلبياً لدى الإسلاميين، الأمر الذي يمكن أن ينتُج عنه ردة فعل عكسية، ربما ساهمت في ارتفاع نسبة التطرف ضد الآخر القريب قبل الآخر البعيد.

يعود العودة في البرنامج ليطرح «الليبرالية» عنصراً موجوداً داخل المجتمع، بعد أن حذّر في حلقة «الإرهاب» في أكتوبر (تشرين الأول) 2005 من التصنيف، ليطرح وجود التيار برمته في حلقة «النقد» في أكتوبر (تشرين الأول) 2006، بقوله: «فوجئت في الواقع بأن كثيراً ممن ينتمون إلى الليبرالية في العالم العربي والإسلامي هم أكثر ضيقاً وتبرماً بالنقد من بعض الفئات التي ينتقدونها، بينما يُفترض أن الإنسان الذي وضع نفسه في مقام الناقد أن يكون لديه القابلية لأن يُنتقد هو من قبل الآخرين»[200]. يعيب العودة على الليبراليين ضيقهم بالنقد، بينما يعتبر قبوله أمراً إيجابياً، سواء من قبل الليبراليين أو الإسلاميين.

200 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «النقد»، بث في 1 أكتوبر (تشرين الأول) 2006.

المسافة بين نقد العودة لمن ينسب الآخرين إلى الليبرالية، وبين نقد العودة لليبراليين، امتدّت سنةً كاملة، ويمكن إحالة سبب هذا التطور في الموقف من الليبراليين إلى البروز اللافت لليبراليين في 2006، حيث أسسوا منتدى خاصاً حمل الانتساب العلني لليبرالية، لهذا رأى العودة أن يتعاطى معهم على ما انتسبوا إليه. بل ذهب العودة بعيداً حينما رأى أنه لا ينزعج من الذين يصنّفونه تحت أي اسم، حينما يقول: «لا أنزعج من أي تصنيف، ولا يعنيني، خبرتي جعلتني أدرك أن التصنيف مؤقت، وأن الحقيقة تنتصر في النهاية، هذا إذا كان التصنيف غير صادق، وإذا كان صادقاً فمن العدل قبوله»[201].

العودة لا يعتبر أن لليبرالية مساساً بالعقيدة، بل يرى أنها تيار فكري، فهو حينما يعدد المذاهب الدينية في السعودية يقول: «فالمجتمع السعودي متنوع عقديًّا؛ فهناك: السنة، والشيعة، والصوفية، وغيرهم.وفقهيًّا؛ هناك المذاهب الأربعة. وفكريًّا؛ هناك: التيارات الإسلامية، والليبرالية، والوطنية»[202]. لهذا لا

---

201 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.
202 - انظر مقال: «حوار أم تصادم»، نشر في موقع «الإسلام اليوم» بتاريخ 31 يوليو (تموز) 2004.

يقف منها موقفاً دينياً، بل خلافه مع الليبرالية فكري خالص[203].

ويفصّل العودة بشكل أدق عن التيار الليبرالي، حينما يقول: «في ما يتعلق بالتيار الليبرالي أنا ألحظ أن التيار الليبرالي السعودي هو تيار محلي، بمعنى أنك لا تستطيع أن تحدد مدى وجود هذا التيار، مدى اتساعه وامتداده ومدى ما يمثله، وما هي أفكاره. بل كثير ممن يوصفون بهذا الوصف لو قارنتهم ببلد آخر، في مصر أو في المغرب أو في بعض البلاد وجدت أن هؤلاء أقرب إلى التيار الوطني أو التيار الإسلامي. لا شك أن الكثيرين ممن يوصفون بهذا هم لا يقولون عن أنفسهم هذا أو قد يقولونه بضرب من التفسير. تجدهم مصلّين، تجدهم عندهم قيم أخلاقية. هذا يعتمد على التفسير، قد يفهم من الليبرالية على أنها عدم الانتماء إلى حزب معين، هذا واحد من المفاهيم، وقد يفهم منها «الحر» من الحرية.

---

203 - في يوليو (تموز) 2007 دار جدل كبير في السعودية على إثر فتوى انتشرت على الإنترنت، لعضو هيئة كبار العلماء في السعودية الدكتور صالح الفوزان، جاء فيها: «فإن المسلم، هو المسلم لله بالتوحيد، المنقاد له بالطاعة، المبرأ من الشرك وأهله. فالذي يريد الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي هذا متمرد على شرع الله يريد حكم الجاهلية وحكم الطاغوت، فلا يكون مسلماً والذي ينكر ما عُلم من الدين بالضرورة من الفرق بين المسلم والكافر ويريد الحرية التي لا تخضع لقيود الشريعة وينكر الأحكام الشرعية من الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومشروعية الجهاد في سبيل الله، هذا قد ارتكب عِدة نواقض من نواقض الإسلام، نسأل الله العافية. والذي يقول إنه مسلم ليبرالي متناقض، اذا أريد بالليبرالية ما ذكر فعليه أن يتوب إلى الله من هذه الأفكار ليكون مسلماً حقاً». ورد على هذه الفتوى الأكاديمي السعودي الدكتور: خالد الدخيّل في جريدة «الاتحاد» الإماراتية بتاريخ 25 يوليو (تموز) 2007 في مقالة بعنوان: «الشيخ الفوزان والليبرالية».

أعتقد أن الليبرالية لفظ مطاطي يحتمل أكثر من معنى، ولذلك التعبير عن تيار معين بأنه ليبرالي هذا مجازفة فكرية، والمشكل أن بعض هذه المصطلحات قد يكون الذين يطلقونها ويروجونها من غير الواعين، من غير المثقفين، ثم يتلقفها المثقفون ويستجيبون لها وتصبح أداة للتصنيف في ما بينهم وأداة للحكم، وهي أصلاً بحاجة إلى إعادة نظر لأن التصنيف والنقد وتنزيل الأشخاص على هذا التصنيف، في الغالب هو عمل الكُسالى الذين لا يريدون أن يقرأوا وأن يحددوا وأن يقولوا فلان يصيب في كذا ويخطئ في كذا وإنما يريدون فقط أن يقوموا بعملية الفرز للناس، هذا هنا وهذا هنا، أسهل[204].

لم يكن الحديث عن الليبراليين ظاهرة في برنامج «حجر الزاوية»، فهو لم يتحدث عنها إلا في اثني عشر موقعاً خلال السنوات الخمس، التي أخضعنا محتواها للدراسة والتحليل في هذا البحث.

ب - الموقف من المذهب الشيعي

بقي العودة يحفر منهجاً إسلامياً جديداً من خلال «حجر الزاوية»، تجاوز به مراحل التصعيد الأولى التي كال خلالها

204 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي، في 10 يونيو (حزيران) 2010.

الاتهامات ضد الأديان الأخرى، والمذاهب الدينية المختلفة في البلد الواحد. نقرأ العودة يتحدث عن التسامح الديني بوصفه سلوكاً طبيعياً متوافقاً مع الشريعة الإسلامية، حينما يقول: «والإسلام أسّس للتعايش بين المختلفين، حتى في الدين، وقد عايش النبي -صلى الله عليه وسلم- الوثنيين واليهود والمنافقين بالمدينة، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي؛ وهذا من باب المصالح المشتركة، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- اشترى؛ لأن في شرائه مصلحة له ولأزواجه، ولا يضيره أن يكون في هذه الصفقة مصلحة لليهودي البائع؛ فالحياة لا تقوم على السعي المستميت في حرمان الآخرين من مصالحهم، ولكنها تقوم على السعي في تحصيل مصالحنا، وإن تضمنت مصالح للآخرين»(205). لا يجد العودة غضاضة في التعامل مع الآخر المختلف حتى في الدين، هذا من حيث التعاطي المدني بغض النظر عن الموقف العقدي الديني.

الرؤية الأممية تجعل العودة لا يقدم الموقف العقدي بوصفه حاكماً على الواقع، لأن هذا التحاكم إلى المواقف الطائفية لكل طرف إزاء الآخر، سيحوّل الواقع إلى مجال لسفك الدماء، كما يجعل من الوحدة أمراً ممتنعاً، وحينما قام بلقاء رموز شيعية في السعودية، لم يكن ليقرّ ببساطة الخلاف المذهبي، بقدر ما أراد

205 - انظر مقال: «حوار أم تصادم»، نشر في موقع «الإسلام اليوم» بتاريخ 31 يوليو (تموز) 2004، مرجع سابق.

أن يرسل رسالة إلى الخارج «المتربّص» ليخبرهم بوجود وحدة وطنية بين الرموز الإسلامية، مهما اختلفت انتماءات طوائفها، وفي حوار معه نشر في موقع «الإسلام اليوم» كشف العودة عن لقاءٍ جمعه بالشيخ حسن الصفار، الرمز الشيعي السعوديَ، حيث يقول: «زارني في غرفتي وجرى معه حوار علمي نعتقد أن النصيحة تقتضيه»[206].

على الرغم من إرادة التعايش الواضحة في خطاب العودة تجاه الشيعة، غير أن التعايش لا يعني إقراره بتعددية الحق لدى المذاهب الإسلامية، بل يرى في «المناظرات» أسلوباً ممكناً للتعامل مع الشيعة، بشرط أن لا تكون مجالاً للصراخ والصياح. يقول العودة مجيباً على سؤال وجه له حول المناظرات بين السنّة والشيعة: «المناظرات هذه نحن لا نستطيع أن نقرر أنها تمضي أو تتوقف يعني هي واقع قائم وبالتالي نحن علينا أن نسعى في إصلاح هذه المناظرات، ومن أهم جوانب إصلاح المناظرات اختيار الناس الذين يمثلون فعلاً الجدل والإقناع من كافة الأطراف، لأني أعتقد أنه من العيب والعار أن تتحول هذه المناظرات أو غيرها إلى نوع من الصياح والصراخ والجدل والصخب والضجيج وكأن المقصود جذب أكبر عدد ممكن من المشاهدين، بينما هذا يفسد

206 - من حوار نشر في موقع «الإسلام اليوم» بتاريخ 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 2003.

ذوق المشاهدين ويربّيهم على نوع من حوار الطرشان كما يقال، الكل يتحدثون ولا أحد يسمع. أيضاً ليس المقصود من المناظرة إقحام أو إفحام الخصم، إنما المقصود الوصول إلى الحق بروح علمية. هذه المناظرات لا أستطيع القول إنها سلبية لسبب أنه لو وظفت توظيفاً جيداً فقد تكون فتحاً لتربية المشاهدين، لتربية الناس على كيف يختلفون وكيف يتجادلون ويتحاورون، لكن إذا لم يكن هناك تدقيق في الاختيار؛ اختيار الأشخاص الذين يمثلون الأدوار المختلفة فيها، تأتي هنا النتيجة سلبية»[207].

لا يغفل العودة الحديث عن التشيع السياسي، فهو حينما يتناول التشيّع من الناحية السياسية ترتفع نبرته في الحديث، ويزيد تشديده على الخطورة التي يشكلها الشيعة على السنة. يقول عن التشيع السياسي: «وقد قرأت تقارير صحافية نُشرت في «الشرق الأوسط» وعدد من الصحف قبل أسبوع تحدثت عن هذه الظاهرة بالذات وتكلمت عن وجود امتداد كبير سواء في بلاد الشام وسوريا على وجه الخصوص أو في عدد من بلاد العالم الإسلامي، وأعتقد أن جزءًا من هذه الظاهرة يمكن أن يقال إنه تشيّع سياسي، بمعنى أنه ولاء للمبدأ السياسي، أو إشادة بالظهور والحضور السياسي لإيران على خارطة اللعبة الإقليمية والدولية. ولكن هذا لا يمنع أن

207 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الخوف»، بثت في 16 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.

يكون ثمة آخرون يخلطون بين الجانب السياسي والجانب العقدي فيعتقدون أنه بناءً على هذا التفوق في الأداء السياسي الإيراني يصبح عندهم تعلق بالمذهب أو ولاء للمذهب، وكثير من الناس قد لا يستطيعون أن يميزوا بين هذا وذاك، وأعتقد أن القضية لها خطورة كبيرة جداً، لأنه مهما حاولنا أن نخفي الحقائق، علينا أن ندرك أن السنّة أغلبية مطلقة بشكل قطعي وصارخ جداً، ووجود هذا الشدّ وهذا التوتر في العلاقة بين السنّة والشيعة، والشعور بأن هناك تربصاً وأن هناك اختراقاً وأن هناك امتداداً ولعل الشرارة بدأت أيضاً من العراق. اليوم قرأنا على سبيل المثال تسريح ثلاثة آلاف من مغاوير الداخلية وإعفاء اثنين من كبار الألوية في الوزارة، أقول: يعني نحن نجد عدداً ممن يوصمون بالإرهاب من الأطراف الأخرى يُسجنون ويُحاكمون وتُعلن أحياناً بعض تقاريرهم واعترافاتهم تعلن في وسائل إعلام رسمية في قنوات وغيرها، فيجب أن يكون ثمة وعي عند من يهمهم مصلحة العراق ومصلحة المنطقة الإسلامية بشكل عام أن هذا الموضوع يعتبر جزءاً من اللعب بالنار وأنه تهديد في الواقع كبير جداً للحضور الإسلامي للشيعة وللسنّة أيضاً على حدٍ سواء، فأعتقد أن القضية بحاجة إلى معالجة وبحاجة إلى معالجة سياسية بالدرجة الأولى، ورسالة تصل إلى أصحاب القرار سواء كانوا في إيران أو في العراق أو في

أي بلد آخر أنه يجب أن يكون ثمة إدراك للمخاطر وأن النار تغلي تحت الرماد»[208].

لم يكن خطاب العودة عن السنّة والشيعة بمنأى عن التحيز للطائفة، خاصةً على المستوى السياسي، ويمكنني تقسيم تناول العودة للحالة الشيعية إلى قسمين وذلك من خلال الاطلاع على ما طرحه في برنامج «حجر الزاوية» خلال السنوات الخمس، على النحو التالي:

1 - **الرؤية الوطنية وطرح التعايش:** يأتي الحديث عن التعايش أثناء الكلام عن الشيعة السعوديين، فهو منطلقاً من رؤية أممية إسلامية لا يرى في التعايش بأساً، بل يرى فيه فرصةً سانحة لتمتين الوحدة الوطنية وذلك لغرض تفويت الفرصة على الآخرين المتربّصين، الذين يريدون أن يجدوا الثغرة في جسد الوطن ليدخلوا من خلالها عليه، فيخرّبون ويدمّرون. لهذا فهو في تناوله لشيعة السعودية ينطلق من المعالجة الوطنية. أضربُ على هذا مثلاً بقوله: «الصدام شر والتعايش ممكن يحتاجه القويّ ولا يستغنى عنه الضعيف، وتبنيّ إيران لمشاريع دعوية في إفريقيا وفي سوريا وفي جزر القمر وفي

208 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الرقابة الذاتية»، بث في 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2007.

عدد من البلاد لا شك أنه ذو خطورة،

وصرف المليارات من الدولارات يجب مراجعته ويختلف الناس حول حجمها ولكن لا يختلفون حول حقيقتها. الحسينيات والمستشفيات والدور الثقافية الكثيرة، العقلاء بالتأكيد من الطرفين لا يريدون صداماً ولا يريدون أن تدخل المنطقة من جديد فى نفق عميق بسبب التوتر بين هذا الطرف أو ذاك. أؤكد أن الاستقواء بالخارج سواء صدر من إيراني يدعم التوجه الأميركي أو صدر من عربي أو سعودي يحاول أن يستقوي بأميركا أو يستقوي بإيران، إنه أمر مرفوض»(209).

2 - **الرؤية الأممية وطرح المؤامرة:** حينما يتحدث العودة عن الشيعة بمنطق الأمة، نرى النفَس الطائفي واضحاً كل الوضوح. فهو ينحاز إلى رؤية المشروع السنّي مقابل المشروع الشيعي. لم يطرح العودة مشروعاً مدنياً يتجاوز الثنائيات الطائفية. يريد أن يطرح مشروعاً سنّياً مقابل المشروع الإيراني الشيعي. يحضر الحديث عن الاختلاف الجذري بين السنّة والشيعة حتى في الأصول وذلك حينما يعرض رؤيته الأممية.

209 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «المرأة والعمل»، بث في 12 سبتمبر (أيلول) 2008.

عن الخلاف الجذري بين السنّة والشيعة؛ يصرّح بوضوح أن الخلافات جذرية، حتى مع معتدلي الشيعة، يقول: «أما مسألة الفرق فلا شك أن الشيعة بينهم وبين السنّة فروق أصلية وليست فرعية ليس السنة والشيعة مثل الأحناف والحنابلة والشافعية والمالكية خلافهم في الفروع الخلاف مع الشيعة هو في الأصول حتى في مناهج التلقي وأن نقاط التلقي الأخذ مثلاً عن الأئمة اعتقاد عصمة الأئمة أيضاً ما يتعلق بالموقف من الصحابة -رضي الله عنهم- يعني كثير منهم لهم موقف مجافاة وقد يكون أحياناً تعبد بالسبّ ويقع من جراء ذلك يعني شيء كثير جداً وتنقص حتى للشيخين العظيمين الجليلين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وأشياء كثيرة جداً في معظم الجوانب حتى في فهم القرآن وفي أيضاً عصمة القرآن وكماله وفي اعتبارات كثيرة جداً فالفرق بين السنّة والشيعة حتى لو كانوا معتدلين هو فرق جوهري وأساسي. أما الغلاة فحدث ولا حرج فقد يوجد من يصل لحد القول بتحريف القرآن أو يوجد من يصل إلى حد القول بخيانة الصديقة عائشة رضي الله عنها وقد برأها الله -سبحانه وتعالى- مما قالوا وكلام فظيع في حق الملأ الأول الأفاضل الذين اختارهم الله لصحبة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- نحن لا ندعو إلى التصادم بطبيعة الحال لا في العراق ولا في غيره الصدام يعني حتى مع الكافر ومع المشرك ليس مقصداً أو مطلباً لذاته والأصل أن تبنى العلاقة على

التعايش وعلى الفهم المشترك وعلى الاستماع والمجادلة بالتي هي أحسن لكن أيضاً من غير الممكن أن يكون ثمة سكوت عن امتداد وانتشار لمثل هذه التوجهات داخل الإطار السني»[210].

هذا مع أن مواقف العودة من الشيعة تمر بحالات إبداء وإعادة، قول وانسحاب، تصريح وتراجع، هذا فضلاً عن أسلوب التعريض واللمز الذي يجيده الشيخ العودة. نقرأ في مقالة لها قوله: «لليهود أعيادهم وللنصارى أعيادهم الخاصة بهم... وللمجوس-كذلك- أعيادهم الخاصة بهم... وللرافضة -أيضاً- أعيادهم مثل عيد الغدير»، لينتقل بعد ذلك فيقول: «أما المسلمون فليس لهم إلا عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى»[211]، يعلّق الباحث والكاتب اللبناني حازم صاغية على هذه العبارة قائلاً: «فهو هنا يخرج الشيعة من دائرة الإسلام وبطريقة ازدرائية واضحة»[212]. العودة أيضاً تسوده حالة من الارتباك والتلكؤ في إثبات موقفه الصارم تجاه الشيعة، يرى صاغية أنه: «وبالنسبة إلى السلفي، فإن الحوار يوفر فرصة لتبديل عقيدة الآخر، كما تشي قسمة الشيخ سلمان العودة للحوار

210 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «البصيرة»، بث في 22 أكتوبر (تشرين الأول) 2006.

211 - نشر المقال في جريدة الجزيرة السعودية 16 أكتوبر (تشرين الأول) 2007. والنسخة التي نشرها موقع «الإسلام اليوم» تم تعديلها وحذف ما يتعلق بعيد «الرافضة» منها: htm.10539-http://www.islamtoday.net/salman/artshow-28

212 - صاغية، حازم. نواصب وروافض- منازعات السنّة والشيعة في العالم الإسلامي اليوم (بيروت: دار الساقي، الطبعة الأولى، 2009)، ص 159.

إلى سلبي وإيجابي، حيث يخرج الشيعة من دائرة الاستهداف بالحوار الإيجابي باعتبارهم أعداء في الأصول»[213]. العودة يحلو له أحياناً: «الانعتاق بصورة مؤقتة من إملاءات أرثوذكسية صارمة، ليزاول دور المثقف الديني المنفتح على معارف عصره، فيكتب في التنوع بوصفه سنّة ربانية، ولكنه يقصره على التنوع الشكلي»[214].

إذاً نقرأ أن هناك تفاوتاً في مواقف العودة من الشيعة بحسب المناسبة، مع أن أصالة موقفه التي تتأسس عليها الكثير من أفكاره تجاههم تميل نحو النفي والتركيز على أن ثمة خلافات كبيرة تمسّ الأصول. ومردّ التفاوت إلى التمييز الذي طرحته بين العودة في رؤيته الأممية، والعودة في رؤيته الوطنية. والحق أن توجه الأستاذ صاغية فيه شيءٌ من القسوة، وإلا فالشيخ العودة استشهد في هذه الأطروحة بالشيخ منتظري، وهو يعتبره عالماً جليلاً وشيعياً معتدلاً، وترحّم عليه.

ج - الموقف من الحركات الإسلامية

يتناول سلمان العودة في برنامج «حجر الزاوية» الحركات الإسلامية من خلال الأفكار التي تطرحها، والأهداف التي تتجه

213 - المرجع السابق، ص 158.
214 - المرجع السابق، ص 161.

نحو تحقيقها. لم يكن العودة منضوياً تحت تيارٍ أو حزب أو حركة إسلامية، باستثناء المؤثرات التي افتتحنا بها نشأته في هذه الرسالة. لم ينضم بمعنى الانضواء إلى تنظيم الإخوان المسلمين، مهما كانت المشتركات كثيرة، خصوصاً في مرحلة الطرح القديم. كان لهذه المساحة بين العودة والحركات الإسلامية أكبر الأثر في جرأته على نقدها.

ينفي العودة أن يكون منتمياً إلى تيار، فهو يقول بصراحة في جواب على سؤال: «هل أنت سروري؟ ويجيب: ليس لي انتماء»[215]. لهذا نرى حالة اللا انتماء في حرية العودة بطرحه للأفكار، الأمر الذي جعله هو ومن معه من الدعاة يشكّلون تياراً عُرف بالصحوة الإسلامية في السعودية. ويأتي نقد العودة للحركات الإسلامية على مستويات يمكن إيجازها بالعناصر التالية:

1 - **مفهوم الحاكمية ليس قطعياً**: انتقد العودة الحركات الإسلامية منطلقاً من المفهوم الأكثر شهرةً وإثارةً للجدل، وهو «الحاكمية»، إذ يقول: «نعم آيات سورة المائدة معروفة، فيها قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا

215 - برنامج: «إضاءات»، 7 ديسمبر (كانون الأول) 2005.

ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: 44).

والآية الأخرى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (المائدة: 47).

والآية الثالثة: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (المائدة: 45).

والعلماء اختلفوا في هذه الآية. طبعاً الظلم واضح على بابه وعلى وجهه؛ لأن الذي يحكم بغير ما أنزل الله ظالم، لأنه لم يضع الأمور في موضعها، والفسق أيضاً على وجهه؛ لأنه يعني فاسق بخروجه عن جادة العدل والصواب، لكن هل المقصود هنا بالفسق الفسق الأكبر، الذي هو الكفر؟

وكذلك ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: 44)، هل المقصود الكفر الأكبر المخرج من الملة ؟ هذا محل خلاف، والواقع هذه النقطة مهمة جداً وكان ممكن نناقشها في موضوع الحاكمية لولا أن المجال كان ضيقاً، ولكن الخلاصة التي أريد أن أقولها للإخوة هنا، إن علماء الخلف والسلف مختلفون في هذه القضية، ولذلك يجب ألا نعتقد أن هذه القضية من قطعيات الدين كما يعتقده البعض بناءً على دراسات خاصة بهم، فإن بعض المجموعات الإسلامية والحركات الإسلامية بنت وجودها على أساس الاعتقاد بأن هذا هو الكفر الأكبر وأن الحاكم تبعاً لذلك كافر خارج من الملة.

أعتقد أن هذا فيه نوع من عدم التوازن العلمي وعدم الهدوء المعرفي؛ لأنه لو نظرنا في العصر الحاضر باعتبار هذا من النوازل الموجودة في هذا العصر أكثر من غيرها لوجدنا أن كثيراً من أئمة السلفية كالشيخ ابن باز[216] -رحمه الله-

216 - عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز. وُلد في الرياض في 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1912 وتوفي فيها في 14 مايو (أيار) 1999. شغل منصب المفتي في المملكة العربية السعودية، على مدى ثلاثين عاماً. حفظ القرآن قبل سن البلوغ ثم جد في طلب العلم على العلماء في الرياض، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة عين في القضاء عام 1350هـ (1931م). لازم البحث والتدريس لم يكن الشيخ يحفظ شيئاً من أمهات الكتب. إذ لما سألته مجلة المجلة: «تحفظون عن ظهر قلب عدداً من أمهات الكتب؟» قال: «لا، لا أحفظها. قرأنا الكثير ولكن لا أحفظ منها الشيء الكثير، قرأنا البخاري ومسلم مرات، قرأنا سنن النسائي وسنن أبي داود وما أكملناهما. قرأنا سنن ابن ماجه لكن ما أكملناه. قرأنا جملة كبيرة من المسند (أي مسند أحمد) والدارمي».

والشيخ بن عثيمين[217] -رحمه الله- في آخر عمره، والشيخ الألباني[218] وكثير من مشايخنا الأحياء اليوم من أئمة الخط السلفي يرون أنه كفر دون كفر، يعني ليس كفراً أكبر،

217 - محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهيبي التميمي (29 مارس (آذار) 1929 - 5 يناير (كانون الثاني) 2001). ولد في مدينة عنيزة - إحدى مدن القصيم - بالمملكة العربية السعودية. تعلم القرآن على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان الدامغ ثم تعلم الكتابة وشيئاً من الأدب والحساب والتحق بإحدى المدارس وحفظ القرآن عن ظهر قلب في سن مبكرة، وكذا مختصرات المتون في الحديث والفقه. كان الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي قد رتب من طلبته الكبار لتدريس المبتدئين من الطلبة وكان منهم الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع فانضم إليه العثيمين. بعد دراسة التوحيد والفقه والنحو جلس في حلقة شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي فدرس عليه في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصوله والفرائض والنحو. يعتبر الشيخ عبد الرحمن السعدي شيخه الأول الذي تأثر بمنهجه وتأصيله واتباعه للدليل وطريقة تدريسه. قرأ على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان في علم الفرائض حال ولايته القضاء في عنيزة وقرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي في النحو والبلاغة أثناء وجوده في عنيزة ولما فتح المعهد العلمي بالرياض أشار عليه بعض إخوانه أن يلتحق به فاستأذن شيخه السعدي فأذن له فالتحق بالمعهد العلمي في الرياض سنة 1372 هـ وانتظم في الدراسة سنتين انتفع فيهما بالعلماء الذين كانوا يدرسون في المعهد حينذاك ومنهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد والشيخ عبد الرحمن الأفريقي وغيرهم. اتصل بالشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل ابن تيمية وانتفع منه في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء أهل السنة والجماعة والمقارنة بينها ويعتبر ابن باز شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به. تخرج من المعهد العلمي ثم تابع دراسته الجامعية انتساباً حتى نال الشهادة الجامعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. ظلّ عضواً في هيئة كبار العلماء حتى توفي.

218 - محمد ناصر الدين الألباني (1914 - 1999) بن نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الأرناؤوطي. مُحدِّث وفقيه إسلامي، يعد من المحدّثين المشهورين في العصر الحديث. حظيت كتبه في مجال الحديث بمكانة عالية بين طلاب العلم، وهو من الشخصيات ذات التأثير الكبير على السلفيين، وفي النصف الثاني من القرن العشرين صار الألباني رائداً في تجديد الاهتمام بالحديث النبوي وعلومه لدى الشباب. بدأت أعماله العلمية بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ثم انتقل في كهولته إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة في السعودية، حيث تخرج على يديه تلاميذ كُثر، وتطورت بين بعض مريديه اتجاهات متشدده. غادر السعودية إلى الأردن في أواخر السبعينيات، حيث انكبّ على التأليف والتدريس حتى توفي. أبرز مصنفاته: سلستا الأحاديث الصحيحة والضعيفة، وصحيح الكتب الستة وضعيفها.

وإنما هو كفر دون كفر، ما دامت المسألة مسألة عمل. أما إذا كان يعتقد بأن الحكم بغير ما أنزل الله حلال مثلاً أو يعتقد أنه أفضل من الحكم بما أنزل الله وأن حكم البشر أفضل من حكم الله أو ما أشبه ذلك فهذا كفر اعتقادي ولا خلاف فيه. طبعاً في المسألة قول آخر وهو أن من حكم بغير ما أنزل الله فهذا كفر أكبر وهذا أيضاً اختاره جماعة من أهل العلم كالشيخ الشنقيطي والشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ أحمد شاكر وعدد من العلماء أيضاً فهو قول موجود وقول معتبر، لكن أقول: ينبغي أن تكون هذه من مسائل الخلاف لا أن تكون من المسائل القطعية»[219].

2 - **الفصل بين الإسلام والحركات الإسلامية:** كانت الضربة القاسية التي وُجهت من قبل العودة ضد الحركات الإسلامية واضحةً حينما كتب مقالة: «الإسلام والحركات»، ونشرها في 11 أبريل (نيسان) 2009. وضع العودة النقاط على الحروف واتضح موقفه الحقيقي من الحركات الإسلامية في العالم. ولهذا يمكنني أن أصف هذه المقالة بأنها من ضمن المفاصل الرئيسية في تاريخ سلمان العودة المعرفي، إذ استطاع أن يشقّ طريقاً مستقلةً تختلف عن المراحل الماضية التي كان

219 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «فقه التعامل»، بث في 22 سبتمبر (أيلول) 2007.

موقفه فيها من الحركات الإسلامية حيياً، بل كان يمتلك معهم الكثير من المشتركات الفكرية والسياسية.

رأى العودة في مقاله هذا أن: «علينا أن نفرّق بين الإسلام وبين الحركات الإسلامية»[220]. يفصل العودة بسكّين حادة التزاوج المزعوم والتاريخي بين الإسلام والحركات، حيث تطرح كل حركة إسلامية نفسها على أنها منبع الخلاص، وأن تأويلاتها للإسلام هي التأويلات النهائية والأخيرة له، وأن من خالفها يخالف الإسلام ذاته. يوجه العودة نقداً قاسياً للحركات الإسلامية، ولمواقفه القديمة منها، فيُنزّه الإسلام عن أن يُمثّل ويُحتكَر من قبل حركات تختطف الإسلام خطفاً.

يستمر العودة في مقالته فيقول: «قد يضيق نظام حكم ما بالحركات الإسلامية؛ بسبب الخوف وعدم الاطمئنان، أو المغالبة السياسية أو المزاحمة، وقد يقع لبعض الحركات أن تنفتح نحو السياسة وتتضخم دورها وأهميتها، وكأن الإمساك بأزِمّتها يعني نهاية المشكلة والمعاناة، وهي رؤية ضيقة تجاوزتها حركات كثيرة؛ أدرَكَتْ أن التغيير يجب أن يستهدف سلوك الفرد وعقله، ويمنحه الخبرات والمهارات والمعارف

220 - مقالة «الإسلام والحركات» نشرت في موقع: «الإسلام اليوم» 11 أبريل (نيسان) 2009.

والأفكار الصحيحة، وليس أن نتصارع على الكراسي والمناصب بإقصائية متبادلة، وكل طرف يقول: أنا أو الدمار. والعاقل يدرك اليوم أن الاقتصاد يمثل قوة ضغط لا يستهان بها، وقُل

مثل ذلك في الإعلام، أو في التعليم، أو في مؤسسات المجتمع المدني، ومعاناة الأمة ليست في ساستها فحسب، بل في أنماط تفكيرها، ومسالك عيشها بما يتوجب معه اعتماد نظرة أوسع أفقاً، وأبعد عن المصادرة والأحادية والإقصاء والتصارع على السلطة، وأكثر هدوءاً وإدراكاً لإمكانيات الإصلاح والتغيير. أسلوب المغالبة السياسية ضَيّقَ على كثير من المناشط، وحرمها من حقها المشروع في الحياة والمشاركة»[221].

ينفي العودة أن يكون التزام الحركات الإسلامية بأيديولوجيا معيّنة هو السبب الرئيسي في وقوف الحكومات ضدها، بل يرى أنها المغالبة السياسية وحدها التي تجعل من الحكومات حسّاسة من الحركات. حاولت الحركات الإسلامية أن تجعل من نفسها ضحية الالتزام بشروط الإسلام، الأمر الذي يدفع الحكومات إلى الجرأة عليها واستهدافها، لكن العودة يقول صراحةً أن ضيق الحكومات بالحركات سببه الخوف منها وعدم الاطمئنان إلى أطروحاتها.

221 - المرجع السابق.

لقد جرّت هذه المقالة في التمييز بين الإسلام والحركات، على الدكتور سلمان العودة، انتقادات حادة، من جانب الحزبيين، معتبرة أن في وجهة نظره إنحيازاً غير محمود إلى جانب الأنظمة والحكومات، مما يشكل تخلياً عن مواقفه السابقة من الإسلام السياسي.

3 - **التفريق بين الحركات الإسلامية والمذاهب:** لم يعتبر العودة الحركات الإسلامية مذاهب عقائدية قائمةً بذاتها، بل هي أطياف ذات اتجاهات فكرية أو تأويلات للنصوص الدينية اتخذت منحىً معيناً، يقول العودة إن: «حديث افتراق الأمة أولاً ليس في دواوين الإسلام التي جمعت الصحيح مثل البخاري ومسلم وإنما هو عند أصحاب السنن وأحمد وله طرق كثيرة ولذلك بعض أهل العلم حسنوا الحديث بمجموع هذه الطرق ومن أهل العلم من ضعفوه وأكثر المحدثين على أن الحديث حسن وهناك من ضعفه كابن حزم وغيره، وبكل حال ليست المشكلة الحديث من حيث الثبوت أو عدمه، المشكلة أحياناً في الفهم؛ فهم الحديث، فبعض الناس مثلاً يأخذ من الحديث أنه يعني أن نقوم بتصنيف الناس، وبعض الناس يعتبر نفسه هو الذي له النجاة، ويصف الآخرين أنهم من الهالكين، وهذا نوع من الاجتهاد أيضاً، وبعض الناس يطبق لفظ بضعة وسبعين على أسماء معينة، ونحن نعلم أنه

لو أردنا أن نقول كل من خرج ووصف بأنه واحد من هذه الفرق لوجدنا أن هناك المئات من الفرق، فالأقرب والله أعلم أنه إذا صح الحديث فالمقصود به الحديث عن أصول وقواعد في الانحراف عن سواء السبيل.

على سبيل المثال هذه الجماعات الإسلامية هل نقول إنها هي من الفرق من الثلاث والسبعين؟ أنا أقول لا، هذه الجماعات كلها إن شاء الله من الفرقة المؤمنة التي كتب لها النجاة وجمهور المسلمين يُظن بهم أنهم كذلك وعندهم قدر من الاستقامة ولزوم الطريق والبحث عن الخير ومحبة الله ورسوله والخطأ الموجود نشتغل بتصحيحه دون أن نلزم أنفسنا، لأن الحديث لن يأتي في أنه علينا نحن الدعاة أو طلبة العلم أن نقوم بإيجاد ثلاثة وسبعين قالباً ونضع الناس فيها واحداً بعد الآخر. لم يأت هذا الأمر بل كثير من المتقدمين الذين ذكروا الحديث ورووه لن يقوموا بتسجيله على واقع معين ولن يصنفوا الناس وإنما وجد التصنيف في فترة لاحقة، وقد يوجد في الفرد الواحد جوانب من الخير وجوانب من الخطأ وإيمان ونفاق، وقد يوجد في الجماعة مثلاً أو الفئة أو الطائفة من الناس أيضاً جوانب خير يحمدون عليها وجوانب خطأ تصحح لهم وجوانب انحراف أيضاً يدعون إلى تعديلها»[222].

222 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الدعوة»، بث في 19 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

ينطلق العودة خارج سياق الحديث مثار التضعيف والتصحيح، يبدأ من مسألة دخول تلك الحركات الإسلامية في المجتمع المؤمن، أم أنهم من الفرق الضالة؟ يحسمها واضحةً حينما يعتبرهم من المؤمنين. تسرّعت بعض التيارات الإسلامية في الوقوف ضد الحركات الإسلامية موقفاً متطرفاً، جعلت منهم ضُلّالاً يستحقون الحرب الفكرية والتشويه النفسي واللفظي.

إذا كان موقف العودة في خطابه القديم غامضاً في ما يتعلق بالحركات الإسلامية، فإنه في مواقفه الأخيرة أصبح واضحاً، ويكفي أنه وضع الإسلام بمنأى عن اختطاف الحركات الإسلامية له، ومقالة «الإسلام والحركات»، كانت هي لغة الحسم من بين الأساليب التي استخدمها العودة خلال مسيرته الدعوية والعلمية.

4 - **السلفية ليست حزباً**: إذا كانت الحركات والأحزاب الإسلامية تحاول أن تحوّل السلفية إلى فكر يُحرّك أهدافها، فإن العودة يحاول أن يفصل بين الحزبية والسلفية. يقول: «السلفية ينبغي أن تكون مذهباً وليست حزباً، يعني السلفية منهج وليست حزباً فنحن حينما نقول السلفية يعني الانتماء للأصول. بقدر الانفتاح على العالم والمتغيرات والمنجز الحضاري، أياً كان مصدره، أنا في نظري هذه هي السلفية الحقيقية. أما أن

تكون السلفية هي انتماء إلى مرحلة معينة وكأننا نريد أن نعود إلى تفاصيل تلك المرحلة فهذا أمر متغير. الناس يتغيرون في ملابسهم وفي عمرانهم وعاداتهم وأعرافهم. والمقصود الاستمساك بالمنهج وليس التقليد. والسلفية من أهم أُسسها رفض التقليد، هذا معروف في أدبيات السلفية. أصبحت القصة اسماً عند البعض، يقصد أنه يهتم بالعلم الشرعي. ولكن دون أن يلتفت إلى المعنى الأسمى»[223].

5 - **بعض الحركات الإسلامية لها مميزات:** انتقد العودة حالة الاضطراب التي أصيبت بها الحركات الإسلامية بعامةً، غير أنه لم يُخف مميزات بعضها. يتحدث عن مميزات حركة التوحيد والإصلاح في المغرب، فيقول: «ذهبتُ إلى المغرب، وزرت حركة الإصلاح وألقيت محاضرات على أعضاء الحركة. وتحدثت إليهم عن كثير من قضايا التجديد والدعوة والإصلاح. وعملوا لقاء معي بالجريدة، وفي الواقع أنني لحظت أن من أفضل ما لاحظته فيهم أنهم لا ينتمون. امتدادهم مغربي. وليس لهم أي امتداد خارجي. لا ينتمي إليهم أحد من خارج المغرب. هم حركة مستقلة، يعني محلية. ولكنهم دائماً ما يحدثونني بأن هناك توافقاً بيني وبينهم. ولم

223 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

أقل أنني أنتمي إلى الحركة لا فكرياً ولا تنظيمياً، وإنما أشعر بأن الأفكار التي يحملونها تتوافق مع كثير من الأفكار التي أقولها. هو شكل من أشكال وقع الحافر على الحافر. يعني لا يجب أن أكون أنا أخذت منك الفكرة أو أنت أخذتها مني. قد يكون هناك اتفاق»[224].

يستمر في إطراء حركة التوحيد والإصلاح، فيقول: «لحد الآن أنا ألحظ أن الإخوة في حركة التوحيد والإصلاح، حققوا قدراً جيداً من النجاح في هذه الجزئية. وهذا ما أوصيتهم فيه كثيراً، أن يكون عندهم استعداد للمراجعة المستمرة لأنفسهم والتأكيد على أن لا يعتبروا أنفسهم هم الإسلام، وإنما أن يعتبروا أنفسهم جزءًا من الحراك الموجود في المغرب»[225].

6 - **التنظيمات تتسبب بالجمود:** يربط العودة على المستوى الفكري بين التنظيمات والجمود، حيث يرى أن: «عملية التنظيمات في الغالب تُفضي إلى قدر من الجمود والتقليد والتحجّر. التنظيم يبدأ وسيلة وينتهي غاية. ويصبح يحكم على أهله أن يتمسّكوا بهذه الأُطر وأن لا يخرجوا عنها،

224 - المرجع السابق.
225 - المرجع السابق.

ثم ربما يضعف حتى الانتماء العام للوطن أو للمجتمع أو للأمة. يكون انتماء الإنسان للجماعة هو الأقوى. وفي الوقت ذاته لا شكّ أن الفردية ليست مطلباً. وإنما كلما أمكن أن يكون هناك روح فريق كان هذا أفضل. التنظيمات الإسلامية أو الحركات الإسلامية مشكلتها أنها تنظيمات فكرية في الغالب قد لا تكون منضبطة إدارياً بقدر ما هناك نوع من تعميق الانتماء عند الأفراد لهذا التيار»[226].

إذاً الجمود ليس مرتبطاً بالحركة الجسدية والتنظيمية، وإنما في الأصول الفكرية، وفي القدرة على التغلب على الأخطاء ومراجعتها، ويبين العودة أن تلك التنظيمات لديها الكثير من الكوارث الفكرية والأخطاء الفادحة، لكن هل انتمى سلمان العودة نفسه إلى تنظيم إسلامي في صغره؟ هذا ما سأفصّله في الفقرة التالية.

226 - المرجع السابق.

خامساً: تجديد الخطاب الديني

أ - السجال على التشديد والتيسير

انشغل سلمان العودة بمجال الفقه كثيراً، وكان كتابه «الفقه بين التشديد والتيسير»، بداية بلورته للمفهوم الفقهي البعيد عن التشدد والقريب من التيسير، رغم أن هذا الكتاب القديم هو باكورة مؤلفات الشيخ سلمان العودة[227].

«إخوان بريدة» فهموا أن هذا الكتاب موجهٌ لهم، وهم الذين اشتهروا بالنزعة المتشددة في تفسير النصوص الدينية، ومعلوم أن إخوان بريدة هم: «مجموعة لا تعدو أن تكون سوى امتداد للإخوان الذين كانوا يشكّلون المطاوعة في عهد الملك عبد العزيز، وهم الأوفياء والخلّص والأمناء على امتداد المذهب الوهابي، بمعنى أنهم كانوا عبارة عن تلاميذ للمشايخ آل سليم. وآل سليم كانوا أكثر أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (حماساً). «إخوان بريدة» تعبير أمين عن قولنا بأنهم المطاوعة، أو النواب، وهي التسمية المحلية، هم في الحقيقة أشخاص يحملون الولاء للحكومة السعودية، لولاة أمرها، يحملون الطاعة لمن ولاّه الله أمرهم من

227 - المرجع السابق.

آل سعود ومن الأسرة المالكة، لكنهم بالتالي أيضاً يتبنّون بعمق مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إضافة إلى كثير من الأفكار ورؤيتهم لكثير من الأشياء المستحدَثة في نظرهم تجاه وسائل الإعلام، تجاه التلفزيون، حتى تجاه التعليم»[228].

أحدث كتاب سلمان العودة غضبةً لدى إخوان بريدة، وساد سجالٌ بين الفريقين. كان العودة متترساً بدعم الشيخ صالح البليهي[229]، الشيخ الأهم للعودة في فتوته، فقد كان الكتاب ممهوراً بتقديم البليهي نفسه، الذي كان يقود سجالاً واضحاً في المساجد وحفلات تخريج الحفاظ في جمعيات تحفيظ القرآن، لهذا فهم الإخوان أن هذا الكتاب موَجّه إليهم تحديداً. لذا انبرى الشيخ عبد الله الدويش[230] في الرد على كتاب سلمان العودة.

228 - منصور النقيدان. برنامج «إضاءات»، 15 أبريل (نيسان) 2004.

229 - انظر ترجمته، ص 45.

230 - عبدالله بن محمد بن أحمد الدويش، ولد في عام 1373هـ في مدينة الزلفي. نشأ في كنف والده، إذ توفيت أمه وهو رضيع وتربّى تربية صالحة، عُرف من خلالها بالصفات الحميدة، وبدأ بطلب العلم وهو صغير. كان سريع الحفظ والفهم، فقدم «مدينة بريدة» سنة 1391هـ، فنزل في مسجد الشيخ محمد المطوع في إحدى غرفه، فأكبّ على كتب السلف وتأثّر بها. درس على الشيخ صالح الخريصي، والشيخ عبدالله بن حميد، والشيخ صالح البليهي، والشيخ محمد المنصور، والشيخ محمد العليط. جلس للتدريس وعمره ثلاثة وعشرون عاماً ومدة جلوسه أربعة عشر عاماً، وبهذه الفترة التف حوله طلاب كثيرون، أكثر من مائة وعشرين طالباً. يقول عنه منصور النقيدان: «توفي عبدالله بن محمد الدويش في الشيحية قبل مغيب شمس يوم الأحد السابع والعشرين من شهر شوال 1408هـ (6 يونيو (حزيران) 1988م) عن عمر يناهز السابعة والثلاثين. كانت المرة الأخيرة التي رأيته فيها إثر تدهور صحته بأسبوع تقريباً. صام الستة من شوال في مكة، ثم قام بزيارة أقاربه في الزلفي، وبعد أسبوع من استئناف دروسه في مساجد بريدة ساءت صحته منتصف الشهر. لا أظنه عرفني يومها. انتظرته للسلام عليه وهو خارج من الجامع الكبير في =

يقول العودة عن ذلك السجال: «هذا الكتاب قديم جداً، وأول ما كتبته في ما أعتقد. وهو ليس نقداً مباشراً للإخوان، بمعنى أنني لم أسم الإخوان ولا عبد الله الدويش -رحمه الله- بل لأن عبد الله الدويش هو الذي ردّ على هذا الكتاب فصار اسمه مرتبطاً به وهو رد غير مطبوع أيضاً. الكتاب كان نقداً لظواهر مثل رفض الدراسة النظامية، مثل قضية كروية الأرض، دوران الأرض، والقضايا الفلكية، والانغلاق، والمبالغة في الأشياء. وهذه ظاهرة كانت موجودة في تلك المرحلة، ولا تزال آثارها موجودة في أكثر من مكان. يعني نوع من التشدد الديني والانغلاق والرأي الواحد والعسف للناس على رأي واحد مما يؤدي إلى قدر من النفور، واعتقاد الإنسان أنه مصدر لإعطاء الحكم للآخرين والحكم عليهم، وأن ما عندي صواب لا يحتمل الخطأ وما عند غيري خطأ لا يحتمل الصواب، فكانت تلك محاولة مبكرة، ولقيت دعماً وقتها من شيخي الشيخ صالح البليهي، وكتب مقدمة للكتاب، وأوذي بسببي أذىً كبيراً»[231].

= الخبيبية بعد صلاة العصر، رأيته متكئاً على اثنين من الإخوان وبشته الأبيض الرقيق مرتخ فوق منكبيه الناحلين، خطوت نحوه فمال علي بجسمه الذاوي وقامته الفارعة وأنا أغالب قصري لأتمكن من تقبيل جبينه، اعتمدت على أطراف أصابعي ولكنني أشفقت عليه وتردّدت فدخلت بينه وبين بشته، كان بشته يضوع بالبخور، وكانت روحه الأسيفة الناسكة تنثر شذاها في كل ما حولها. كان يتمتم كلمات بصوت لا يكاد يُسمع، فاتر العينين لا يكاد يقوى على الوقوف». أنظر مقالة النقيدان «شيخي الصوفي»، في جريدة الرياض 28 يونيو (حزيران) 2009.

231 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

كان الحوار حول المجال الفقهي وحركته بين التشديد والتيسير من الحوارات المبكّرة في ذلك الوقت بالنسبة للمشهد الفقهي، ولسلمان العودة في مجال حركته الفقهية تحديداً. عن التجديد يقول العودة، إن: «التجديد مرتبط أصلاً بالفكر، والتجديد هو تجديد الفكر، ولأن السلوك هو أثر عن التفكير، فأعتقد أن سلوك الإنسان في الغالب هو أثر عن تفكيره، فالتجديد يعتمد على الفكر، تجديد الوسائل، وتجديد اللغة، لكن هناك تجديد المحتوى، تجديد الطرح الذي يتناوله الإنسان، تجديد الأفكار، بمعنى أننا لا نعتقد أن كل الأفكار الصحيحة المرتبطة بالحياة أو بالدين قد قيلت. بل هناك أفكار كثيرة وهائلة وضخمةلم تُقل وينبغي أن تقال، وأن يكون هناك حراك فكري وتجدد بالتقاط الأفكار الصحيحة والجميلة، وتوظيفها بشكل إيجابي»[232].

ب - معنى تجديد الخطاب الديني

ارتبط تجديد الخطاب الديني أخيراً، بالنقد الذي وُجه له من قبل المفكرين الذين يتحسس بعض الإسلاميون منهم، مثل نصر حامد أبو زيد[233]، والذي ألّف كتاباً بعنوان: «نقد الخطاب

232 - المرجع السابق.

233 - ولد نصر أبو زيد في إحدى قرى طنطا في 10 يوليو (تموز) 1943، ونشأ في أسرة ريفية بسيطة، في البداية لم يحصل على شهادة الثانوية العامة (التوجيهية) ليستطيع استكمال دراسته الجامعية، لأن أسرته لم تكن تستطيع أن تنفق عليه في الجامعة، فاكتفى بالحصول على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية، قسم اللاسلكي عام 1960، وحصل نصر لاحقاً على =

الديني»، كما ارتبط على مستوى السعودية بالتيار الليبرالي الذي طالب بعد أحداث العنف التي وقعت في البلاد بتجديد الخطاب الديني. غير أن العودة لم يتخذ من الطرح الذي أُنتج وكُرِّر خارج دائرة الإسلاميين حول الخطاب الديني، عائقاً عن طرح تجديد للخطاب الديني من داخل المدرسة السلفية نفسها. ولهذا وفي برنامج «حجر الزاوية»، خصص حلقةً بعنوان «الخطاب الديني»، تناول فيها مسألة التجديد، التي يمكن أن تدرج ضمن أسئلة تطوير الخطاب الديني، الذي يضم بداخله بالتأكيد الجانب الفقهي والتربوي والوعظي والدعوي.

عن التجديد، يقول العودة: «نحن لا نريد أن ننهمك في تقييم مستفيض للخطاب الديني، لأن الكثيرين يستطيعون أن يتحدثوا عن جوانب الخلل، إنما نريد أن نتحدث عن التجديد، وهنا قد يسأل البعض: هل الخطاب الديني يغير أو يجدد؟ فأقول: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في الحديث الذي رواه أبو

= الليسانس من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة في 1972 بتقدير ممتاز، ثم الماجستير من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام 1976 بتقدير ممتاز، ثم الدكتوراه من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام 1979 بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف الأولى. فارق الحياة صباح الإثنين 5 يوليو (تموز) 2010. من كتبه: «التفسير عند المعتزلة»، و«مفهوم النص»، و«نقد الخطاب الديني»، و«الإمام الشافعي والأيديولجيا الوسطية»، و«التفكير في زمن التكفير».

داود وأحمد والطبراني وغيرهم عن أبي هريرة وهو حديث يكاد أن يكون العلماء اتفقوا على صحته وقبوله والعمل به، أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها). ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تجديد الدين نفسه والخطاب الديني هو جزء من تجديد الدين بكل حال وهنا تلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يبعث على رأس كل مئة سنة)، لكن هذا لا يمنع أن يكون فيما بين ذلك، يعني ليس بقية القرون وبقية الأزمان هي فترات غفلة ونوم مطلق، بل يبعث الله سبحانه وتعالى على رأس كل مائة سنة، ولا يعارض هذا أن يبعث الله سبحانه وتعالى بين الفينة والأخرى في كل عام أو مجموعة من الأعوام وفي كل بلد أو مجموعة من البلدان أفراداً أو مجموعات من الناس، لأن كلمة (من يجدد)، لها لفظ عام يشمل الأفراد الذين يقومون بالتجديد، وهذا كان ممكناً في فترة غابرة ربما، لكن ليس ممكناً الآن في ظل الانفتاح العالمي وفي ظل توسع الأمة وفي ظل اتساع الخلل الموجود في واقعها. تصور أن يقوم بمهمة تجديد الدين فرد واحد أو أفراد قلائل، أصبح أمراً مستبعداً جداً، وإنما هذه مهمة يتولاها ويمارسها مجموعات كبيرة من الناس تنهمك وكل مجموعة في مجالها وفي ميدانها، هذا في مجال الفقه وهذا في مجال العلم وهذا في مجال الحياة

وهذا في مجال الإصلاح وهذا في مجال الوعظ وأيضاً في مجالات العلوم الدنيوية المختلفة»[234].

يربط العودة مفهوم التجديد في الخطاب بالنصوص التأسيسية للإسلام، لينزع الخوف من التجديد الذي ربما يخاف الناس منه. هناك رعب من معنى التجديد يسببه كما أسلفنا التناول الجريء من قبل المفكرين الذين يتناولون النصوص الدينية بالأدوات التي أنتجتها العلوم الإنسانية الحديثة. العودة بهذه الطريقة يحاول تجهيز المجتمع لقبول فكرة التجديد. لهذا حينما يطرح تجديد الخطاب الديني، فإنه يُطمئن المتابع أن التجديد لا يمكن أن يمسّ قداسة النص ذاته، لأن النص لا يخالف التجديد.

يقول العودة في معرض طمأنته تلك للمتابعين: «ثمة فرقٌ بين الخطاب الديني وبين الوحي المنزل، بمعنى أن الخطاب الديني يعتمد على الوحي في كثير من الحالات، لكنه اجتهاد الناس، فهو مثل خطاب الفقهاء ومثل خطاب الوعاظ، مثل خطاب المصلحين الذي هو اجتهاد من عندهم. في كثير من الأحيان يكون صعباً وفي حالات قليلة يحتاج إلى مراجعة أو تدارك أو تصحيح. إذاً حينما

234 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الخطاب الديني»، بث في 28 أكتوبر (تشرين الأول) 2005.

نطلق لفظ تجديد الخطاب الديني ينبغي أن لا يكون هناك نوع من القلق من كلمة تجديد الخطاب الديني، وذلك لأن الخطاب الديني هو مجهود بشري وعمل الناس الذي يقبل التصويب ويقبل التعديل ويقبل أن يُبنى عليه ويُطور إلى ما هو أفضل، لكن بدون شك أن من حق الناس أحياناً أن يتساءلوا، لأنك تجد أن هذا الخطاب أحياناً يتنازعه أطراف عديدة وأخص على وجه التحديد طرفين، الطرف الأول فئات قد تتحدث عن تجديد الخطاب الديني وهي تنطلق من منطلقات ليست دينية، وأعتقد أن تجديد الخطاب الديني يجب أن ينطلق من الدين ذاته وليس بأدوات من خارجه، يعني لا يمكن تجديد الخطاب الديني بواسطة أن يكون استجابة لضغوطات حكومية سواءً كانت ضغوطات محلية أو ضغوطات عالمية من قوى دولية. والطرف الثاني الذي يتنازع أيضاً هذا الخطاب هي بعض القوى الإسلامية الخائفة التي اشتد بها الخوف، فهي إذا سمعت مثل هذا اللفظ ترامى إلى ذهنها أنها أمام مؤامرة لتحريف الدين أو تغيير الخطاب، وقد يستدلون بنماذج واقعية، نحن نجد أنه أيام الاشتراكية مثلاً وجد نوع من محاولة تسويغ الطرح الاشتراكي أو حتى الشيوعي أحياناً من منطلقات دينية. الآن الكثيرون قد يطلقون لفظ الخطاب الديني ويقصدون به مثل ما قال أحد الباحثين تهذيب أو تشديد أو تقصيص حقائق الدين بحيث يكون قابلاً لاستنبات أفكار غربية أو غريبة عن روح الدين وعن جوهره،

ومن هنا وجد خوف عند فئات معينة أصبحت ترفض هذا الأمر من هذا المنطلق، بينما أنا يبدو لي أن فكرة تجديد الخطاب الديني ضرورة لا بد منها»[235].

في هذا النص يرى العودة أن التجديد أصبح ضرورة، وأشار إلى التخوّف في وجدان بعض المسلمين الذين ينزعون نحو الحيطة والحذر ضد التقدم خطوة واحدة نحو المواءمة بين الخطاب الديني ومقتضيات العصر. يمضي العودة طارحاً نقداً جريئاً للخطاب الديني، فيقول: «الخطاب الديني في مجتمعاتنا العربية والإسلامية المعاصرة خطاب ضعيف وخطاب واهم وخطاب مفكك وخطاب فردي، بينما العالم الآن يشهد تحديات ضخمة وهائلة في عصر العولمة وفي عصر المعلوماتية وفي عصر المبتكرات والمخترعات الهائلة، التي أصبح العالم فيها قرية، وأحياناً شقة، وأحيانا غرفة كما يقولون، وهذا أجود. إن العالم أصبح غرفة واحدة أو إن شئت فقل غابة واحدة الحكم فيها حكم القوي، إذاً واقع الخطاب الديني والتحديات التي يواجهها العالم الإسلامي تتطلب بالضرورة الاهتمام بموضوع تحديث الخطاب الديني، وأعتقد أن عملية التنمية التي ننشدها أو عملية النهوض في العالم الإسلامي، التي ينادي بها كل المخلصين للإسلام، هذه النهضة إذا لم تنطلق من منطلق ديني فأنا أقطع أنه محكوم

235 - المرجع السابق.

عليها بالفشل، فلا بد من خطاب ديني واعٍ يقظٍ ومعاصرٍ وملتزم ومنضبطٍ في نفس الوقت، يستطيع أن يصنعَ هذه النهضة ويرعاها ويدفعها ويُخرج الأمة من هذا التيه وهذا الدوران الذي تدور فيه حول نفسها، دون أن تستطيع الخروج من هذه المآزق»[236].

العودة ذاته، يصف الخطاب الديني بأنه: «فردي، واهم، مفكك، وضعيف». هذه الجرأة من مميزات النقلة النوعية في أسلوب الطرح الفكري الجديد الذي قام به العودة. لن تكون مسألة التجديد ناعمة هادئة، إنها تحتاج إلى ثورة من داخل الفكر الإسلامي نفسه، إذ لا يمكن لغير الإسلاميين أن يجددوا الخطاب الإسلامي، بل يمكن لغير الإسلاميين أن يطرحوا الانتقادات التي يرونها ملائمة ومناسبة، والتي تُسهم في تنبيه الإسلاميين لخطابهم الديني المحتاج إلى تجديد. هذا التقاطع الذي يأتي بين الشيخ العودة وبين الليبراليين يجعل بعض الإسلاميين يشعرون بقشعريرة من هذا التوافق بين آراء العودة أحياناً وآراء الليبراليين، وهو تقاطع ليس مخططاً، بل هو في رأيي يجيء من منطلق الرؤية المدنية التي يمتاز بها خطاب العودة الجديد.

236 - المرجع السابق.

ج - فصل التجديد عن إرادة الحكومات

بعد الأحداث التي شهدها العالم جرّاء عودة التنظيمات الإسلامية المسلحة، طالبتْ الدول الكبرى بضرورة تعديل بعض المناهج التعليمية في المدارس والجامعات الإسلامية وتجديد الخطاب الديني. ويبدي العودة حساسية وتحذيراً من أن يتحوّل التجديد إلى استجابة عاجلة ضعيفة لما تطلبه الولايات المتحدة الأميركية، يقول في هذا الصدد: «تجديد الخطاب الديني يعتبر ضرورة، لكن ليس تجديد الخطاب الديني ليكون صدى لما تريده أميركا، ولا تجديد الخطاب الديني ليكون صدى لما تريده الحكومات العربية والإسلامية، ولا تجديد الخطاب الديني ليكون صدى لما يريده الليبراليون والعلمانيون، ولا تجديد الخطاب الديني ليكون صدى لما يريده الإسلاميون أيضاً، ولا لما يريده رجل الشارع العادي، ولكن تجديد الخطاب الديني لكي يكون استجابة لله ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: 24)، فتكون قراءة صحيحة للإسلام والقرآن والسنّة وقراءة واعية للواقع وقدرة على إيجاد الحلول المناسبة الشرعية لمشكلات الواقع، ولذلك أقول إنه لا مناص لنا من التجديد وإذا لم نؤمن بتجديد الخطاب الديني فأمامنا خياران، الأول هو الجمود

والجمود إطاحة بحق الحياة لأن الحياة حركة لا تعرف الجمود، والخيار الثاني هو الذوبان والذوبان إطاحة بحق الدين والشريعة. إذاً التجديد هو الذي يحافظ على حق الدين ويحافظ على حق الحياة في الوقت ذاته. ويحاول البعض أحياناً أن يحملوا الخطاب الديني ما لا يحتمل فأنت تجد إنه لما يتم تناول الخطاب الديني من زوايا متعددة البعض يحمل الخطاب الديني مسؤولية الإخفاق في الأمة، البعض يحمل الخطاب الديني مسؤولية عدم وجود مشاريع، أو إصلاح سياسي في العالم الإسلامي، وأنا أعتقد إن الخطاب الديني ليس هو المسؤول عن ذلك. نعم قد يكون الخطاب الديني لم يقم بدوره كما يجب وقد يكون الخطاب الديني وُظِّف أحياناً لمقاصد معينة دون أن يكون له شمولية، لكن ليس الخطاب الديني ولا يجب أن يحمل مسؤوليات وتبعات يقوم بها الآخرون»[237].

يعتبر العودة في طرحه لتجديد الخطاب الديني أن التجديد لا يمكن أن يأتي من الخارج، وإنما ينبع من ذات المجتمع ومن حركته داخل أسئلة العصر المقلقة، يقول: «إن حركة التجديد نفسها هي حركة ذاتية تنبعث من الداخل وليست تفرض من الخارج، هذا مبدأ مسلم به. أحداث سبتمبر (أيلول) بدون شك لها تأثير على نظرة الكثير من المسلمين، لكن لا يعني ذلك أن تجديد الخطاب الديني هو استجابة لما جرى بعد تلك الأحداث، الواقع بأن الإحساس

237 - المرجع السابق.

بأزمة في الخطاب الديني هو إحساس قديم، والكل يحس بأن هناك حاجة إلى نوع من الصياغة المناسبة والقوية التي تعتمد على مبادئ الشريعة وتستحضر متغيرات الواقع، إنما في أحيان كثيرة يصبح عند الناس نوع من الصعوبة، صعوبة أن يعالجوا بعض القضايا، فتأتي أحداث بإرادة الله سبحانه وتعالى وبقدرته تزيح الستار وتعطي الناس فرصة وإمكانية، ولذلك أقول إن تحديث الخطاب الديني الآن أو تجديد الخطاب الديني الآن ضروري أن يتم بأيدي علماء الإسلام ورجالات الإسلام ولعل هذا النقطة الأولى في قضية كيف نستطيع أن نطمئن إلى أن هناك تجديداً من ذات المجتمع الإسلامي ومن داخل الخطاب أو من خارجه أو مفروضاً عليه، فأقول هنا يجب أن يكون ذلك بأيدي إسلامية، بمعنى أن يكون المختصون الإسلاميون ولا أقول بالضرورة الفقهاء بحيث يفهم إن المقصود شريحة خاصة وإنما المختصون قد يكونون كثراً في جامعات إسلامية وأقسام شرعية ومراكز أبحاث وغيرها كثير منهم يملكون الوعي والقدرة والإمكانية والتصورات لإدارة عملية التحديث بطريقة صحيحة وسليمة، إذاً هذه قضية أساسية جداً أنه لا يسمح ولا يجوز أن يكون التحديث بواسطة أدوات، بواسطة أشخاص من خارج الإطار الإسلامي والخطاب الإسلامي نفسه»[238].

238 - المرجع السابق.

د - التجديد ليس محصوراً بالفقهاء

لم يحصر العودة التجديد بالفقهاء، بل التجديد يقوم به كل المتخصصين، كلٌّ في مجاله. حيث رأى أن: «التجديد يجب أن يكون بأيدي رجالات الإسلام وعن طريق المتخصصين الإسلاميين، ولا أقول بالضرورة: الفقهاء، وإنما المختصون على العموم، ويجب أن تكون أدوات هذا التجديد ووسائله داخلية تلمس مشاعره وتتحدث من داخل إطاره، وعلينا أن نتفق على الضرورات والقواعد الشرعية والمحكمات الدينية الثابتة، كما يسميها ابن تيمية (الدين الجامع). أما ماهية هذا التجديد فترتيبٌ لسلّم الأوليات وتنظيم للأهم والمقاصد الكبرى للعلم والدعوة والإصلاح واتفاق على ذلك وتسهيل تطبيق ذلك وتوجيهه في أرض الواقع، وإبراز لجانب القيم والأخلاق الإسلامية الإنسانية العامة التي يحتاج إليها الناس كلهم دون استثناء، وتطبيع قيم العدل التي يأمرنا بها الإسلام تجاه الخلق كلهم ومعاملة الناس كلهم

بالحسنى، قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: 83)، قال ابن عباس: (اليهودي والنصراني). والتجديد يعني العناية بالنظريات العامة في الإسلام مثل النظريات السياسية والاجتماعية والفقهية الفرعية والأصولية، ودعم المشاريع العلمية التي تصل تراث الأمة بهذا العصر وتضيف إليها تراكماً علمياً ومعرفياً.

والاهتمام بالمبادرات في الخطاب الشرعي والدعوي فالأمر قبل النهي، والأمر بالمعروف مقدم على النهي عن المنكر، والإصلاح ينفي الإفساد بالضرورة والعملة الجيدة تطرد العملة الرديئة -كما يقول الاقتصاديون-، فهذا الجهد يقوي عنصر «المزاحمة» في الفكر الإسلامي والخطاب الديني. إن على دعاة التجديد أن ينتقلوا من ضيق الرأي والمذهب والجماعة إلى سعة الشريعة مع أهمية هذه كلها في العلم الإسلامي والديني، ولكنني أدعو إلى الاعتصام بسعة الشريعة وبحبوحتها لتجديد الاجتهاد الإسلامى وتيسيره، يقول جل وعلا:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ (النساء: 83)[239]. يثور العودة في أحاديثه المتكررة على الجمود؛ إن نقد الجمود من أبرز خصائص خطاب سلمان العودة في برنامج «حجر الزاوية»، استطاع أن يمدد التجديد ليشمل تطبيقاته الفقهية هو عبر الفتاوى التي اعتبرها البعض خروجاً على السائد من أقوال السلف وأهل العلم، وهو ما سنقف على بعضها في الفقرة التالية.

---

239 - «تجديد الخطاب الديني»، مقال نشر في موقع «الإسلام اليوم» 29 أكتوبر (تشرين الأول) 2006.

هـ - آراء فقهية غير سائدة

طرح سلمان العودة في خطابه الجديد آراء كسر بها الجمود السائد. رأى أن: «السينما صناعة هائلة في الغرب وهي تستهدف الإسلام في كثير منها فقيام صناعة سينمائية تنصف الإسلام هو مطلب خير وأمر فيه خير»[240]. كما رأى أن الاحتفال بأعياد الميلاد مباح، وأن: «الشريعة جاءت بالمنع والحظر في الأشياء ذات البعد الديني، مثل عيد ديني محدد فهذا محرم بالتأكيد، أما الأشياء الدنيوية والعادات فالأصل فيها الإذن والسماح والتفويض إلا إذا اقترن بها ما يقتضي منع الاحتفال بها مثل التشبه. والاحتفالات التي لا تحمل بُعدا دينيا فالأصل فيها الإذن وليس المنع والأصل دائما أقوى»[241]. ورأى أن الإسبال المحرّم هو الإسبال المصحوب بخيلاء وأن علة تحريم الإسبال في الخيلاء[242]. كما دعا إلى أن يظلّ الخلاف حول معنى الحجاب في إطار الخلاف الفقهي حيث يقول عن قضية الحجاب: «يجب عدم تصعيدها، يجب أن تظل مسألة فقهية ويراعى فيها ظروف المجتمع، بمعنى أنه إذا كان الإنسان في مجتمع، إذا كانت البنت مثلاً في مجتمع يلتزم بالحجاب الشرعي بتغطية الوجه عليها أن تلتزم بتغطية الوجه من

240 - صحيفة المدينة، ملحق الرسالة 27 يناير (كانون الثاني) 2006.

241 - «العربية. نت»، 9 يناير (كانون الثاني) 2010.

242 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الاستطاعة»، بث في 1 أكتوبر (تشرين الأول) 2007.

أجل رعاية الناس وعدم إحداث مشكلة عندهم أو عدم القطيعة معهم أو ما أشبه ذلك من المفاسد، وإذا كان الإنسان بالعكس في مجتمع آخر وهذا الأمر غير مألوف فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها[243].

كما يكسر العودة التدين التقليدي المنتشر في المجتمع السعودي، حيث يُعرف «الملتزم» بأنه من أطلق لحيته وقصّر ثوبه، في سياق حديثه عن مفهوم التدين إذ يرى أننا: «بحاجة إلى تأكيد مفهوم التدين وأنه مفهوم واسع، بمعنى أنه من الخطأ ربط التدين ببعض المظاهر فقط، مثل أن التدين هو فقط إعفاء اللحية أو أن التدين فقط هو تقصير الثوب أو أن التدين هو مثلاً نمط معين مألوف في المجتمع وإن كانت هذه أشياء من الإسلام ومن السنّة ومن اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لكن التدين أوسع من ذلك، التدين أصلاً في القلب، يعني النية محلها القلب والتقوى ها هنا[244].

تلك نماذج سريعة من الاختيارات الفقهية، وهي اختيارات كثيرة، يهمنا منها ما يتصل بضرب المثال على المنهج الذي يتبعه العودة. هناك طرح جديد على المستوى الفقهي وعلى المستوى

243 - المرجع سابق.
244 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الاقتصاد»، بث في 3 أكتوبر (تشرين الأول) 2007.

الفكري. ذكرنا من قبل أن الاختيارات الفكرية للعودة ذات طابع مدني وإن انطلقت من منطلقات إسلامية، وهنا يتضح منحى التجديد الفقهي، أقلّه على مستوى قراءة النص وتجديد الاختيار الفقهي في المسائل التي اختلف عليها منذ القدم.

سادساً: الموقف من المرأة

أ- المرأة ليست قضية

ينفي الدكتور سلمان العودة وجود قضية اسمها قضية المرأة، كما أنه لا يوجد شيء اسمه قضية الرجل، وفي حلقة خصصها للمرأة من برنامج «حجر الزاوية»، نجده يقول: «ليس هناك قضية خاصة للمرأة. يبدو أننا محتاجون إلى نوع من هذا الحديث ولهذا لو قلت لك أننا غداً هل من الممكن أن نطرح أن يكون عنوان الحلقة الرجل لن يكون هذا الأمر سائغاً، لأنه سيقال ماذا سوف تعالجون في شأن الرجل؟ يبقى أنه من المهم جداً أن نشير إلى أن الحياة اليوم فيها قدر من الانفصال بين المرأة والرجل، بمعنى أن هناك أطرافاً عديدة تعمل على إيجاد توتر في العلاقة بين أفراد المجتمع وفئات المجتمع من المرأة ومن الرجل، ولذلك يحسن ويجمل أن نقول في مطلع حديثنا فكرة في أجمل عبارة يمكن أن أقولها

فوجدت أنه يمكن أن نقول إنه إذا كان الرجل هو عقل المجتمع وعقل الوجود والحياة فإن المرأة هي قلبه وهي روحه[245].

يريد أن ينبّه إلى أنه بتخصيصه حلقة خاصةً بالمرأة فإنه لا ينساق إلى الخطاب الإعلامي العام الذي يرى أن هناك قضية قائمة بذاتها اسمها «قضية المرأة»، بل يعتبر المرأة لديها قضايا ضمن إطار مسؤولياتها الاجتماعية، كما أن الرجل كذلك لديه مسؤوليات، وإن اختلفت في الشكل والمضمون.

في مجال آخر ينصف الأنوثة، ويجعلها محمدةً لا منقصةً، ويرى أنه: «في كثير من ثقافاتنا يعتبرون أن الأنوثة عار وقد يعيرون المرأة بأنوثتها أو يعيرون الرجل بالأنثى وهذا نقيض لما جاء به القرآن من تكريم المرأة ورفعتها ومكانتها الصريحة في القرآن الكريم ومشاركتها للرجل في مسؤوليته كما ذكرنا. وكثير منهم يختصرون المرأة في جسدها بل أحياناً في أجزاء معينة من جسدها فقط، كون المرأة ليست أهلاً مثلاً للمسؤولية ليست أهلاً للمشورة ليست أهلاً للعلم وكثيراً ما يتداولون في مجتمعنا كلمات أو أحاديث مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً: (لا تعلّموهن العلم ولا تعلّموهن الكتابة)، هذا ليس بصحيح، بل العلم

245 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «المرأة»، بث في 29 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

والكتابة فرض على المسلم ذكراً كان أو أنثى، أو كما ذكرت قضية أنها ليست أهلاً للرأي أو المشورة (شاوروهن واعصوهن)، كثيراً ما يتداول الناس مثل هذا الحديث ويعتبرون أن المرأة ليست أهلاً للشورى، بينما النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أمهات المؤمنين، وشاور أم سلمه وشاور خديجة كثيراً وكان يتكئ عليها في مكة كما هو معروف في السيرة النبوية، حتى إني أذكر أحد طلبة العلم مرة قال شعراً مشهوراً:

ما للنساء وللكتابة والرعاية والخطابة

هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة

فمثل هذه اللغة الركيكة التي تطيح بإنسانية المرأة واستقلاليتها وعقلها وثقافتها وروحها وتختصرها في هذا المعنى، لا شك أنها موجودة في بعض البيئات وتحتاج إلى نوع من التصحيح[246].

إذا أخذنا بالاعتبار الحالة القلقة التي تعيشها المرأة في السعودية، فإن ترسيخ مثل هذه المفاهيم وضخها في المجتمع محاولة ممتازة لاستئصال حالة الوأد المستمرة التي تعيشها المرأة، لهذا يعيد العودة الاعتبار إلى المرأة بوصفها روح الحياة،

246 - المرجع السابق.

ويعتبر الأنوثة التي ينتقصها بعض أفراد المجتمع ويراها صفة ضعف وخزي، ميزة من مميزات المرأة.

ب - نقد القسوة الاجتماعية

يتجاوز العودة الخطاب التقليدي الذي يتحدث عن أن المرأة معززة مكرّمة، فيفتح جرحاً أساسياً ينخر في صميم المجتمع، وهو خطأ ثقافي اختلطت مكوناته، من النظام الفقهي، إلى النظام القبَلي، دونما تبرئةٍ للسياسي، لهذا نراه يطرح نقداً ضرورياً حينما يقول: «في جانب ما يتعلق بالثقافة التي تزدري المرأة في الجانب الثاني الذي هو متعلق بالمعاملة، معاملة المرأة مثلاً، هناك الضرب وهذا موجود وكثير، هناك السب والشتم قد يسب الإنسان أمه والعياذ بالله أو أخته أو زوجته أو بنته ويتجرأ على ذلك. هناك مصادرة حق المرأة، الكثيرون يُزوجون المرأة بدون موافقتها وبدون رضاها، البنت مثلاً لابن عمها أو لابن خالها أو ما أشبه ذلك ويرون أن ليس لها حق وهذا لا يجوز في الشريعة، بل تصرف المرأة حتى في خصوصيتها هو حقها، في المال وغيره، فضلاً عن جسدها. قضية التسلط على المرأة وحرمانها من كثير من حقوقها، منعها مما يجب لها شرعاً. حتى النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمنعوا النساء من المساجد (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)، وهذا إشارة إلى أنه وإن كان ليس واجب عليها أن تذهب للمسجد إشارة أن للمرأة حقوقاً يجب أن تحفظ. الحجر

على النساء في كثير من الحالات وتأخير الزواج إما طمعاً في راتبها ووظيفتها أو لأنه يتحكم ويبحث وينتقي ويختار أو لأنها تخدمه في المنزل. العضل كما هو موجود. التزويج ممن لا يناسبها. إذاً هناك معاملات سيئة تخص المرأة في كثير من المجتمعات وهي بحاجة إلى تدارك وإصلاح[247].

الدوافع التي تجعل من مجتمع ما يحتقر المرأة كثيرة، منها ما هو قبَلي، ومنه ما هو فقهي، العودة يشير إلى ضرورة التنبه إلى تلك الأحاديث المكذوبة التي تحاول كسر مجاديف المرأة. بل رأى أن المرأة قد تكون قائدةً وأن هذا لا ينافي موضوع «القوامة»، الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: 34) إذ يقول العودة: «القيادة لا تقتصر على الرجل، بل كذلك المرأة، وأستشهد بما قدمته أمهات المؤمنين خديجة وعائشة رضي الله عنهما من مواقف قيادية مع النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته من علم وعقل وانضباط وصبر[248].

---

247 - المرجع السابق.

248 - صحيفة «الوطن» السعودية. 20 نوفمبر (تشرين الثاني) 2008. تغطية لمحاضرة «ليلة قائد» في: «مركز الأمير سلمان لبناء القادة».

ج - كلمة «تحرير» ليست مُلزمة

إذا كان الخطاب الإعلامي والصحافي قد ركّز على مصطلح: «تحرير المرأة»، وتبعه في هذا الخطاب الإسلامي الذي استخدم هذا المصطلح للتحذير من مؤامرة غامضة خفية لغرض تحرير المرأة وتحويلها إلى امرأة سافرة[249]، إلا أن العودة يرفض الخضوع المستمر لهذا المصلطح، فهو يرى أنه ليس مُلْزماً، يقول: «أقول كلمة تحرير لسنا ملزمين بها، لأن هذه الكلمة غامضة. تحرير المرأة من ماذا؟ وهذا أحد أجزاء المشكلة، لأن لما تقدم للناس مشروع غامض لا تتوقع أن الناس سوف يتقبلونه وهذه قضية أساسية جداً وهذا أحد أسباب مراوحة موضوع المرأة. يعني دائماً أقول المجتمعات الإسلامية بحاجة إلى التطمين، التطمين هذا ليس كلمات تقال، أنه اطمئنوا وكل شيء على ما يرام ولن يكون هناك شيء. لا، إنما التطمين يتم من خلال أنظمة واضحة وبرامج ومن خلال اتكاء واضح على المرجعية الشرعية الدينية، فأنا أدعو فعلاً إلى أن تتم معالجة قضية المرأة بأيد أمينة، ليس بالضرورة أن نقول بأيدي مشايخ أو بأيدي علماء، هؤلاء المشايخ والعلماء هم جزء من الحراك المفيد في المجتمع، لكن دائرة الإصلاح

---

249 - انظر مثلاً كتاب: قطب، محمد، واقعنا المعاصر (مطبوعات دار الشروق). فقد عقد فصلاً خاصاً بعنوان: «قضية المرأة».. وطبع هذا الفصل مستقلاً عن دار الوطن سنة 1990 باسم «قضية تحرير المرأة» وانتشر بشكل كبير في السعودية والخليج.

أوسع منهم، ولذلك نحن نقول ينبغي أن تكون بأيدٍ أمينة ومخلصة وتنطلق من منطلقات شرعية»[250].

د - جدل المساواة بين الرجل والمرأة

انتقدت الكثير من اللوائح الدولية التمييز بين الرجل والمرأة، وتطرق العودة في برنامج «حجر الزاوية» إلى هذا التمييز، مُعرّجاً في الوقت ذاته على مفهوم «المساواة» الذي أحدث جلبةً كبيرةً داخل الفقهاء والإسلاميين بعامة، لهذا نقرأ العودة بصراحة وهو يقول: «وثيقة الأمم المتحدة المتعلقة بالمرأة تتكلم عن المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة وهذه الوثيقة اعترضت عليها عدد من الدول الإسلامية كالسعودية ومصر وماليزيا وغيرها، لكن دعنا ننظر نظرة شرعية في مسألة التمييز، تمييز الإسلام ضد المرأة، بمعنى أنه يميّز لصالح الرجل، فأقول: وجدت النصوص الشرعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام. بعض النصوص تدل على المساواة وهذا هو الأصل، الأصل المساواة، ولهذا نقول كل نص في الشريعة لم يرد فيه تخصيص فالأصل فيه المساواة ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 228)، وهذا واضح وهذا واضح جداً، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

---

250 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «المرأة»، بث في 29 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

(النساء شقائق الرجال)، والشقيق معناها أخته. أقرب علاقة علاقة الأخوة. أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)، الأولاد يشمل الذكور والإناث ولذلك الأصل العدل بين الأولاد وبين البنات، إلا في ما ورد فيه نص شرعي. إذاً هذا نوع من النصوص. نوع آخر من النصوص فيه تمييز لصالح المرأة وليس تميزاً ضد المرأة، مثلاً الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ (الشورى: 49)، فبدأ بالإناث قبل الذكور، وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: إن الله تعالى بدء بالإناث رداً لما كان يعتقده الجاهلية من ازدراء الأنثى والحزن لميلادها فبدء الله تعالى بذكر الإناث، ولذلك كان الأمام أحمد إذا بُشِّر بالأنثى فرح وسُرّ، وقال: كان الأنبياء أولاد بنات، كان الأنبياء آباء بنات، كانوا آباء بنات، يعني يولد لهم البنات، كما جاء في القرآن الكريم. كذلك في القرآن الكريم ميّز الله المرأة في مواضع عديدة، لما ذكر الله تعالى الوصية بالوالدين، قال:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ (الأحقاف: 15)، ولم يأتِ ذكر للأب في هذه المناسبة، ولذلك قال العلماء إن البر بالأم أولى من الأب، وهذا مذهب جمهور العلماء. فالأم لها ثلاث حقوق والأب له حق واحد، وكان أحد الأطفال قبل أيام جالساً في مائدة الإفطار مع أبويه وهو يردد درساً تلقنه في المدرسة، يقول لأبويه معاً في الأول أمك ثم أمك

ثم أيضاً أمك بعدين أبوك، الأب كأنه تغير لذلك، يعني حتى في السياق نوع من الجحود، فقال الابن: أنت ما نشوفك إلا قليل، بينما الأم هي معنا على طول في المنزل. إذاً حق البر للأم له ثلاثة أسباب، فهي التي حملت وولدت وأرضعت، بينما هو للأب واحد فقط. أيضاً في القرآن الكريم تجد سورة النساء الكبرى لكن ما في سورة أسمها سورة الرجال، وفيه النساء الصغرى، وفيه سورة اسمها سورة مريم كما هو معروف، ومما ميز الإسلام به المرأة أيضاً قضية التخفيف في كثير من العبادات التي تجب على الرجل ولا تجب على المرأة، مثل الجهاد عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة، ومثل صلاة الجماعة لا تطالب بها المرأة، وإن كانت تجوز لها. وكثير من التخفيفات الشرعية خصت بها المرأة ولم يخص بها الرجل (...) المرأة تلبس الذهب والرجل لا يلبسه، المرأة تلبس الحرير والرجل لا يلبسه، ما يتعلق بألوان الزينة وغيرها للمرأة فيها باب وللرجل باب آخر على ما هو معروف. إذاً هذا القسم الثاني. القسم الثالث من النصوص هو ما يتعلق في التمييز للرجل فعلاً، مثل القوامة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: 34). مثل ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾ (البقرة: 228)، هنا أود أن أؤكد أخي أنه علينا أن لا نستحي، علينا أن لا نخجل، علينا أن لا نتصرف بحقائق ديننا تصرفاً غير مسؤول. الإسلام يعتبر الرجل مسؤولاً، يعتبر الرجل قوّاماً، ويعتبر للرجل درجة، ولهذا نقول جنس الرجال

في الجملة مفضل على جنس النساء، لكن ليس كل رجل أفضل من كل امرأة، لا بل قد يوجد من النساء من هي أفضل من كثير من الرجال، ومن يبلغ من الرجال مثلاً مبلغ آسية امرأة فرعون أو مريم أو خديجة أو فاطمة أو عائشة أو غيرهن، وحتى من النساء المعاصرات من مقامها مقام الآلاف من الرجال، لكن من حيث القاعدة العامة بدون شك هناك ترتيب في مسؤوليات. المسؤولية الأولى على الرجل، فالرجل قوّام سواءٌ أكان زوجاً أو كان أباً أو كان أخاً أكبر، وليس معنى القوامة مصادرة شخصية المرأة أو الإزراء بها أو فرض أشياء عليها أو الأخذ من حقوقها، فنحن نجد حتى في السنة النبوية حرية المرأة في السؤال، وأنا أعجب أنه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً تأتي امرأة مثل أم عمارة وتقول لسيد ولد أدم عليه الصلاة والسلام: (يا رسول الله لا نرى القرآن ينزل في النساء)، فينزل قوله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (الأحزاب: 35) إلى آخر الآيات. أو يقول النبي صلى الله عليه وسلم للنساء: (تصدقن فإني رأيتكم أكثر أهل النار)، فتقوم امرأة من وسط النساء وتقول يا رسول الله لماذا نحن كذلك؟ فيقول: (لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير)، أيضاً هند لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لها وهي تبايعه: (ولا يقتلن أولادهن) قالت: نحن ربيناهم صغارا وأنتم قتلتموهم كبارا، فكانت المرأة لها نوع من القيمة ونوع

من الاعتبار. أيضاً المرأة كانت صاحب موقف وصاحب قرار، مثلاً بريرة لما رفضت زوجها وهي كانت أمةً رقيقةً وجاء الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشفع، فيذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بريرة ليشفع لزوجها، فتقول: تأمرني يا رسول الله؟ قال: لا إنما أنا شافع. قالت: لا حاجة لي فيه. فردت شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي لو شفع بالدماء والأموال والأرواح لشُفِّع عند كل الناس، ومع ذلك أرادت بريرة أن تلقن النساء درساً، أن لا تقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الرجل الذي لا تريده، أيضاً الجارية التي جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم وقالت: إن أبي زوجني من ابن عمي وأنا لا أريده، فبيّن لها النبي صلى الله عليه وسلم أنه لها الحق أن تفسخه، فقالت: قد رضيته يا رسول الله لكن أردت أن تعلم النساء أن لهن في أنفسهن مشورةً ورأياً. فالقوامة والمسؤولية لا تعني مصادرة رأي المرأة وحقها، نعم الرجل أكثر مسؤولية كما ذكرنا، ولكن المرأة أيضاً لها حق ولها اعتبار[251].

في ذلك النص تتضح رؤية العودة لمسألة المساواة، حيث وضع التمايز بين الرجل والمرأة، في خانة التحليل الشرعي، وفق النص الديني والخيارات الفقهية التي يستند عليها، محاولاً

251 - المرجع السابق.

إيجاد قرائن تدل على أن الشريعة أعطت المرأة حقوقها، غير أن التقصير الثقافي والاجتماعي، هو الذي يحُدّ من قدرة المرأة على الحركة الواسعة في المجتمع، وفق النصوص التي وردت في الشريعة. موقف العودة يتسع ليشمل مستجدات وضرورات العصر التي تحتاجها المرأة، لكنه يؤسس كل تلك الضرورات وفق النصوص الشرعية التي يرجع إليها.

هـ - التكافؤ بين الرجل والمرأة

يستخدم العودة «التكافؤ» مفهوماً بديلاً للمساواة، ذلك أن الندية والتكافؤ قد نصّ عليهما القرآن. يقول: «بينما النظر إلى المرأة كإنسان، هناك ندية وهناك تكافؤ في القرآن الكريم في موضوع المرأة والرجل حتى أن لفظ الزوج في اللغة العربية يطلق على الذكر وعلى الأنثى، وهذه لغة القرآن الكريم، التي جاءت في النصوص الشرعية، أن الزوج يطلق على الرجل وعلى المرأة. مثلنا نحن نقول عروس وعريس. هذا خطأ لغوي، الصواب أنهم كلهم يُسمَّون «عروس»، الرجل والمرأة. فهنا مسألة التكافؤ لما يقول مثلاً: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ (المجادلة: 1)، المرأة هي التي جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم تشتكي من الذي حصل وأن الرجل قد ظاهر

منها وقال: أنتِ عليّ كظهر أمي، وتقول: «أشكو إلى الله أولاداً إن ضممتهم إليّ جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا». والفتوى لها من النبي عليه الصلاة والسلام، في البداية قال: «ما أراكِ إلا قد حرُمتِي عليه». هي انتقلت من خطاب الرسول عليه الصلاة والسلام للشكوى إلى الله. وفي نفس اللحظة ينزل الوحي. الله تعالى في سماواته يُنزل فورياً بشأن امرأة (قد سمع الله قول التي تجادلك). ليس فقط حوار وإنما جدال أيضاً، وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما، ثم يبيّن لها الحكم. ومراحل الكفارة الموجودة لتقوم هي بإيصال هذا الأمر إلى زوجها، حتى عملية الكفّارة، تدفع جزءًا من الكفّارة عن زوجها. هذا المستوى من التكافؤ في القرآن الكريم تجده في كثير من الأحيان غائباً[252].

سابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أ - مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الواقع الذي تكوّن داخله مفهوم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» متشابك ومعقّد، ذلك أن له جذوره الاجتماعية، والسياسية.

252 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

لهذا نجد تطبيقات هذا المفهوم وتفسيراته تتعدد وتختلف. وإذا كان المعتزلة يطبّقون هذا المفهوم على السلطان، فإننا نجد الحنابلة: «لا يرغبون في التصادم ولا التعاون معه، وأوضحت الفتاوى، من دون أدنى لبس، أنه ينبغي عدم استهداف السلطات بالنهي عن المنكر، على الرغم من منكراتها الكثيرة البيّنة للعيان. وصرّح ابن حنبل أنه ينبغي عدم التعرض للسلطان[253]. بمعنىً آخر، هناك عدة تأويلات لهذا المفهوم الكبير، الذي تعددت استخداماته على مرّ التاريخ، وأصبح بحق من المفاهيم الإشكالية، حيث تشترك الطوائف والمذاهب الإسلامية في الإيمان به لفظاً، وتختلف في تطبيقاته تفسيراً ومعنىً.

يُعرِّف العودة مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأنه: «هو كل ما عُرِف حسنه في الشرع والعقل، والمنكر هو كل ما عُرِفت نكارته وقبحه في الشرع والعقل، وبناءً على ذلك فإن كلمة المعروف كلمة تشمل كل ألوان الخير بلا استثناء، هذه قضية بسيطة ولكنها أساسية في هذا الموضوع، دعنا نؤكد أن هذه هي «حجر الزاوية» في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن المعروف ليس شيئاً خاصاً أو لوناً خاصاً، لأن الناس بطبيعتهم

253 - كوك، مايكل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترجمه د. رضوان السيد، ود.عبد الرحمن السالمي، ود.عمار الجلاصي (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، الطبعة الأولى، 9[illegible]).

يعيشون انتقائية في أفكارهم أحياناً، وفي ممارساتهم، فيفهمون بعض المعاني الشرعية فهماً مغلوطاً أو يقصرون المصطلح الشرعي على بعض أفراده، لو قارنا مثلاً بمصطلح الفقه، الفقه في الشريعة يعني العلم، يعني المعرفة، يعني الإيمان، يعني التطبيق، فهو مفهوم شامل، لكن في أذهاننا الآن أصبح الفقه هو معرفة الأحكام والحلال والحرام وأن هذا يجوز أو لا يجوز، فهذا يؤثر أحياناً حتى على فهم النصوص الشرعية»[254].

ب - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل العقائد

يرى العودة أيضاً أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «يشمل العقائد بالدرجة الأولى، يشمل ذلك الأحكام، يشمل ذلك الأخلاق الأساسية، يشمل ذلك كثيراً من الأصول والقواعد الكلية، ويشمل أيضاً ما أحالت فيه الشريعة على الفِطرة وعلى المصالح، فيدخل في المعروف أيضاً قضية سنن الفطرة وقضايا الفطرة، يدخل في المعروف المصالح، تحقيق المصالح سواء كانت مصالح دينية أو مصالح دنيوية، يدخل في المعروف البر والإحسان إلى الناس القريب والبعيد سواء كان إحساناً بالقول أو بالفعل، فيجب

254 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، بث في 6 أكتوبر (تشرين الأول) 2007.

أن نفهم حينما نسأل كلمة الأمر بالمعروف على وجهها الصحيح، لأن هذه القضية قضية تشمل الدين كله، كما قال ابن تيمية -رحمه الله-»[255].

ج - مفهوم الحسبة مختلف

يركّز العودة على ضرورة: «التفريق بين مصطلح الحسبة وبين مصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالحسبة فيها خصوصية، الحسبة هي مهمة أو وظيفة داخل المجتمع، يُحتسب على الأسواق مثلاً، ألا يقع فيها غشّ، يحتسب على الأسواق ألا يقع فيها خطأ مثلاً أو اعتداء أو انتهاك لحرمات الناس، الاحتساب على الموظفين، الاحتساب على كل فئات الناس، وهذا معروف من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إلى عهد عمر، وقد وضع عمر الشّفّاء كما ورد تحتسب على الأسواق وعلى كثير من الأعمال، فالمقصود إذاً أن المعروف هو كل ما كان مقبولاً مطلوباً سواء بالشرع أو بالمصلحة والواقع والمجتمع، وبضد ذلك فالمنكر هو كل ما طلب تركه، وكل ما رفضته الشريعة أو جاءت بإنكاره أو دلت الفطر على إنكاره أو دلت العقول على إنكاره أو كان فساداً أو منافياً للمصلحة أو منافياً للإحسان إلى الناس أو منافياً للبر»[256].

255 - المرجع السابق.
256 - المرجع السابق.

د- المنكر ليس مفهوماً أخلاقياً

ينفي العودة أن يكون المنكر مفهوماً أخلاقياً، حيث يقول: «المنكر أيضاً ليس مفهوماً خاصاً، مفهوماً أخلاقياً، البعض يظنون أن المعروف والمنكر خاص بالجوانب الأخلاقية، الجوانب السلوكية، والله إذا وجد مثلاً حالة خلوة محرّمة، اعتبر هذا منكراً وهو فعلاً منكر، لكن يجب أن نفهم أن المعروف والمنكر مفهومان شاملان بمعنى أن من المعروف أن يكون المسلمون متقاربين في ما بينهم، من المعروف أن يتواصوا بالحق والصبر، من المعروف أن يكونوا أمة قوية عزيزة منيعة الجانب، من المعروف أن يكونوا متفوقين اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وتقنياً، من المعروف أن يكونوا قادرين على إيصال رسالتهم بالقول والفعل إلى الآخرين، وبضد ذلك فإن من المنكر أن تشيع الفواحش بين الناس في بيوتهم أو أسواقهم أو مدارسهم أو منتدياتهم، ومن المنكر أيضاً أن يكون المجتمع فيه طبقية وتفاوت بين الغنى المفرط والفقر المفرط، من المنكر أن يكون المجتمع متخلفاً، من المنكر أن يكون المجتمع منشقاً على نفسه غارقاً في العصبيات والعنصريات والأحقاد والنزعات والمناطقية والإقليمية والطائفية، من المنكر ألا تصل حقوق الناس إليهم، حقوق الطفل، حقوق المرأة، حقوق المواطن، حقوق الكبير، حقوق الصغير»[257].

---

257 - المرجع السابق.

تلك العناصر تشرح المفهوم الفقهي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدى الشيخ العودة. لهذا فهو يحاول أن يحرر المفهوم

من عبء الممارسة، وأن يحوله إلى مفهوم اجتماعي مثمر على المستوى المدني، وأن لا يكون وسيلة لضرب المجتمع واستعباده. كما أنه يتجاوز الفهم الحنبلي القديم للمنكر بوصفه موضوعاً متعلقاً بالتجاوزات الأخلاقية، ليشمل الأخلاقيات المدنية والسلوكية.

هذا مع أن طيف المفهوم الحنبلي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيث استبعاد السلطان من خانة المساءلة، يبدو واضحاً في نصه حين يقول: «هنا في فرق مهم جداً لأن البعض يفهم الكلام بطريقة غير سليمة أيضاً أننا يجب أن نتحول إلى دراويش لا نميز بين الخطأ والصواب. لأ، ليس المقصود هذا، المقصود أن الإنسان من أجل أن ينتج ويعمل يحتاج إلى أن يكون معتدلاً في ملاحقتهم في النظر إلى الأخطاء. حتى الأخطاء مثلاً، أخطاء العامة، أخطاء السياسة، مثلاً لو أننا جلسنا نتحدث عن أخطاء السياسة وأخطاء القرارات التي ليست في مصلحة الأمة فنجد إنه ربما هذا يستغرق وقتنا كله ولكن بعدما ننتهي من كل هذا الجدل إذاً يأتي السؤال طيب ماذا صنعنا نحن؟»[258].

258 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «التصحيح»، بثت في 10 أكتوبر (تشرين الأول) 2005، مرجع سابق.

ثامناً: الخطاب المدني

أ - مفهوم المجتمع المدني

تكررت أكثر من 35 مرة كلمة: «المجتمع المدني[259]»، خلال السنوات الخمس في برنامج «حجر الزاوية»، ولا يطرح العودة هذا المفهوم بكل حمولته التي تشكّلت في الثقافة الأوروبية، وإنما يطرحه في السياق المحلي على أنه «المجتمع في المدينة»، وإلا فإن مفهوم المجتمع المدني يتطلب فضاءات علمانية لا يسمح لها فكر سلمان العودة الذي لم يبارح الدائرة الإسلامية، لهذا لا يمكننا اعتبار استخدام العودة المتكرر لها عبارة عن أسلمة للمفهوم، كما هو حال استخدام مفاهيم إنسانية ونظامية كثيرة، مثل: «الحرية،

259 - المعنى الأصلي للمفهوم هو «المجتمع السياسي» الذي يحكمه القانون تحت سلطة الدولة. لكن المعنى الأكثر شيوعاً هو تمييز المجتمع المدني عن الدولة، بوصفه مجالاً للمجموعات والجمعيات المستقلة مثل جمعيات رجال الأعمال وجماعات الضغط والأندية والعائلات ونحوها، أي أن المجتمع المدني يتكون مما أطلق عليه إدموند بيرك (1729-97 Edmund Burke) الجماعات أو الفصائل الصغيرة، Little Platoons. وبهذا المعنى يشير التمييز بين المجتمع المدني والدولة إلى الانقسام بين العام والخاص: فالمجتمع المدني يضم المؤسسات « الخاصة» المستقلة عن الحكومة والمنظمة من قبل الأفراد لتحقيق أهدافهم ومصالحهم. ومن ناحية أخرى، ميز هيغل (1770-1831 G.W.F.Hegel) المجتمع المدني ليس فقط عن الدولة بل أيضاً عن الأسرة. حيث رأى المجتمع المدني مجالاً، للأنانية العامة Universal Egoism ، حيث يضع الأفراد مصالحهم الخاصة قبل مصالح الآخرين، بينما تمثل الدولة والأسرة «الإيثار العام» و«الإيثار الخاص» على الترتيب. انظر كتاب «مفهوم الدولة»، لعبد الله العروي. المركز الثقافي العربي. الطبعة الأولى 2001. وانظر كتاب: الفلسفة السياسية عند هيغل. د.إمام عبد الفتاح إمام. دار التنوير. الطبعة الأولى 2007.

الدولة، النظام، المجتمع المفتوح». تلك المفاهيم لها ظروف تشكّل في المجتمعات الأوروبية، لكنها تستخدم في التداول العربي لغرض تبييئها كلٌ وفق الأيديولوجيا التي ينطلق منها.

يستخدم العودة مصطلح «المجتمع المدني»، بتفسيره العام «المجتمع في المدينة»، بدليل أنه يتحدث عن مجتمع مدينة النبي عليه الصلاة والسلام حيث يقول: «المجتمع المدني في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، يعني كان النبي صلى الله عليه وسلم هو مؤسس هذا المجتمع، وهو قائده، وهو مديره الأعلى، عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك هذا المجتمع كان فيه اليهود قبل أن ينكثوا العهود، وكان فيه الوثنيون الذين لم يدخلوا في الإسلام، وكان فيه المؤمنون الذين دخلوا في الإسلام ولكنهم ضعفاء الإيمان، ويصدر منهم تصرفات ليست مقبولة ويعاتبهم الله سبحانه وتعالى أحياناً، أو يعاتبهم الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل قصة الرجل الذي لقي امرأة في أقصى المدينة وأتى منها ما يأتي الرجل من امرأته إلا أنه لم يجامعها، مثل الرجل الذي شرب الخمر. قصص كثيرة جداً. كان فيه المنافقون الذين كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، كان فيه المؤمنون صادقو الإيمان، ومع ذلك يقع منهم ما يقع من الأخطاء، حتى مثلاً يقع من بعضهم أنه يعتدي على زوجته ويضربها فيصعد النبي صلى الله

عليه وسلم على المنبر وينهاهم عن ضرب النساء (لاَ تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ)، ويتكرر منهم الضرب فيخرج النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر: (لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ). هؤلاء ليسوا من الخيار: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي)، بل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو ذاته شخصياً يقول (وَاللَّهِ إِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ فِى كُلِّ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)، وفي الحديث الآخر (مائة مرة). إذاً تصور حياة ملائكية ما فيها أخطاء على صعيد البشر والأسر والمجتمعات والمؤسسات هذا تصور غير واقعي، ولا يسعفه التاريخ، ولا تسعفه نصوص الشريعة، ولا يمكن أن يحدث في المستقبل»[260].

فهو يعتبر أن مجتمع المدينة في عهد النبي كان يضم مختلف الممارسات، ولا يمكن أن يكون المجتمع المدني مبرأً من كل أشكال العيوب. في ذلك النص نعرف أنه يريد ربط كلمة «المدني» بالمدينة. كما يصرّح في مكانٍ آخر بأن: «كلمة المدنية هنا كلمة شائعة ومصطلحة وهي عبارة عن مصطلح شائع وهي تقريباً تشبه ما يعبر عنه أحياناً بالأهلي في بعض الحالات خصوصاً في المجتمعات الخليجية، وأعتقد أنها منسوبة إلى المدينة، المدينة التي يجتمع الناس فيها، تجتمع القبائل والشعوب والقرى من كل

260 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الأسلمة»، بث في 10 أكتوبر (تشرين الأول) 2006.

الأمصار، فهذه المدينة تسبك هؤلاء الناس وتمزجهم طبيعة المدينة، إنها توجد بين الناس روابط وعلاقات وتأثر بعضهم ببعض، تصنع تعايشاً بين الذين يسكنون فيها؛ ولهذا كان طابع المدينة دائماً أنه يتصف بالمدنية، نحن نقول مثلاً المدنية، نصف التصرفات الجميلة أو الحضارة بأنها نوع من المدنية، مدنية منسوبة إلى المدينة، يعني فيها رقي، فيها مراعاة لمشاعر الآخرين، أذواق الآخرين، عادة المدينة تتسم بالذوق، تتسم بالرقي، تتسم بالتفكير بالنظام؛ ولذلك الله سبحانه وتعالى اختار المدن للرسالات، يعني أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام في المدن كما هو معروف، ومنهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، بعثه الله تعالى في أم القرى مكة وهي مدينة وإن سميت قرية أو أم القرى إلا أنها في الواقع كانت مدينة، مدينة حافلة بالعمران وحافلة بالتجارة وحافلة بالسواح الذين يأتون إلى الحرم والحج والعمرة، حافلة بألوان من المناشط، ثم انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وكان من الطريف أنه كان اسمها يثرب فسماها النبي صلى الله عليه وسلم طابة وسماها المدينة، وأصبح الاسم الشائع لها المدينة المنورة، أو المدينة النبوية، فهذه المدينة على رغم وجود أصناف وأعراف من الناس، من العرب من اليهود من الأوس من الخزرج من المهاجرين من الأنصار، إلا أنه كان هناك تعاقد في ما بينهم واتفاق وتعاون في البيع

والشراء، النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً مات ودرعه مرهونة عند يهودي، الأوس والخزرج كان بينهم تنافس لكن كان بينهم تعاون، المهاجرون والأنصار أيضاً عمل النبي صلى الله عليه وسلم بينهم المؤاخاة، هذا طابع المدينة»[261].

يرى العودة أن: «المدني هو عبارة عن مجتمع المدينة بمواصفاته، بأخلاقياته، بمؤسساته»[262]، من هنا فإنه يدخل على المجتمع المدني من بوابة أخرى غير المفهوم الدارج في أوروبا، ومجتمعات القانون المدني.

ب - «سلاح» المجتمع المدني

يتطرق العودة إلى قصة تبيئة مفهوم المجتمع المدني، وكيف تقبّله العالم الإسلامي مع اختلاف الاستخدام والمعنى والظرف، حيث يقول: «المجتمع المدني هنا طُرح طبعاً في الغرب أول ما طُرح في أوروبا ولم يكن له وجود بهذا الاسم في الإسلام وإن كان الفقهاء يستخدمون لفظ مدني يقولون مثلاً: «الإنسان مدني بالطبع»، يعني يحب مخالطة الناس ويتعاون معهم،وهذه كلمة عند

261 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الديني والمدني»، بث في 6 سبتمبر (أيلول) 2007.
262 - المرجع سابق.

الفلاسفة تلقاها علماء المسلمين وأقروها، فهنا أُطلق مصطلح المدني في أوروبا في أزمنة بحسب الظرف الذي يُعاش، يعني تنوع الاستخدام، أحياناً يطلقونه في مواجهة الطغيان والاستبداد والفاشية، فإذا كان هناك حكومة طاغية مستبدة، الذين يحاولون أن يكسروا طغيانها أو استبدادها يتحدثون عن المجتمع المدني وضرورة وجود مجتمع مدني، يعني نقابات وجمعيات وأحزاب وتشكلات وأنشطة وروابط تجعل نشاط الناس منظماً بعضه إلى بعض، هذا حدث، وأحياناً في مواجهة القبيلة، الشيء الغريب أن كثيراً ممن طرحوا مصطلح المجتمع المدني كالإنجليز مثلاً أو غيرهم فيهم ناس كانوا شيوعيين طرحوا المجتمع المدني في مواجهة ما يسمونه استبداداً أو طغياناً أو فاشية، ثم قامت دول شيوعية كما حصل في بولندا مثلاً وصارت هذه الدول الشيوعية أو الشمولية تمارس أقسى ألوان الاستبداد والبطش وتحكم الناس بالحديد والنار كما هو معروف والمطرقة والمنجل، فصارت المعارضة تستخدم مصطلح «المجتمع المدني» للثورة على الشيوعية، وقامت الكنيسة التي يُفترض أنها دائماً هي مصدر استبداد أيضاً، أصبحت الكنيسة وهذا نتذكره جيداً في بولندا لما كان هناك مظاهرات وتضامن، كانت الكنيسة في صف هذا المجتمع المدني ضد طغيان الشيوعية في بولندا، وفي أكثر من بلد»[263].

263 - المرجع السابق.

العودة يرى أن التبيئة مكّنت كل تيار من ضخ أفكاره داخل مفهوم «المجتمع المدني»، وكلٌّ استخدم السياقات التي يريد، بل رأى أنه تحوّل إلى سلاح أحياناً للتعارض والملاسنات بين المتخاصمين من مختلف التيارات، فـ: «المجتمع المدني نستطيع أن نقول إنه أحياناً عبارة عن سلاح مثله مثل لما تقول الجامعة أو المدرسة أو المؤسسة يعني هذا محايد يمكن أن يستخدمه شيوعيون في مواجهة استبداد ويمكن أن يستخدمه مصلحون في مواجهة الشيوعية، ويمكن أن يستخدمه أي طرف في مواجهة طرف آخر، وهنا أؤكد على أنه جرت العادة عند كثير من الدارسين المسلمين والمثقفين بشكل عام أنه عندهم إما القبول الساذج أو الرفض المطلق لمثل هذه المصطلحات مع أنها فعلاً هي مصطلحات قد لا يكون لها عمق بذاتها، نعم في تاريخنا الإسلامي هناك مثلاً الأوقاف وهي عبارة عن جزء من مؤسسات المجتمع المدني، الأربطة، المناشط، دور العلماء... إلى غير ذلك، لكن هذا اللفظ ليس موجوداً مثله طبعاً لما تتكلم عن الديمقراطية أو تتكلم عن الانتخابات أو تتكلم عن كثير من المصطلحات السياسية المعاصرة، قد لا تكون موجودة تاريخياً وإسلامياً»[264].

264 - المرجع سابق.

ج - المجتمع المدني لا ينقض الدولة

يُطمئن العودة المتحسّسين من هذا المفهوم، ويستبعد خطره على جسم الدولة، إذ المجتمع المدني يدخل مع الدولة في حالة تكامل وترابط بين المفهومين، حينما يقول: «يجب أن يُفهم أن المجتمع المدني ليس نقيضاً للدولة أو أن قوة المجتمع المدني تعني ضعف الدولة، المجتمع المدني يُعزز دور الدولة في الواقع، وهو يقوم مثلاً بدور مساند لمؤسسات الدولة ولكنه يتخلص من البيروقراطية، فيه سهولة تنظيم جهود الناس، فيه أن الناس يشعرون بالانتماء إليه أكثر، سهولة الإجراءات، ومن هنا يكون المجتمع المدني في الواقع يُعزز دور الدولة ويُقويها، الناس إذا كانوا في فترة خوف مثلاً من الجريمة، خوف من الإرهاب تجد أنهم يميلون إلى دعم وتقوية ومساندة جانب الدولة حتى تحميهم من عدوهم، لكن إذا كانوا في فترة استقرار فإنه في الغالب يبدأون يُفكرون بحقوقهم وكيف يستطيعون أن يمارسوا حقوقهم بحرية ويفتعلوا بعض الأعمال التي لا تكون بالضرورة متصلة بالدولة، لها طابع الاستقلال ولكن أيضاً هذا لا يعني أنها ضد الدولة أو معارضة لها»[265].

265 - المرجع السابق.

نلمس في خطاب العودة معنى التصالح الإسلامي مع هذا المفهوم الذي قرأه البعض بتخوّف وارتجاف، وبخاصةٍ أن بعض الإسلاميين التقليديين عارضوا هذا التصالح. سليمان الخراشي يسخر من: تصالح أصحاب اللحى الليبرالية مع مفهوم المجتمع المدني حين يكتب عن «المجتمع المدني»: «الموضة الجديدة لأصحاب « اللحى الليبرالية التبشير «بالمجتمع المدني»، هو الموضة الجديدة على ألسنة وأقلام العلمانيين والعصرانيين من ذوي «اللحى الليبرالية». المجتمع المدني مخلف آخر من مخلفات و«استوكات» المجتمع الغربي العلماني المصدرة إلينا - كالعادة - ليتلقفها الأذناب ويروجوا لها تمهيدا لإدخال مجتمعاتنا ومسخها داخل المنظومة الغربية... فلا عجب أن يحتفي به «بنو علمان» من متبعي سنن من كان قبلنا حذو القذة بالقذة»[266].

من خلال مقارنتنا بين الموقفين نلمس الامتياز الذي اتخذه العودة في برنامجه عن الخطوط القديمة والتقليدية من المفاهيم الجديدة والمصطلحات الحديثة. والعودة لم ينس نقد ذلك الخطاب الرافض دائماً حين يقول: «قد تجد أن بعض الصالحين يستنكرون مصطلح المجتمع المدني دون أن يدركوا حتى من

266 - مقال لسليمان الخراشي بعنوان: المجتمع المدني الموضة الجديدة لأصحاب «اللحى الليبرالية». نشر في موقع «صيد الفوائد». من دون تاريخ.

الناحية الأصولية جانب الصواب وجانب الخطأ فيه، وإذا كان قليلاً فدعني أشير إشارة فقط إلى معنى شرعي في الموضوع، عندنا في الشرع حتى نؤكد أن الدولة حتى الدولة الإسلامية هي دولة في حقيقتها يصح أن يقال عنها أنها دولة مدنية بمعنى أن الدولة تعتمد على جهود الناس وعلى اجتهادهم، مثلاً دائرة المسكوت عنه في الشريعة «وسكت الله سبحانه وتعالى عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»، دائرة المسكوت عنه واضحة وكبيرة جداً مما ليس فيه أمر ولا نهي»[267]. فهو بعد أن طمأن الدولة أن المجتمع المدني لا ينقضها، راح يطمئن الإسلاميين أيضاً بأن هذا المفهوم له فائدته الاجتماعية على المجتمع المسلم. وإذا كان العودة قد استخدم هذا المفهوم وفق تعديلاته هو عليه، بما يتوافق مع النصوص والأصول الشرعية، فإن هذا بحد ذاته يعتبر تجاوزاً للموقف الرافض لكل المفاهيم الإنسانية الحديثة.

تاسعاً: المراجعات

أ - مفهوم المراجعات

تحدثت في بدايات هذه الرسالة عن ممارسة العودة لحالة المراجعة للذات، وفي هذه الفقرة نقرأ موقفه الفكري والفقهي من

267 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الديني والمدني»، بث في 6 سبتمبر (أيلول) 2007، مرجع سابق.

المراجعات، يعرّف المراجعات بأنها: «هي قدرة الإنسان الفرد أو الجماعة، أو الدولة أو الأمة على قراءة مسيرتها من جديد وتعديل الأخطاء والاستفادة من التجارب، هذا بالضبط ما نريده من المراجعات، وأجد أن البعض يجدون غضاضةً في المراجعات، وفي بعض الأحيان يقولون مراجعات وليس تراجعات، وفي نظري أن الخطب يسير لأن التراجع نفسه ليس عيباً، لماذا نفترض أن الأشياء التي عندنا أو استقرينا عليها حقائق مسلمة وأنه ينبغي أن نقاتل عليها حتى الموت»[268].

والعودة الذي تطارده أسئلة التراجع من قبل خصومه، يشرح التراجع بوصفه فضيلةً وتطوّراً فكرياً، بل يذهب إلى اعتبار التراجع مبرهناً على شجاعة فكرية، إذ يقول: «بل ينبغي أن ندرك أن قمة الشجاعة قدرة الإنسان على إعادة فحص الأعمال التي يعملها، التغيير كما قلنا هو سنة إلهية، والمراجعات كما قلنا هي جزء من التغيير ولكن ميزتها أنها أولا تغيير ذاتي لأننا دائما أذكياء ومتحمسون في دعوة الغير للمراجعات وإلى الرجوع وإلى التصحيح، لأن عندنا قناعة بأن كل ما هو عندنا فهو حق، لذلك نطلب من الآخرين أن يأتوا إلينا، وكذلك نعتقد أن تنفيذ أفكارنا هو الخطة الرشيدة للنهضة، لكن أن يكون عندنا مراجعة لذواتنا وأن

268 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «المراجعات»، بثت في 30 سبتمبر (أيلول) 2008.

يكون عندنا تغيير اختياري لأفكار معينة قد ألفناها وتعودنا عليها أظن أن هذا هو الشيء الذي ينبغي أن نتربى عليها، وأنت تعجب من أمّة تقرأ في كتابها ذم الله سبحانه وتعالى للتقليد والمقلدين والذين يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة، ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى التجديد وإلى التغيير الإيجابي وإلى المراجعة المستمرة، حتى يضرب المثل بنفسه صلى الله عليه وسلم ويقول: «إني لا أقسم على يمين فأرى غيرها خير منها إلا كفّرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»، فيجب أن يكون هؤلاء الناس هم أكثر الناس قدرة على المراجعة والتصحيح»[269].

ب - مراجعات الإسلاميين

يمتدح العودة محمد سرور زين العابدين على التعديلات التي قام بها، يقول: «محمد سرور في تقديري عمل لا أقول تعديلاً لكن تغييراً جوهرياً في كثير من مرئياته وتصوراته في مقابلته قبل شهور. وجدت فيه شخصاً آخر غير الشخص القديم الذي أعرفه تماماً في الحقيقة. صار يحمل رؤى أكثر انتماءً للأمة وأكثر انتماءً للتجربة. ولذلك تمنيت أن يملك فرصة أو أن يعبر عن الرؤى

269 - المرجع السابق.

الجديدة التي لديه، ليقارن بينها الناس من باب الإنصاف. ولكي لا يكون هناك مجموعات يُظنّ بأنها تنتمي إليه»[270].

وفي مجال الحديث عن المراجعات النقدية التي قامت بها بعض الحركات الإسلامية، فإن العودة يعتبر هذا التراجع هو تطوّر كونيّ وسنّة إلهية، يقول: «يمكن الاسم هذا اشتهر الآن بعد إعلان الجماعة الإسلامية في مصر مجموعة من المراجعات وهم أهدوا لي هذه الكتب، وبعد جاءت مراجعة مجموعة الجهاد وحول هذه القضية ثار جدل كبير جداً في موضوع المراجعات، أنا أومن أولاً بأن هذه المراجعات أولاً مراجعات حقيقية وأنها تطور فكري وأنها سنّة إلهية، وأننا يجب أن نرحب بها بغض النظر عن أي اعتبار آخر، رغم أن هذه المراجعات جاءت بعد سفك الدماء وبعد خسائر كبيرة على صعيد الأمة، ولكن أقول ينبغي أن نرحب بالمراجعة لأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ولأن إصرار القوم على هذا قد يدفع بالكثير للاقتداء بهم، لست أبداً مع هؤلاء الذين يقولون إن هذه المراجعات كانت وراءها ضغوط أمنية مع أنه فعلا دخول هؤلاء في السجن جعلهم يقرأون كثيراً وأعطاهم فراغ وفرصة للتفكير بدلا من أن يكونوا منشغلين بالتخطيط والعمل الميداني، وبالتالي وصلوا إلى هذه النتيجة التي ليست نتيجة ضغط

270 - من حوار أجريته مع سلمان العودة، في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010، مرجع سابق.

أمني، ولكن الضغط الذي عاشوا فيه أفاد في هذه القضية وجدت أن هناك من يحاول أن يقلل من شأن هذه المراجعات بحيث ينسبها إلى جهة معينة، رأيت أيمن الظواهري مثلا أصدر كتاباً طويلاً وقال إن هذه المراجعات تخدم السياسة الأميركية والإسرائيلية والأجهزة الأمنية وأعتقد أن هذه لغة بعيدة عن الموضوعية، ويجب أن نقصيها تجاه من يرغب في مراجعات حزب معين أو جماعة أو طريقة، لا ينبغي أن نبادر باتهامه بالخيانة وبأنه عميل وكأننا نريد من الناس أن يظلوا كما هم، هذه المراجعات في الواقع تحتوي العديد من الأفكار، لكنني أؤكد أن هذه المراجعات تحتاج بدورها إلى مراجعات. فهذا الذي نقدمه ينبغي ألا يتحول إلى أمر نتعصب له لأنه قد يكون أحيانا شيء من الاجتهاد أو تأثّر بظرف معين فيكون قابلاً للتصحيح»[271].

يعترض العودة على ربط تلك المراجعات بمشاريع خارجية، أو صفقات مع الحكومات، أو خيانة القضايا الإسلامية، على ما يشير أيمن الظواهري في مواقفه من المراجعات التي تقوم بها الحركات. يعتبر العودة أن المراجعات موقف فكري نقدي طبيعي، بل اعتبر العودة نفسه من «المتحوّلين» بالمعنى المجازي للكلمة

---

271 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «المراجعات»، بث في 30 سبتمبر (أيلول) 2008، مرجع سابق.

حينما شرح قصته باعتبارها طريقة تحوّل من طور إلى طور آخر، بينما طالب: «الإنسان الذي يريد من الناس أن يتغيروا عليه ألا يعتقد أنه هو أبو الهول راسخ لا يتحرك ولا يتغير، وإنما يجب أن يصنع هو أيضاً التغير في ذاته لأنه يحتاج إلى تكميل وتعديل كما يحتاج إلى تصويب وتصحيح»[272].

عاشراً: الحرية

أ - مفهوم الحرية

يشير العودة إلى الالتباس الحاصل في مفهوم الحرية، إذ يقول: «مفهوم الحرية فيه التباس، كثير من الناس الاسم هذا عندهم ربما يخدش أسماعهم بينما التطلع للحرية أجمعت الدراسات وأجمع المختصون على أنه فطرة بشرية وغريزة إنسانية وأنه جزء من إنسانية الإنسان»[273]. يبدأ العودة –كعادته حينما يستخدم مفهوماً عصرياً- بطمأنة المشاهد بأن الحرية ليست نقضياً للدين، يقول: «لا نظن أن الحرية هي نقيض الالتزام، التدين هو الحرية الحقيقية في الإسلام»[274]. يستمر في شرح

272 - برنامج «نقطة تحوّل» على mbc لقاء معه بثّ بتاريخ: 29 سبتمبر (أيلول) 2009.
273 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الحرية»، بثت في 2 أكتوبر (تشرين الأول) 2007.
274 - المرجع سابق.

المعنى: «المقصود بالحرية هو أن يتخلص الإنسان من الضغوط السلبية عليه من الآخرين، تتخلص من ضغوط الآخرين السلبية عليك، يعني المجتمع يمارس ضغطاً هذا ما بدأته في سؤالك المجتمع بطبيعته، الأهل، الوالدين، الأسرة تمارس على الإنسان توجيهاً معيناً أو ضغطاً معيناً، فيه جانب إيجابي، تعويد، تربية، تدريب، لكن فيه جانب سلبي أحياناً. السلطة تمارس أيضاً نوعاً من ذلك، فيه جانب تنظيمي، هو مطلوب، لكن قد يتعدى ذلك إلى أن يكون جانباً لمصادرة حق الفرد؛ ولذلك أقول دائماً إن السلطة مهمتها في أي مجتمع ليس منع الناس أن يعملوا أو وضع العقبات والعراقيل عنهم أن يعملوا، وإنما السلطة مهمتها تنظيم عمل الناس لئلا يدمر بعضهم بعضاً، أو يقضي بعضهم على بعض. فالسلطة مهمتها تحفيز الناس إلى العمل، المجتمع مهمته تحفيز الناس إلى العمل كما ذكرنا أكثر من مرة، تسهيل أن يكون هناك مؤسسات تقدم مصالح خدمات للناس، ليس بالضرورة أن تكون السلطات في أي بلد هي التي تتولى كل شيء أو الأفراد هم الذين يتولون كل شيء لكن هناك المنظمات الوسيطة منظمات المجتمع المدني التي يجب أن يكون هناك تسارع ومنح وهذا ربما يتعلق بما ذكرناه قبل قليل في موضوع الإصلاح. الإصلاح الإداري أن يكون هناك تسهيل وتشجيع للناس على أن يعملوا ضمن مجموعات، مؤسسات، أو جمعيات»[275]. فهو يعتبر الحرية جزءًا من الذات،

275 - المرجع السابق.

بمعنى أنها موقف ذاتي لتحرير النفس من القيود الاجتماعية أو النفسية. ويطرحها وفق الأصل الشرعي المعروف بتحرير الإنسان من العبودية للمخلوقات، فهو يطرح الحرية بطيفها العقائدي الذي يعني أن يتحرر الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد. هذا مع تقاطع بعض تفسيراته مع مفهوم الحرية بالمعنى الإنساني للكلمة[276].

ب - حرية التعبير

يتضامن العودة مع حرية التعبير بوصفها حقاً شرعياً، يقول: «من الحرية حرية التعبير على صعيد وزارات الإعلام في العالم الإسلامي مثلاً، أو حتى على صعيد سيادة السلطة نفسها، منح الناس قدراً من التعبير، التعبير ضمن أطر، ضمن حدود الشريعة، في طبيعة الحال ضمن حدود القيم التي يلتزم بها هذا المجتمع، لن يُسمح للإنسان مثلاً أن يفهم أن الحرية تعني الفوضى، الإنسان مضطر أن يلتزم حتى في نظام المرور، لا بد أن يلتزم فيه، أن يقف عند الإشارات أن يقف في المواقف المخصصة ألا يتجاوز في غير محل التجاوز، مضطر أن يلتزم بهذا النظام الإجرائي وإلا لن تقوم الحياة بغير ذلك، لكن فرق بين هذه الأنظمة التي من شأنها أن

276 - لقراءة تطور المفهوم من الناحية الفلسفية والفكرية يمكن مراجعة: العروي، عبدالله، مفهوم الحرية (بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة، 2002).

ترتب شؤون الحياة وتحافظ على وجود الناس المجتمع ليس ملكاً لي أو لك فقط وإنما لكل من يعيش فيه وبين أن تتحول هذه الأنظمة إلى أدوات لقمع الإنسان، يعني فرق بين إنسان ربما يتكلم يعتدي على حريات الأشخاص في الكلام أو يتكلم بما يسيء لذوق الناس أو يسيء للقيم والأخلاقيات في مقال، أو في جريدة، أو في قناة، وبين أن يتكلم الإنسان بنقد بناء ولو كان خطأ، يعني لا نشترط أن يكون صواباً ؛ لأنه كيف يُصحح لهذا الإنسان ؟ نستمع إليه ثم من المناقشة ينبثق النور ويمكن أن يكون هناك تصحيح. نحن نتذكر كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمنح أصحابه هذا الحق لما قال الرجل: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والهدى فأقِدني يعني: أعطني حقي. ولما قال الرجل يا محمد هذه قسمة ما أريد بها وجه الله أو اعدل يا محمد، أسرّها النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه وابتلعها وقال: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)»[277].

العودة لا يطرح حرية التعبير بشكل مطلق، فهو لا يعترف بوجود حرية مطلقة أصلاً، كما سنعرف في الفقرة التالية، وإنما يطالب السلطات في المجتمعات أن تتيح المجال للناس بأن يعبروا كيف شاءوا، لكن بطبيعة الحال هو يضع حرية التعبير في سياق القيد

---

277 - برنامج «حجر الزاوية»، حلقة «الحرية»، بث في 2 أكتوبر (تشرين الأول) 2007، مرجع سابق.

الشرعي والضوابط الدينية، لكنه مع التعبير في إطار الاختلاف المحمود داخل الجدل الإسلامي في الفقه أو المجتمع أو السياسة. وإذا كان العودة قد استدل على حرية التعبير بأصل شرعي كما تقدم فإن تلك الحرية مقيّدة عنده بما لا يخالف المسار الإسلامي للتعبير.

ج - الحرية المطلقة وهمٌ

حريتك لا يجب أن تكون على حساب الآخرين، بهذه العبارة يربط العودة بين الحرية الذاتية وعلاقتها بالآخر، لأن الحرية قد تكون سلطة على الآخر، ما لم تعترف أنت بحريته أيضاً، يقول: «لن تمنح حرية لفرد على حساب الآخرين، لكن هناك أمر لا يتعلق بحرية الآخرين، بل قد يتعلق بالنظام العام في أي بلد في العالم دعك من بلادنا الإسلامية حتى في البلاد الغربية ليس هناك حرية مطلقة وإنما هناك حرية مضبوطة ولو أن إنساناً مثلاً أساء إلى رمز من الرموز الوطنية في أي بلد لكان سبباً للمحاكمة. الآن نجد في بلاد العالم المتقدم في أمريكا في أوروبا محاكمات لأشخاص إذا أنكروا ما يسمى بـ «الهولوكست» المحرقة اليهودية مثلاً، فإذا أنكرها إنسان حوكم، وقد حوكم روجيه جارودي وحوكم مفكرون في هولندا وفي بريطانيا وفي أميركا وغيرها لمجرد أنهم قالوا رأياً تاريخياً، ليكن هذا الرأي خطأ.هذا يؤكد أنه لا يوجد

في أي مكان في العالم حرية مطلقة إنما أقول: هذه الكلمة أيضاً لا يجب أن تعني أنه لا يوجد حرية مطلقاً يوجد حرية ولكنها حرية مضبوطة بحقوق الآخرين ومضبوطة بالنظام العام في المجتمع بما في ذلك الالتزام بالشريعة التي هي نظام للمسلمين»[278].

يجعل العودة من توفر الحرية في المجتمع الإسلامي وسيلة لتجاوز حالة التخلف، والرقيّ في سلالم الإبداع، ولا يمكن تصوّر إبداعٍ علميٍ أو تنميةٍ حقيقةٍ من دون حريةٍ تمنح للفرد، لهذا: «الحريةً فيً الواقع هيً الإبداع، الحرية هيً الإنسانية، الحرية هي الإنتاج ما الذي جعل دولة مثل روسيا تملك مقومات وتملك ثروات وتملك قدرات وبشر ومع ذلك انهارت؟ وفي المقابل تجد أن المعسكر الغربي لا يزال يحتفظ بحيويته وقوته السبب الأساسي هو أنه يمنح شعبه حرية بينما في روسيا أصبح الناس يتطلعون إلى ما كان يسمى بالبرسترويكا وهي الإصلاح ثم الثورة ؛ لأنهم انفصلوا عن ذلك النظام فكانوا يتربّصون به الدوائر. الحرية تعني أن الإنسان يفكر، الحرية هي تعني حقي في الاختلاف معك وهذا موجود تاريخاً وإسلامياً أن يكون هناك آراء مختلفة آراء فقهية وآراء حياتية وآراء تربوية وآراء اجتماعية وأن يحفظ كل واحد منا حق الآخر في هذا الاختلاف»[279].

278 - المرجع السابق.
279 - المرجع السابق.

الحرية في خطاب العودة الجديد متجسداً في برنامج «حجر الزاوية» من المطالب الشرعية، وهي مرتبطة أساساً بحق شرعي وإلهي للإنسان، أن يعبر عن أفكاره وآرائه، وأن يتحرر من سلطات التقييد التي تحد من إبداعه، وإذا كان خطاب العودة الجديد الداعي إلى التنمية قد تحرر من قيود الماضي فإنه يدعو الآخرين إلى اللجوء للحرية بوصفها منتجاً للإبداع والتنمية.

الفصل الثالث

برنامج «حجر الزاوية»... قراءة في الشكل والأسلوب والمنهج

يثير برنامج «حجر الزاوية» في كل سنة الكثير من الجدل والحوار. استطاع أن يطرح نفسه طاولة حوار فضائية مع المجتمع، تحوّل إلى نافذة على المجتمع، إلى برنامج يجبر الصحافة على تغطية ما يطرح من خلاله، ويحرض الكتاب على التعليق والاستدراك أو النقد أو التأييد، وهذه هي معادلة البرنامج الناجح إعلامياً. وبخاصة أن الإحصائيات أثبتت أنه البرنامج الأكثر مشاهدةً في العالَم العربي[280]. وذلك لما يطرحه من قضايا متجددة ولدخوله في صلب القضايا التي تهمّ المجتمعات العربية والإسلامية.

سنقف على البرنامج من حيث الشكل والأسلوب والمنهج في الفصل الثالث والأخير من الرسالة.

أولاً: الإطار الشكلي والتأسيس للبرنامج

أ - الفكرة والبداية والتسمية

أفكار البرامج الفضائية غريبة، تتكوّن كما يتكوّن البشر، تبدأ صغيرة ثم تكبر، البرامج مثل الناس تصقلها التجارب، وينهض بها

280 - من حوار مع فهد السعوي مذيع برنامج «حجر الزاوية». موقع «الإسلام اليوم» 20 أغسطس (آب) 2009.

الزمن، هذا في حال كان البرنامج ناجحاً وكسب مشاهدةً وقبولاً بين الناس، حينها يكون صديقاً لهم يشاركهم لقمتهم ويدخل إلى بيوتهم وصالوناتهم العائلية. «حجر الزاوية» بدأ بسرعة في السنة الأولى، لهذا نلحظ في مادة السنة الأولى 2005 سرعة في طرح المادة العلمية، كما نقرأ بعض الفوضى في بعض الموضوعات المطروحة وهذا يعود إلى سرعة تأسيس البرنامج وقرب شهر رمضان حينها.

يتحدث العودة عن ظروف ولادة البرنامج فيقول: «كما تعرف قناة mbc وجميع القنوات العامة، كانوا في رمضان يبدأون بالتفكير في برنامج ديني، وفي العادة كان هذا البرنامج الديني يعتبر نوعاً من التكميل أو مواكبة الشهر ليس أكثر، ولذلك غالباً لا يتم التفكير فيه إلا في شعبان، وأحياناً في منتصف شعبان وكل هذا كان يحدث كل سنة في عدد من القنوات، وأذكر في تلك السنة ربما في الأسبوع الأول من شعبان، قالوا نريد برنامجاً دينياً لرمضان، يعني قالوا أن تول هذا البرنامج ورتبه كما تشاء، فاقترحت عليهم أن نجعل هذا البرنامج يومياً، ويكون بعد العصر، وقلت لهم: لنضع ثلاث شخصيات، بحيث أنه كل واحد يمسك عشرة أيام، وكان في ذهني آخذ أنا عشرة أيام والشيخ عائض القرني عشرة أيام والشيخ عبد الوهاب الطريري عشرة أيام أو نبحث عن شخص

آخر في حال الاعتذار. وافقوا هم من حيث المبدأ، لكنهم قالوا: يفضل أنه يصير عندك بشكل شخصي لاعتبارات خاصة. متعلقة بمنافسة بين القنوات مع بعضها في تلك السنة[281].

منذ تلك اللحظة صار العودة الضيف الدائم للبرنامج، مع أن المنافسة كانت حامية بينه وبين الدكتور عائض القرني، يقول العودة إن القرني: «وصل إلى حد تسجيل الدعاية، أذكر أنه ذهب لتسجيل الدعاية للبرنامج، بعد ذلك تم العدول، وأصبح البرنامج من نصيبي، وكنت متهيباً لأن الالتزام اليومي صعب، أولاً كونك يومياً في رمضان ملتزم هذا شيء، والشيء الثاني فكرة أنك ستقدم يومياً شيئاً جديد للناس، والإنسان ما جربها أيضا، ولكن استعنت بالله ووافقت، واعتبرت انها تجربة تستحق المغامرة، فطبعاً في تلك السنة ما كان هناك وقت للإعداد لبرنامج رمضان 1426هـ الموافق للعام 2005م فالموضوعات كانت متفرقة.[282].

«حجر الزاوية» هو اسم البرنامج، وقد سألتُه أثناء إعدادي لهذه الأطروحة عن استخدام الدعاة الإنجيليين لهذا الاسم في الدعوة، فردّ بأن: «حجر الزاوية اسم من عندي، والحق أن تسمية

281 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 25 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.
282 - المرجع السابق.

«حجر الزاوية» تعني الإشارة إلى الحديث النبوي الذي أشار إلى أن رجلاً بنى بناء فأتمه إلا موضع لبنة، وأن النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام، كان هو تلك اللبنة. نحن وظفنا هذا المعنى للعناية بالأساسيات والكليات والجوانب القيمية في حياة الفرد والجماعة»[283].

لم يتوقع العودة أن يستمر هذا البرنامج كل تلك السنوات، واختار التسمية بسرعة، لكنه ينفي أن يكون الاسم من اختيار القناة ذاتها، فيقول: «كلها كانت من اختياري «حجر الزاوية» و«الحياة كلمة». «حجر الزاوية» كان اختياره سريع فلم نكن نظن أنه سيستمر لمدة خمس سنوات، لكنه الاسم أصبح مقبولاً، ومعبراً، انه يتكلم عن نوع من البناء أولاً، والتأسيس والتركيز على الأشياء المشتركة، وكل هذه مقاصد بالنسبة لنا، يعني نحن ننحاز إلى الجانب الإيجابي في البرنامج»[284].

ب - القناة الحاضنة وجمهورها

كانت للشيخ العودة مواقف قوية في خطابه القديم ضد قناة mbc وقد أحيا خصومه ذلك الحديث القاسي عنها وتم وضعه

283 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.
284 - المرجع سابق.

على موقع «يوتيوب»، ورأى العودة أن موقفه من القناة قد تطوّر، وأصبح يرى أنها القناة المثلى لاحتضان البرنامج، يقول العودة معلقاً على نقده القديم للقناة: «النقد هذا قديم يعني له أكثر من عشرين سنة، ولم أسمعه أو أراه، وهو بالتأكيد مقطع صوتي. وأعتقد أن فكري تطور تجاهها، إنه بدلاً من أن تبحث عن الخيارات الخاصة، الخالصة. لا... أصلِح الخيارات الموجودة والقائمة، يعني في المؤسسة بشكل عام سواء كانت هذه المؤسسة إعلامية، أو سياسية، أو اقتصادية. فكرة أنك تصنع أنت مؤسستك الخاصة بك، والتي هي على شروطك، هذا خيار، والفكرة الثانية أن تستثمر المؤسسات الموجودة القائمة، بما فيها، وحاول أن تجعلها أفضل، هذا خيار آخر، أنا أرى أن الخيارين غير متناقضين لكن ينبغي أن يعملا معاً»[285].

يعزو العودة اختياره لهذه القناة تحديداً إلى الرعاية التي يحظى بها فيقول: «لم يكن هناك أي عقد ولا زال لا يوجد أي عقد مكتوب بيننا وبين القناة، ولا فيه شيء من الالتزام لا منا ولا منهم ولكن فيه التزام أدبي، أنه نحن رأينا انهم مهتمين بالبرنامج وبالذات الشيخ: وليد البراهيم، رئيس مجلس ادارة مجموعة أم بي سي، الذي هو مهتم بصفة شخصية. لما نشرت بعض الصحف

285 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 25 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.

عن نقل البرنامج لقناة الجزيرة اتصل بي وقال: ما هذه الأخبار؟ فأجبته: هذا مجرد كلام جرايد ولا أساس له من الصحة، فقال لي: لو تذهبون إلى تلفزيون السودان أو أي قناة ثانية، أنا وأسرتي سنتابع هذا البرنامج وجمهور البرنامج هذا سيبحث عنه في أي قناة كانت. ليس لأنه في mbc وإنما للبحث عن هذه اللغة وعن هذه الأفكار في أي قناة كانت»[286].

بعد أن قدّم العودة برامج عديدة، على قنوات المجد، وإقرأ، وجد أنه بحاجة إلى جمهور آخر، وبقراءة ذكية وجد أن قناة mbc لا تضم برنامجاً دينياً يتواءم مع جمهورها الذي ليست لديه انتماءات إسلامية أيديولوجية، وإنما هو جمهور معظمه من المسلمين العاديين، يحتاج إلى تعاليم تتعلق بالسلوك والأخلاق والآداب الدينية، يرى العودة أن «جمهور القناة كان بحاجة إلى جرعة دينية فوجد هذه الجرعة وذلك أن عدداً غير قليل من الأولاد والبنات يتواصلون مع البرنامج أو يتواصلون معنا. وهم أناس خارج جو الخطاب الديني، والاستثمار في هؤلاء هو استثمار في موقع أو ميدان جديد»[287].

من خصائص هذا الجمهور أنه غير موجّه مسبقاً بناءً على انتماء حزبي ضد شخص، وأنهم «يسمعون الكلام ويأخذونه

---

286 - المرجع السابق.
287 - المرجع السابق.

بمصداقية، تعرف من الناس من يسمع هذا الكلام فيأتيه ظل هذا المتحدث من هو؟ ما هو تاريخه؟ وماذا يقصد؟ وهذا القول الذي يقوله هناك من يخالفه فيه. فتوجد بعض المتحدثين عندهم إشكالات كثيرة جدا، تشوش على الإنسان»[288].

يرفض العودة أن يكون أسير برنامج يرتهنه لجمهورٍ واحد، وخلال رحلته الدعوية حاز على شعبية جارفة، يقول هو عن نفسه: «أنا لا أحب أن أكون مرتهناً لجمهور معين. ما كنت أحب أن يكون فيه جمهور، أنا نعم ينبغي أن أراعي مشاعر الناس وقدرتهم على الاستيعاب، لكن لا أكون مرهوناً لذلك، أو مرتهناً لهم. كنا حريصين على أن هذا البرنامج يخاطب شريحة أوسع، كنت أراهن على أنه نحن سنظفر بأناس كثيرين لا نكون نحن مرتهنين لهم ولا هم مرتهنين لنا، بمعنى أنهم هم تحولوا إلى مجرد أتباع لنا، هذا ليس مطلوباً، ولا أنا أقول ما يطلبه المستمعون، دون أن أعبر عن هدف تغييري أو فكرة، فهو الحقيقة يمكن أن تقول أن هذا «سر» أساسي في الموضوع. كيف تستطيع أنك توجد جمهور وتحافظ ولو بنسبة معينة على جمهور موجود عندك أصلاً وتقدم أفكار جديدة يتقبلها الناس»[289].

---

288 - المرجع السابق.
289 - المرجع السابق.

يبحث العودة من خلال نافذة mbc عن طريقة لإيجاد شريحة جديدة من المتابعين، وبنفس الوقت يقوم بتطوير الجمهور القديم»[290].

ج - اختيار المذيع

اختار العودة الأستاذ: فهد السعوي لتقديم برنامجه، ومن يتابع سير البرنامج الذي يبثّ مباشرةً يعرف أن بينهما من التفاهم الإعلامي، والتناغم، ما يكفي لإنجاح تجربة البرنامج، يقول العودة: «الأخ فهد السعوي خرج من تلفزيون القصيم، كان في برنامج غير مشهور، ولم يكن للأخ فهد حضور كبير في الإعلام ولكنه كان قريباً من الحديث عن البرنامج وبيني وبينه انسجام نفسي، فطرحت الفكرة عليه فوجدت أنه تحمس لها، والقناة لا يعرفون الاخ فهد طلبوا أننا نسجل حلقة، بحيث ان الحلقة تكون تجريبية، سجلنا حلقة وكانت عن موضوع الإسلام والحرية»[291].

فهد السعوي يعتبر قربه من أصل الفكرة التي يحملها البرنامج كانت الدافع وراء موافقته: «كان بيني والشيخ علاقة إعلامية بوصفي أدير الشركة التي تنفذ له بعض أعماله التلفزيونية ؛ كان

290 - المرجع السابق.
291 - المرجع السابق.

هذا بداية المعرفة الوطيدة به، وكنت تداولت معه فكرة الخروج ببرنامج تلفزيوني أسبوعي مباشر على قناة واسعة الانتشار، ونحن نتداول آلية ذلك جاء عرض من رئيس مجلس إدارة مجموعة mbc الشيخ وليد البراهيم لحضور يومي للشيخ في رمضان عام 2005؛ فكانت البداية، وكان أن ترافقت معه في البرنامج، ربما لقربي من أصل الفكرة التي كنا نعمل عليها»[292].

الانسجام بين المذيع والضيف في برنامج يعتمد على الحوار الشبيه بالإلقاء يحتاج إلى معجزة لينجح. هناك تفاهم أساسي بين السعوي والعودة مكّن المشاهد من الاقتناع بوقار البرنامج. يعتبر العودة انسجام المذيع معه بأنه «خلطة سريّة» فيقول: «هذه خلطة سرية، قوامها الانسجام النفسي والفكري بيننا، والحوارات هي نتاج ذلك الانسجام، والذي يحدث أنني أفكر في الحلقة وأقرأ حولها، وهو من جهته يفكر ويقرأ ويتابع ما ينشر في الموقع الإلكتروني أو رسائل الجوال، ثم نتحاور حول الحلقة قبل بدايتها ولو على طاولة الاستديو وأحياناً نفضل أن يستقل كل منا بما لديه وندع لسياق البرنامج أن ينسق الأفكار»[293].

---

292 - من حوار أجريته مع المذيع: فهد السعوي. في 1 مايو (أيار) 2010.
293 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

يعزو السعوي كل هذا النجاح في إدارة البرنامج اليوميّ إلى انسجام نفسي، يقول: «لدينا رصيد مميز من الانسجام النفسي، والكثير من التوافق في الخط الفكري والمنهجي، وهو كفيل بصنع مثل هذا التفاهم. وهكذا أصبح كلاً منا كتاباً مفتوحاً للآخر، أعرف ما يدور بفكر الشيخ من عينيه أثناء الحوار وهو يدرك انطباعي منهما كذلك، والنتيجة أننا وصلنا –وهذا مما أعتز به– لما أعتقد أنه أقصى درجات التفاهم ما بين شريكي طاولة حوار تلفزيوني»[294].

بمعنى آخر؛ كان اختيار المذيع ضرورياً لإثبات أسلوب الحوار في البرنامج، ليتجاوز العودة طرق الإلقاء والسرد المتبعة لدى بعض الدعاة. يقول الشيخ العودة: «لأني جربت أن الحوار يجعل الجمهور حاضراً أكثر، لأنه برنامج هدفنا أن يكون جماهيرياً. فالجمهور يعتبر كأن المذيع محامٍ عنه. وخاصة أن المذيع عنده القدرة على قراءة أفكار الجمهور، ومن خلال الموقع الإلكتروني للبرنامج وفيه مداخلات للجمهور»[295].

294 - من حوار أجريته مع المذيع فهد السعوي في 1 مايو (أيار) 2010، مرجع سابق.
295 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 25 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.

ثانياً: أسلوب البرنامج وطريقة إدارته

أ - اختيار الموضوع

من خلال الاطلاع على الموضوعات المطروحة في برنامج «حجر الزاوية» (2005-2009) نعثر على تنوّع المادة، من الجانب الفقهي، إلى الجانب الاجتماعي، مروراً بالجوانب التربوية والسياسية، بعض الموضوعات تتجدد، وتطرح أكثر من مرة، وبما أننا كنا تطرقنا في الفصل الثاني إلى تفاصيل محتوى المطروح في البرنامج من حيث المعنى، فإننا هنا نتطرق إلى تفاصيل اختيار الموضوعات، وطريقة إدارة البرنامج، وأسلوب التفاعل مع المشاهدين.

تطوّرت طريقة اختيار الموضوع، في سنة 2005 يعترف العودة أن سرعة الاعتماد للبرنامج وقرب حلول شهر رمضان جعله يختار الموضوعات بشكل سريع، وبخاصةٍ أن البرنامج لم يكن مخططاً له أن يستمرّ لسنوات لاحقة، يقول العودة: «اكتشفنا أن البرنامج صنع جمهوراً متراكماً، هناك أسرٌ بأكملها تشاهده، ويعتبرونه جزءًا من الجو الرمضاني، والجدول اليومي، وما مضى نصف الشهر إلا وأحسسنا بأن التجربة حققت مستوى جيداً. ولذلك طلبت منا

القناة المواصلة على طول السنة»[296]. يعتبر العودة أن: «أول سنة-كما قلت- كان البرنامج مفاجئاً لي، واخترت كماً هائلاً من الموضوعات، وأفكار وخواطر، فاخترت منها ثلاثين موضوعاً ما بين موضوعات تربوية، وموضوعات دعوية، في أول سنة»[297].

هذا كان في السنة الأولى، غير أن آلية الإعداد تطورت في السنوات (2006-2009) حيث صار الجمهور يشارك في الاختيار والإعداد للموضوعات، بل ويساهم في حذف بعض الموضوعات وإضافة موضوعٍ آخر، يقول العودة عن هذا التفاعل الإيجابي بين البرنامج وبين الجمهور في آلية الإعداد: «تقريباً اخترنا ستين موضوعاً واختاروا هم مني ثلاثين اختارها الجمهور في الموقع الالكتروني، بعد ذلك أصبحنا نعد للموضوع؛ إعداد الموضوعات أصبح يأخذ منا وقتاً، آخر سنة (2009) حضرنا للحلقات خلال ستة أشهر، بدأنا في الأفكار، وعرضتها، وناقشها الإخوان وعقدوا جلسات وورش عمل، ومن ثم تم اختيار الموضوعات، قبل رمضان بشهر بل أكثر من شهر كانت الموضوعات جاهزة، وكل موضوع أعدّ عنه تقريراً»[298].

296 - المرجع السابق.
297 - المرجع السابق.
298 - المرجع السابق.

يشترك المذيع فهد السعوي في صياغة الموضوعات مع الشيخ سلمان العودة، ويصف حالة الإعداد فيقول: «يبدأ العمل عبر لقاءات ثنائية ما بيني والشيخ لاستحضار الخطوط الأساسية للتفكير، ثم ننقل ذلك مكتوباً لعموم فريق العمل الذي يتجاوز العشرين ما بين استشاريين أو أعضاء في فريق الإعداد أو مشرفين على روابط مشاركات الموقع الإلكتروني، نستجمع رؤاهم ثم تبدأ مرحلة التصفية للوصول للفكرة المحددة وهذه تعتمد بصورة أساسية على الثنائي الشيخ وأنا وبحضور فاعل من الفريق الاستشاري للبرنامج، تمتد هذه الخطوة إلى شهرين، نصل بعدها إلى تحديد واضح للخط الأساسي للبرنامج في سنته تلك بمحاوره الأساسية ومستهدفاته ثم نحيل الملف لفريق الإعداد الذي يتولى التحضير على مدى شهرين آخرين لما تم الاتفاق عليه، يعرض فريق الإعداد كامل الملف بعد إنهائه على الشيخ، ثم ننتهي إلى المرحلة النهائية، نجلس فيها أنا والشيخ لتسمية الحلقات بشكلها النهائي ومحاورها التفصيلية ؛ وهذه عادةً ما تكون قبل رمضان بشهر ونصف. ينتقل بعدها العمل إلى حيث الفريق الفني الموكل له صناعة التقارير التلفزيونية للبرنامج، حيث أتولى الإشراف على عمله بدءًا من انتهائنا من تسمية الحلقات إلى أول يوم من شهر رمضان، ويستغرق العمل هنا شهراً ونصفاً تقريباً»[299].

299 - من حوار أجريته مع المذيع: فهد السعوي في 1 مايو (أيار) 2010، مرجع سابق.

بعض المتابعين للبرنامج يظنّون للوهلة الأولى، أن ثمة تكراراً في الموضوعات المطروحة، غير أن التكرار بمعنى تناول الموضوع بنفس الطريقة لمرتين متتاليتين لم أجده في البرنامج من خلال قراءتي له منذ (2005-2009). بعض العناوين تتكرر؛ مثلاً نجده في سنة 2005 خصّ المرأة بحلقة اسمها «المرأة» وفي سنة 2009 خصها بحلقة اسمها «فقه المرأة»، وفي 2008 خصها بحلقة اسمها «المرأة والعمل». فيما بعد أصبح يتناول شأن المرأة من أبواب تختلف، فتارةً يتطرق إليها عن طريق حلقة «أحكام أسرية» 2008 أو «فوضى التقنية المنزلية» 2008 أو «الإنجاب» 2009.

السعوي في معرض حديثه عن التكرار قال: «التكرار في موضوعات برنامجنا لا يتجاوز 5% على العموم، وهي نسبة متدنية لبرنامج يدخل سنته السادسة، وهو عموماً أمر مقصود لذاته وليس حيرة لعدم توفر البديل أو اضطراباً في التنظيم، فحلقة مثلاً عن الحُب تطرح عام 2006، يعاد طرحها ربما في عام 2011 لكن بالتأكيد وفق منظار آخر استجد معنا كأفق جديد، وهذا – البحث عن التطوير والتماس أي رؤية جديدة حتى لو كانت حول موضوع مطروق - أحد أسرار استمرارية نجاح البرنامج. إضافة لما تقتضيه ضرورة التغيرات والمستجدات على أرض الواقع من تناول موضوع سبق تناوله كالمواضيع المتعلقة بأحداث راهنة»(300).

300 - المرجع السابق.

يأخذ التكرار شكل التجديد لأن تناول الموضوع لا يمكن أن يكون متكرراً بنفس النتائج والمعلومات، هناك مسافة زمنية تستجد خلالها بعض الأحداث أو الظروف، الأمر الذي يجعل من تكرار طرح الموضوع بطريقة مختلفة سيضيف جديداً، كما هو الشأن أثناء تناول مسائل الإرهاب، أو بعض القضايا السياسية أو الدولية أو الاجتماعية.

بثّت قناة mbc تقريراً عن كواليس إعداد الموضوعات للبرنامج، وهو تقرير يوضح صورة الحوار بين فهد السعوي وسلمان العودة قبل الدخول إلى الاستديو، تتّضح في التقرير حالة الاستنفار بينهما لغرض إشباع الموضوع وإعطائه قدره من الطرح والتناول[301]، اعتبر السعوي أن ذلك التقرير: «كان المقطع لكواليس «حجر الزاوية» الرمضاني، وفي رمضان نجتمع بمعدل ثلاث ساعات يومياً ؛ ساعة قبل البرنامج مباشرة لتداول أطر الحوار للحلقة حيث أعرض للنقاط التي أرغب الحوار حولها ويبادلني الشيخ رؤاه حولها والإضافة عليها، وأحيانا نكتفي في هذه الساعة بحوار عام حول أصل الفكرة ونترك تداعي الحوار التفصيلي لسياق الحلقة معتمدين على إطار التفاهم المشترك

301 - لمشاهدة التقرير كاملاً على هذا الرابط:
.http://www.youtube.com/watch?v=Kzn8aKagaSs

الحاضر دائماً. وهناك ساعتان تتوزع على بقية أوقات اليوم نتداول فيها ردود الأفعال ونلتقي فيها بعض أعضاء فريق الإعداد»[302].

ب - المواقع التفاعلية

استطاعت أدوات التفاعل عبر الانترنت أن تحوّل الجمهور إلى جزء فاعل يساهم في رسم استراتيجية البرنامج، عبر وسائل متعددة. يرى السعوي أنه: « منذ بدء أولى حلقات «حجر الزاوية» كان للبرنامج منتدى إلكتروني تفاعلي مصاحب، ومع أولى الدورات البرامجية للحياة كلمة تحول المنتدى إلى موقع متكامل ما زلنا نخضعه للرؤى التنفيذية التطويرية ما بين حين لآخر. التجربة جاءت ثرية على المسار التفاعلي المستهدف؛ حيث توجت مسيرة الموقع الإلكتروني بعدد جيد من المتفاعلين معنا طوال الأسبوع كأصدقاء وصديقات للبرنامج يتوجون صداقتهم تلك عبر إثراء خط التواصل ما بيننا وبينهم، رؤىً ومقترحات ومحاور نقاش، غالباً ما تكون حاضرة معي أثناء إدارة الحوار مع الشيخ»[303].

302 - من حوار أجريته مع المذيع: فهد السعوي. في 1 مايو (أيار) 2010، مرجع سابق.
303 - المرجع السابق.

حالة التفاعل هذه يفسرها العودة على أنها آلية لقياس رجع صدى البرنامج على الناس، أن يستشفّ أثر البرنامج عليهم، كيف يقع منهم موقعاً سيئاً أو جيداً. يقول: «ونحاول أن نطور أنفسنا عبر المواقع الإلكترونية، ورسائل نصية طورناها وفعلناها. زد على ذلك أن البرنامج حولناه مع الوقت إلى برنامج له بعد اجتماعي، من خلال زيارة المؤسسات الخيرية، صحية وشبابية، بيئية واجتماعية، دعمها بتقرير أو دعمها مادياً أيضاً. وفيه فكرة أننا في المستقبل أيضاً يكون لنا نشاط اجتماعي بحيث انه يمكن نُلقي حلقة والتي تليها تخصص لرجع الصدى، تفاعل الناس ووجهة نظرهم... عندنا هذه الفكرة»[304].

تجاوز «حجر الزاوية» كونه مجرد برنامج، تحوّل إلى مستوى إرشاد، إلى فضاء شكّل نمطاً من أنماط الدعوة الجديدة والحديثة، استطاع العودة أن يستمثر جماهيريته بنشر آرائه في البرنامج وخارجه، يصف السعوي فائدة الرسائل النصيّة فيقول: «استحدث البرنامج في عام 2009 خدمة الرسائل النصية القصيرة؛ حيث نستقبل من خلالها المئات من الرسائل من عديد الدول التي تصلهم الخدمة، تأتي الرسائل محملة بالمقترحات والأسئلة فأطرح ما يخص الحلقة منها في حينه أما ما يمثل استفتاءات

---

304 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 25 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.

أو استشارات عامة فإنه يحال مباشرة إلى لجنة شرعية شكلت خصيصاً من أجل هذا الغرض يشرف عليها فضيلة الشيخ سلمان نفسه، حيث يتم الرد على استفتاء المرسل أو سؤاله عبر جواله مباشرة»[305].

يرفض السعوي أن يتم قطع اتصال المشارك أو مقاطعته، وينفي وجود إحراجات أو عبارات جارحة يتلفظ بها المتصلون، بل يرى أن فتح المجال للجميع هو أسلوب البرنامج فيقول: «أنا لا أقطع اتصالاً أو أقاطع متصلاً ما لم يصل مرحلة الإساءة المباشرة لشخص أو جهة، ويمكنني القول هنا إنه استناداً إلى شخصية الشيخ وثقتي بها فليس هناك اتصال محرج يفرض عليّ تعاملاً مغايراً»[306].

لم يحصر العودة حالة التفاعل مع الجمهور بالأدوات التقنية التي يوفرها البرنامج، فلديه قناعة أن التفاعل أسلوب وسلوك وطريقة ترتبط باللغة وأدوات الطرح، يقول عن أسلوبه هو أنه أسلوب تفاعلي أساساً: «فالرسالة الإعلامية تفاعلية، وليست من طرف واحد، قد يكون تكويني يناسبهم، بالنظر إلى لغتي السهلة

305 - من حوار أجريته مع المذيع: فهد السعوي. في 1 مايو (أيار) 2010، مرجع سابق.
306 - المرجع السابق.

المباشرة، وكذلك طريقة تفكيري فهي أقرب إلى العفوية والسهولة منها إلى التعقيد، وأمر ثالث هو أن من طبعي التجدد والتطوير في معلوماتي وأفكاري بحيث أقرأ دوماً كل جديد، وأعرف كيف يفكر الناس وما هي مستجدات حياتهم، وكثير من الشباب يعجبهم أن يسمعوا لإنسان يعرف لغتهم ويتسلل إلى أسرارهم ويحيط بمشكلاتهم، ولا يتعالى عليهم، فالسن والتجربة جعلتني أميل إلى البسطاء والعاديين من الناس، وأحترم الكبار أيضاً وأتعامل معهم بما يليق بمقامهم، وهو قبل ذلك وبعده توفيق من الله، لأنه أعطاني دوراً مرضياً أقوم به وأحس بأن الذين يشاركونني فيه قليل، ومنح أولئك المستمعين فرصة لحديث يناسبهم ويستجيب لتطلعاتهم»[307].

يستجيب العودة للتفاعل مع الجمهور من خلال التقنية، ويتواصل مع الجماهير بجواله الخاص كما تقدّم، ولكنه يطرح أيضاً أسلوبه العفوي والمباشر والمتنوّع، إنه أسلوب تفاعلي يتجاوب مع مختلف شرائح المسلمين، ذلك أن البرنامج لا يستهدف تياراً أو حزباً، بل هو برنامج يوجهه العودة للمسلمين عامة.

307 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

ج - حالة الحوار في البرنامج

إذا كان خطاب سلمان العودة القديم يعتمد على التحريض بحيث يتحوّل من يسمعه إلى مجنّد لفكرته، فإنه وفي خطابه الجديد يبحث عن المستمع المسترخي، يقول: «يقولون أنا مجرد ما أراك أشعر بطمأنينة، والملامح تعبر عن المصداقية. كما قال لي واحد منهم: أنا أشاهدك وأنا مسترخي. هذا هو الذي يتناسب معي. لأني أرى أن ما نحتاجه ليس فقط في خطابنا الديني، وإنما حتى في مجتمعنا، أن نتحدث بعيداً عن التكلف وعن التوقر الزائد وعن التوتر، سواء في التلقي أو في الإرسال، والأداء. فهذا الذي كنا نهدف إليه»[308].

السعوي يعتبر «حجر الزاوية» يعبّر عن الحياة، ويضع ضمن أهداف البرنامج إرساء ثقافة متوازنة: «البرنامج حوار ذو نفس طويل لإرساء نهج متوازن لخطاب ديني يعايش الحياة بكل معانيها وأطرها ومستوياتها على نحو لم يكن من قبل، ولذا فأنا فيه أطرح محاور أتكامل فيها مع الشيخ لا سؤالاً أنتظر إجابته ثم أنتقل لسؤال آخر يتلوه أودعته من قبل ورقةً أمامي»[309]، لكنه يستثني من هذا

308 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 25 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.
309 - من حوار أجريته مع المذيع: فهد السعوي في 1 مايو (أيار) 2010، مرجع سابق.

الأسلوب الحواري الاستطرادات الشرعية، أو الفتاوى، يقول: «في الأسئلة الشرعية لا يحدث هذا على الإطلاق»[310]. لا يحدث أن يتحوّل المذيع إلى محرض للشيخ على جواب محدد، بل يتركه يجيب وفق رأيه الشرعي في تلك المسألة حينما تكون مرتبطة بالفتاوى.

ينقسم الطرح في برنامج «حجر الزاوية» إلى قسمين:

1 - أسلوب حواريّ: وذلك أثناء تناول الموضوعات ذات البعد الفكري أو التربوي أو السياسي، حينها يكون الحوار طاغياً على الحلقة، وبالذات في النوازل ذات الطابع المدني أو الاجتماعي.

2 - أسلوب إلقاء: وذلك في حال سؤال أحد المشاهدين عن موضوع ديني، حينها يكتفي المذيع بالصمت، لتبدأ الفتوى، وهو جزء من أدب الفتوى، ويرى السعوي أن صمته أحياناً طبيعي: «أصمت أحياناً لمدة تصل لسبع دقائق، وهذا في أعراف الحوار التلفزيوني يتجاوز السائغ، لكني أعده بالنسبة لي عنصر تميز، حيث إن قراءتي لآلية العطاء لدى الشيخ

310 - المرجع السابق.

تستلزم أحيانا ترك مساحة واسعة له للحديث حول نقطة لا تستكمل جمالها إلا بهكذا مساحة يقابلها صمت طويل من قبلي[311].

ثالثاً: «حجر الزاوية» وموضة الدعاة الجدد[312]

أ- الموقف من التصنيف وإيجابية الظاهرة

نشرت المجلة الأميركية «فوربس» العربية، في عددها الصادر في شهر يناير (كانون الثاني) 2008 بعض الأرقام المتعلقة بثروات الدعاة الجدد، وطرحت على طرّة الغلاف السؤال: كيف يجمع دعاة الدين الجدد بين الشهرة والثروة؟ وتعددت مراتب ثرواتهم. عمرو خالد 2.5 مليون دولار، وطارق السويدان مليون دولار، وعائض القرني 533 ألف دولار، وعمر عبد الكافي 373 ألف دولار، وسلمان العودة 267 ألف دولار. طرحت هذه القائمة جدلاً كبيراً على المشهد الإعلامي، ما بين مدافع ومهاجم، البعض يعتبر هذا الأسلوب شكلاً من أشكال الإتجار بالدعوة، أو اعتبارها سلعة.

311 - المرجع السابق.

312 - حول الدعاة الجدد مفهوماً وتأثيراً، انظر كتاب: الدعاة الجدد، مرجع سابق.

العودة تلاحقه التصنيفات: «هناك من يقوم بتحليل الدم عندك عقب كل مقال، ثم يقوم بتصنيفك بناء على هذا التحليل»[313]. لكنه في ذات الوقت لا ينزعج من تصنيفه على أنه من الدعاة الجدد، فهو يعتبر هذا الوصف مجرد تصنيف عابر، يقول العودة: «لا أنزعج من أي تصنيف، ولا يعنيني. خبرتي جعلتني أدرك أن التصنيف مؤقت، وأن الحقيقة تنتصر في النهاية، هذا إذا كان التصنيف غير صادق، وإذا كان صادقاً فمن العدل قبوله. لا أرى أنني داعية جديد، فعمري في الدعوة يزيد على أربعين عاماً، ولدي خبرة لا بأس بها، ولكنني أتمنى أن أكون داعية متجدداً»[314].

يختلف الدعاة في الموقف من هذا الوصف. الداعية محمد العريفي يتحفظ على هذا التوصيف فيقول: «لا أرى أنها تسمية حقيقية، بل أرى أن الدعاة في كل عصر يستعملون الوسائل المتاحة بين أيديهم، التي توصل رسالتهم للناس بوضوح، بشرط أن تخلو هذه الوسيلة من المحرمات الشرعية. ومن نظر في حال أئمة الدعاة وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وجد أنهم استعملوا ما أتيح بعصرهم من وسائل، الكلمة والخطبة والرسالة ووسائل الإيضاح، وما شابه ذلك»[315]. العريفي الذي يقدّم برنامجه على

---

313 - من حديثه لبرنامج «إضاءات»، على قناة (العربية)، بث بتاريخ 29 مايو (أيار) 2009.

314 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.

315 - من حوار أجريته مع محمد العريفي في 15 مارس (آذار) 2009.

قناة LBC يعتب عليه بعض الإسلاميين كونها قناة تمثل تياراً مسيحياً في لبنان، لكنه يدافع عن موقفه إذ يرى أنه: «لا مانع من استعمال كل وسيلة جديدة في الدعوة وتبليغ الدين، بشرط أن تكون جائزة شرعاً»[316].

أما الداعية علي الجفري، فيعتبر تصنيف الدعاة الجدد فيه إشكالات كثيرة، ويشرحها بقوله: «هناك أكثر من إشكال في هذا المصطلح:

الأول: أنه قد يوهم أن هؤلاء الدعاة يمثلون منطلقاً وتوجهاً واحداً كما قد يوهم تكوينا متقاربا في الرؤى والانتماءات وهذا غير دقيق بالمرة، فهناك تباين كبير بين هؤلاء الدعاة في التوجهات والانتماءات العلمية والدعوية يصعب بسببه جمعهم تحت مظلة تصنيفية واحدة. والظهور الإعلامي في أساليب العرض المتطورة لا يكفي لجعله مظلة تصنيفية إذ إن التطور المرتبط بتطور العصر وأخذ الوسائل المستحدثة أمر طبيعي ومعمول به في تاريخ دعاة الأمة.

الثاني: أن تعبير الظاهرة فيه نوع من التحجيم لأمر هو أكبر من كونه ظاهرة. وللسببين السابقين فإن العمل على دراسة هؤلاء الدعاة بصفتهم ظاهرة واحدة لن يكون دقيقاً بالمرة بل

316 - المرجع السابق.

سيحتوي على العديد من المغالطات المبنية على التعميم والتسطيح والخلط»[317].

أما انتشار الدعاة الجدد وتمدد تأثيرهم، فاعتبره الجفري من خصائصهم مع تحفّظه على المصطلح: «سبق أن ذكرنا التحفظ على المصطلح، لكن القاسم المشترك الوحيد هو الأسلوب المتجدد المؤدي للانتشار»[318].

بات هذا المصطلح مثار أخذ ورد، هناك من يعتبره شتيمة أو وسيلة لتقييم الآخرين بناء على أغراض أو انتماءات شخصية. العودة يفصّل أكثر في تقييم هذه الظاهرة: «مصطلح الدعاة الجدد؛ يقصد به مجموعة من الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، في عصرنا، ظهروا في وسائل الإعلام، وتذرّعوا ببعض الوسائل العصرية والأساليب الحديثة والطرق المبتكرة في برامجهم وخطابهم؛ فأفلحوا في جذب الشباب والالتفاف حولهم. ورغم عمومية لفظ الدعاة الجدد إلا أن الكثيرين يُطلقونه باعتبارات مختلفة وأوصاف متباينة، فقد يقصد البعض مجموعة بعينها غير ما يقصده آخرون، وقد يُطلق على سبيل الذم أو المدح. ومسألة الدعاة الجدد كغيرها من القضايا، تحتاج عند تعاملنا معها إلى

317 - من حوار أجريته مع علي الجفري في 12 مارس (آذار) 2009.

318 - المرجع السابق.

إنصاف وعدل وتجرد، فإن محاولة الإنصاف والعدل والتجرد ومحاكمة النفس تجنب الناس أكثر من 80 % من مشكلات مثارة بل ومفتعلة، وجدال عريض، نتيجة تقييم خاطئ متشبّع بمعانٍ سلبية لم تُبن على عدل وإنصاف أو معنى إيجابي»[319].

المشكلة لدى العودة ليست في التصنيف، وإنما في المحرّكات الذاتية والأطماع الشخصية التي تؤدي إلى وصف ظاهرة نجحت واخترقت الكثير من الحصون بأوصاف متعددة: «العنصرية مثلاً والغيرة والحسد صفات تؤثر على أصحابها في تقييم الناس وإقصائهم، حتى لو كانوا في مجتمع واحد، وعمل مشترك؛ فتفرز ملاحقة الأخطاء والتركيز عليها، وقد يظن أصحابها أنهم يقومون بعمل نافع طيب»[320].

العودة وفي معرض حديثه عن هذه الظاهرة، لديه قناعة بأن الدعاة الجدد يقومون بدور لا يقوم به غيرهم، لأنه يتعاملون مع مستجدات التقنية بحرفية عالية، يفصّل كثيراً حين يقول: «الدعاة الجدد يقومون بدور في الدعوة لا يقوم به غيرهم؛ فقد وصلوا إلى فئات من الشباب والفتيات من شرائح لا يستطيع غيرهم الوصول

319 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 19 فبراير (شباط) 2010، مرجع سابق.
320 - المرجع سابق.

إليها. وهم يتحدثون في ما يحسنون؛ من وعظ وإرشاد وقصص وسيرة وتطوير ومخاطبة للمشاعر، ويتحاشون الولوج في أبواب الحلال والحرام والفتاوى والقضايا الفاصلة، وهذا في نفسه أمر جيد. لكن إهدار جهود هؤلاء الدعاة ووصفهم بأنهم لا قيمة لهم بدعوى أنهم لا يمتلكون قيمة معرفية هذا أمر ليس بالجيد. فالناس والجمهور العريض لا يبحثون عن قيمة معرفية بقدر ما يبحثون عن جانب عاطفي، وتحريك لمعاني الإيمان، والتبشير بالرحمة والمغفرة وعمارة الأرض والنفس، وتفجير طاقات الإنسان، وتوجيهها نحو الخير العام؛ ولذلك يظل الناس ينجفلون إلى من يخاطب العواطف إذا أفلح ونجح في خطابه. ولهم أيضا تأثير جيد في عصر ثورة الإعلام وانفجار الفضائيات، وكم رأينا جذبهم لشباب عكفوا على مسلسلات هوليود وأفلام الغرب، التي أحدثت فيهم اغتراباً، وانطبعت في وجدانهم وسلوكهم، ووجهت عقولهم ونظرتهم؛ فركز الدعاة عليهم وتجاوبوا مع ثورة الإعلام والعولمة واستخدموا التقنية بشكل صحيح»[321].

لا أدري هل يمكن الاعتماد على تقييم الدعاة الجدد لأنفسهم، أما العودة فيرى في: «وجود الدعاة الجدد ظاهرة إيجابية، والخطأ أمر طبيعي لا يسلم منه أحد، وقد اطلعت على تقارير

321 - المرجع السابق.

استخباراتية غربية وإسرائيلية؛ تسربت ونشرت في الإنترنت، تتحدث عن عدد من الدعاة، وخطرهم وتأثيرهم وقدرتهم على تهيئة المجتمع للأصلح، وفي التقارير نفسها خطوات حثيثة لعرقلة مشاريعهم وجهودهم. المسلم يفرح بالإيجابيات، ويستبشر بها، ويساعدها ويفتح لها صدره، ويصحح ما يحتاج تصحيحاً، وكلنا في سفينة واحدة»[322]. كما يعتبر الدعاة الجدد مجموعة: «من الشباب وهذا يعني أنهم ينتمون تقريباً للفئة نفسها التي يسعون للتأثير عليها وهذا معتبر بلا شك. إضافة إلى تخففهم من كثير من الرسوم التقليدية في الأداء، وطرقهم على مواضع التأثير على هؤلاء الشباب ومخاطبة العاطفة وتحريك كوامن الإيمان في النفوس»[323].

الدكتور علي بن حمزة العُمري يردّ المصطلح إلى تاريخه، فيقول: «إنهم دعاة لم يسبق ظهورهم وشهرتهم في الساحة فترات الصحوة، وبرزوا في عصر الفضاء والعولمة الحديثة، بطرح دعوي هادئ، وأسلوب متجدد، وتنوع في الأفكار، وتجمّل في الظهور، وعرض للقناعات المناسبة للواقع. ولو تأملنا الوصف السابق، لوجدنا أن أكثر إن لم يكن كل من يطرح هذا المسمى (الدعاة

322 - المرجع السابق.
323 - من حوار في مجلة «المتميزة» نشر في 2 ديسمبر (كانون الأول) 2004.

الجدد)، يتحدث عن المتأخرين (الجدد). وفي اعتقادي أن كلمة (جدد) ليس فيها إضافة كافية لحقيقة التسمية، لأن تميزهم ليس لكونهم (جدداً) في الساحة، إنما لمضمون ما يطرحونه أن ظاهرة (الدعاة الجدد) ظاهرة طبيعية، اقتضتها ظروف المرحلة، وسهّلت وقائع الحياة الحديثة ومستجداتها المعاصرة، فرصاً لتجديد الخطاب الديني، والتوسع في مفاهيمه، والمراجعة لأطروحاته، والتغيير في آليات عرضه شكلاً ومضموناً، والخروج من ربقة التقليد والتصنيف والتحيز، مما أدى إلى (إغراء) عدد من الدعاة للاقتداءِ بطرح (الدعاة الجدد) بعد نجاحهم في كسب الشرائح»[324].

على ضفة أخرى وبمعالجة مختلفة رأى الشيخ عائض القرني أن ظاهرة الدعاة الجدد: «حقيقة وواقعة، وقد تكلم عنها الإعلام سواء المرئي أو المكتوب، والدعاة الجدد هم طائفة من الدعاة الذين طرحوا طرحاً جديداً وقدّموا صورة مضيئة للإسلام فيها رفق ووسطية واعتدال وتسامح، وهذا الظاهر سواء في الإعلام العربي أو الغربي، ويميز هؤلاء الدعاة أنهم متمسكون بروح الإسلام الوسطي القائم على الوحي المقدس من الكتاب والسنة، وأنهم متفهمون لعصرهم، ويعيشون واقعهم، ويجيدون

324 - من حوار أجريته مع الدكتور علي بن حمزة العمري: 31 أغسطس (آب) 2010.

لغة الخطاب العالمي، وقد قرأوا كثيراً وسافروا كثيراً، فصار طرحهم متميزاً، خرج من التقليد إلى التجديد ومن المحلية إلى العالمية، وقدموا خطاباً متسامحاً متصالحاً كسب شرائح كثيرة من المجتمعات»[325].

بل يعتبر القرني أن ظاهرة الدعاة الجدد ظاهرة إيجابية، فيقول: «أرى أن هذه الظاهرة (الدعاة الجدد) إيجابية؛ لأنها أخرجتنا من مسألة التقليد سواء التقليد المذهبي فجعلتنا نعتصم بالكتاب والسنّة أو بالدليل، ثم أخرجتنا من المحلية، فجعلت الدعاة يخاطبون خطاباً عالمياً؛ لأن الرسالة عالمية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

وفيها من الخير أن هؤلاء الدعاة قدموا إجابات لأسئلة كثيرة ومنها: لماذا لم يكن دعاتنا يعيشون هموم الأمة؟ ولماذا كان الخطاب متأزماً غير تصالحي؟ ولماذا يغلب على خطابات الدعاة التطرف والتشدد؟ ولماذا لا يشعر الدعاة بأنهم يعيشون في كوكب واحد مع الإنسانية؟ فصار طرح الدعاة الجدد جواباً عن هذه الأسئلة، وقد ذهبنا إلى أوروبا وأفريقيا وآسيا وأميركا فوجدنا أن طرح هؤلاء الدعاة موجود وحضورهم وأثرهم الطيب في كل مكان»[326].

325 - من حوار أجريته مع الشيخ عائض القرني: 30 أغسطس (آب) 2010.
326 - المرجع السابق.

إذا كان مفهوم الدعاة الجدد يعني المعنى العام للتسمية، والتي تدل على سلوك منهج جديد في الدعوة فإنه معنى محايد ووصفي، ويمكننا رصد الأسلوب الجديد في البرنامج من خلال قراءة خصائص البرنامج الجديد الذي يصنّف على أنه البرنامج الأكثر نجاحاً من بين برامج الدعاة الجدد.

ب - «حجر الزاوية» طريقة الدعوة الجديدة

يعتبر أسلوب برنامج «حجر الزاوية» متفرداً، حيث جمع خصائص المباشرة في الطرح، والقرب من هموم الناس اليومية التي تتماسّ مع الدين، لهذا أصبح البرنامج مشاهداً على نطاق واسع في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، لم يتبادر إلى ذهن العودة أن يحقق البرنامج هذا النجاح، كان يظنّ أنه سيذاع لسنة واحدة ثم تنتهي المسألة: «في أول سنة تعاملنا معه على أنه برنامج لتلك السنة، في منتصف الشهر بدأنا نلاحظ ردود أفعال غير عادية، عن البرنامج، اتصالات من القناة نفسها، اتصالات من مسؤولين ومثقفين، من أدباء، والاتصالات على الهواء. مقالات كتبت عن البرنامج كانت هناك أصداء بالنسبة لي كان فيها مفاجأة، واكتشفنا أن هذه القناة مشاهدة أكثر مما توقعت، وأنه يمكن حتى

الذين ينتقدونها، الكثير منهم يشاهدونها، ويمكن لو ما شاهدوها لما انتقدوها»[327].

لدى سؤالي بعض الدعاة عن هذا البرنامج، تباينت أجوبتهم، محمد العريفي يقول: «مع حبي للشيخ وبرامجه إلا أنني لم أتابع «حجر الزاوية»، لانشغالي وقته ببرنامج مباشر»[328]. أما الداعية علي الجفري فيعتبر البرنامج: «نقلة نوعية قياساً على أطروحات المدرسة التي جاء الشيخ منها بل ربما على المستوى الأوسع»[329].

يستمرّ في ذكر خصائص برنامج «حجر الزاوية» التي يعتبرها الجفري من علامات تميّزه، يقول: «من أهم مميزاته :

1 - طرق المواضيع التي يحتاج الناس إلى سماعها، بمعنى طرح الأسئلة الصحيحة.

2 - أن الشيخ لديه ما يقوله في هذه القضايا بمستوى يستحق الاحترام والإنصات.

3 - رشاقة الطرح دون تطويل مملّ.

4 - لغة التبسيط لقضايا فلسفية عميقة ساعدت على وصولها إلى عقول الناس.

---

327 - من حوار أجريته مع سلمان العودة في 25 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.
328 - من حوار أجريته مع محمد العريفي في 15 مارس (آذار) 2009، مرجع سابق.
329 - من حوار أجريته مع علي الجفري في 12 مارس (آذار) 2009، مرجع سابق.

5 - أسلوب الشيخ السمح والهادىء.

6 - لغة التأصيل بالدليل وأقوال أهل العلم أعطى مصداقية للطرح لاسيما في القضايا الفكرية المعاصرة.

7 - صدور ذلك عن داعية ينتمي إلى مدرسة غلب على دعاتها وعلمائها فقد هذه الخصائص بل والتشدد في أضدادها مما أدى إلى جذب الانتباه والاهتمام والاستحسان حتى لدى غير المهتمين بل والمنتقدين للخطاب الإسلامي.

8 - رقي مستوى المحاور ثقافة وأدباً وتعاملاً.

9 - بثّه في قناة واسعة الانتشار وفي وقت حي.

10 - كون البرنامج على الهواء أتاح فرصة للتفاعل»[330].

كانت برامج الدعاة تعتمد على الإلقاء في البرامج المسجّلة، لكن الخاصية الأبرز في البرنامج والتي تميّزت بها طريقة الدعوة الجديدة خاصية التفاعل. تقدم في فقرة ماضية كيف أن التفاعل كان هدفاً لدى فريق البرنامج، لكن تطبيق التفاعل جاء بنتائج لافتة، تذكر مشرفة موقع برنامج «حجر الزاوية»[331] غادة أحمد، أن البرنامج: «استقبل عام 2009، 184 اتصالاً من 23 دولة، منها 12 دولة عربية، و 11 دولة أجنبية، وجاءت السعودية في المركز الأول بـ 92 اتصالاً بنسبة 50٪، بينما حلت ليبيا في المركز الثاني بنسبة 15٪، ثم الكويت 5٪، فبريطانيا 4.5٪، ثم الجزائر

330 - المرجع السابق.

331 - موقع برنامج «حجر الزاوية» على هذا الرابط: www. az.islamtoday.net

والمغرب 4% بواقع 7 اتصالات لكل دولة. جاء للبرنامج 21 اتصالاً من أوروبا هذا العام بزيادة عن السنة الماضية، حيث كان هناك 10 اتصالات، ومن أميركا نفس الشيء 3، بينما جاء اتصال هذا العام من نيجيريا. ونسبة مشاركة الإخوة في اتصالات هذا العام بلغت 66% والأخوات 33%، باستثناء الحلقات المفتوحة، فبلغت الاتصالات المتعلقة بموضوع الحلقة 40%، وخارج موضوع الحلقة 60%، وكانت 56% مشاركة فعلية بالاسم الصريح، غير المشاركات التي كان يتم الإشارة لأفكارها ومناقشة محاورها، كما أن الموقع حقق 14 ألف زيارة»[332].

يأخذ الجفري على البرنامج وجود بعض الثغرات من بينها: «الاختصار الشديد في بعض القضايا الفلسفية العميقة التي لا تحتمل الاختصار. هناك بعض القضايا لعلها كانت بحاجة إلى إنضاج أكثر وتأمل أعمق، وأعلم أن لدى الشيخ ما هو أفضل ليطرحه حولها لو أعطاها وقتها الذي تحتاجه من النظر. لعل محيط الشيخ الدعوي والعلمي أثر في تقييمه لبعض سياقات الطرح الدعوي المعاصر من حيث التوصيف النقدي فهناك آفاق أوسع من المحيط الذي ينتقده، كان من الممكن استحضار أطروحاتها، وإن كان الشيخ حفظه الله قد احتاط عند كلامه بعبارات مثل:

332 - موقع «الإسلام اليوم» نشر في 4 أكتوبر (تشرين الأول) 2009.

البعض، أحيانا، قد، ربما، وهذا حسن، لكن هناك أطروحات راقية في واقع الخطاب الإسلامي كان من الممكن اعتبارها في العديد من القضايا الفكرية التي تناول الشيخ نقد الخطاب الإسلامي فيها»[333].

نقطة اختلاف الجفري مع برنامج «حجر الزاوية» الاستخدام الكثير للتقنيات: «أعتقد ان نوعية المواضيع المطروحة تحتمل الإكثار من استخدام التقنيات كي لا يفقد البرنامج مستوى التركيز. التقنية وسيلة مهمة لكن لا ينبغي ان تكون في المرتبة الأولى من الاهتمام على حساب المحتوى وهناك تفاوت في مستويات تناسبها مع الدعاة»[334].

أخذ البرنامج صبغةً اجتماعية، والمذيع السعوي يعتبر برنامج «حجر الزاوية» برنامجاً للحياة، ولم يتطرق إلى جانب الوعظ بالمعنى التقليدي للكلمة، سألتُ السعوي: ما هو تخصص البرنامج هل هو ديني فعلاً؟ أم تربوي؟ أم برنامج إفتاء؟ أنت كيف تصنفه؟ فأجاب هو: «برنامج للحياة... وهذا تعبير كافٍ»[335].

---

333 - من حوار أجريته مع علي الجفري في 12 مارس (آذار) 2009، مرجع سابق.

334 - المرجع السابق.

5 . - من حوار أجريته مع المذيع: فهد السعوي. في 1 مايو (أيار) 2010، مرجع سابق.

من خصائص البرنامج تفاعل الليبراليين الإيجابي معه، وذلك يعود بحسب السعوي إلى أنه: «لم يعتد الليبراليون مثلاً على خطاب ديني يحترمهم ويقدر أطروحاتهم ويبرز قدر المشترك ما بينهم وبينه بالشكل الذي يحجّم مساحة الاختلاف إلى وضعها الطبيعي دون مزايدات. هذا وجدوه في خطاب الشيخ سلمان العودة... فكان الاحتفاء. الناس بجميع أطيافهم تجاوبوا مع خطاب الشيخ الذي تبلور عطاءً و روحاً من خلال البرنامج، وهذا مرده بوضوح لما يحمله الخطاب من اعتدال وتوازن، وما يتشبع به من رغبة عارمة في التوافق مع الكل، في سبيل توحيد الأهداف العامة والتقدير الكامل لحق الاختلاف في ما دونها من أهداف»[336].

336 - المرجع السابق.

أسس برنامج «حجر الزاوية» لفضاء فكري يمنح المجال للاختلاف في الطرح، ويبحث عن المشتركات بين مختلف التيارات والمذاهب، ولئن كانت المرجعية الفكرية سنيّة مذهباً وإفتاءً غير أنها سنيّة ملطّفة، لكأن برنامج «حجر الزاوية» أخذ نكهة خاصة لدى المشاهدين في شهر رمضان تشبه تلك التي رسمها الراحل الشيخ: علي الطنطاوي[337]، في برنامجه على التلفزيون السعودي في القناة الأولى، والذي يحمل اسم: «على مائدة الإفطار». كما أن برنامج «حجر الزاوية» يشبه برنامج الشيخ

337 - ولد الشيخ علي الطنطاوي في دمشق بسوريا في 23 جمادى الأولى 1327هـ، (12 يونيو (حزيران) 1909) لأسرة عُرف أبناؤها بالعلم، فقد كان أبوه، الشيخ مصطفى الطنطاوي، من العلماء المعدودين في الشام وانتهت إليه أمانة الفتوى في دمشق. وأسرة أمه أيضاً (الخطيب) من الأسر العلمية في الشام وكثير من أفرادها من العلماء المعدودين ولهم تراجم في كتب الرجال، وخاله، أخو أمه، هو محب الدين الخطيب، الذي استوطن مصر وأنشأ فيها صحيفتَي «الفتح» و«الزهراء» وكان له أثر في الدعوة فيها في مطلع القرن العشرين. كان علي الطنطاوي من أوائل الذين جمعوا في الدراسة بين طريقي التلقي على المشايخ والدراسة في المدارس النظامية؛ فقد تعلم في هذه المدارس إلى آخر مراحلها، درس الثانوية في «مكتب عنبر» الذي كان الثانوية الكاملة الوحيدة في دمشق حينذاك، ومنه نال البكالوريا (الثانوية العامة) سنة 1928. بعد ذلك ذهب إلى مصر ودخل دار العلوم العليا، وكان أولَ طالب من الشام يؤم مصر للدراسة العالية، ولكنه لم يتم السنة الأولى وعاد إلى دمشق في السنة التالية (1929) فدرس الحقوق في جامعتها حتى نال الليسانس (البكالوريوس) سنة 1933. وقد رأى -لمّا كان في مصر في زيارته تلك لها- لجاناً للطلبة لها مشاركة في العمل الشعبي والنضالي، فلما عاد إلى الشام دعا إلى تأليف لجان على تلك الصورة، فألفت لجنةً للطلبة سُميت «اللجنة العليا لطلاب سوريا» وانتُخب رئيساً لها وقادها نحواً من ثلاث سنين. وكانت لجنة الطلبة هذه بمثابة اللجنة التنفيذية للكتلة الوطنية التي كانت تقود المواجهة ضد الاستعمار الفرنسي للشام، وهي (أي اللجنة العليا للطلبة) التي كانت تنظم المظاهرات والإضرابات، وهي التي تولت إبطال الانتخابات المزورة سنة 1931.

يوسف القرضاوي[338]، في قناة الجزيرة «الشريعة والحياة». وله صلة بطريقة طرح عمرو خالد[339] «صنّاع الحياة» وسأضع في الفقرة التالية قراءة مقارنة بين تلك البرامج.

---

338 - يوسف عبد الله القرضاوي (9 سبتمبر (أيلول) 1926)، ولد في قرية صفط تراب مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية في مصر ونشأ فيها، وحفظ القرآن الكريم وجوّده وهو دون العاشرة. أتم تعليمه في الأزهر الشريف. حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام 1953 وعلى إجازة التدريس عام 1954، وكان ترتيبه الأول في كلتيهما، وفي سنة 1960 حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنّة من كلية أصول الدين. وحصل على الدكتوراه عام 1973. انظر مذكراته: «ابن القرية والكتاب». دار الشروق 2002.

339 - عمرو محمد حلمي خالد، (5 سبتمبر (أيلول) 1967 الإسكندرية)، داعية إسلامي، ويعرف باسم عمرو خالد. كانت بداية حياته الدعوية في مصر مع بداية القرن الحالي، ثم ذاع صيته في جميع أنحاء الدول العربية والإسلامية. بإلقاء الدروس في نادي الصيد في حي الدقي في القاهرة، ثم انتقل إلى مسجد الحصري بالعجوزة ثم إلى مسجد المغفرة في حي العجوزة حتى ازدحم المسجد ولم يتحمل، فانتقل منه إلى مسجد الحصري في مدينة 6 أكتوبر، حيث ذاعت شهرته، وبدأ الشباب يحضر دروسه قادمين من أماكن بعيدة، نجوميته في الوطن العربي انطلقت عبر الشاشات الفضائية من خلال القناة الإسلامية اقرأ الفضائية. وأعد وحاضر في مصر محاضرات عامة ولقاءات لمدة سنتين منذ 2000 وحتى 2002، يؤمن عمرو خالد بأنه لا نهضة من غير التمسك بتعاليم الدين الإسلامي، كما أن دور المسلم لا يقتصر على العبادة فقط من حيث الصلاة والزكاة، بل لا بد أن يكون للمسلم دور في النهضة التي يشهدها العالم الآن في جميع مجالات الحياة، سواء كانت العلمية أو السياسية أو الاجتماعية، خاصة بعد ما وصلت أحوال المسلمين إلى ما هي عليه الآن، مما دفع عمرو خالد إلى تقديم برنامج (صناع الحياة) داعياً فية الشباب العربي والمسلم إلى العمل والمشاركة في مشروعات تنهض بالبلاد العربية نحو التقدم مقدما العديد من الاقتراحات والمشروعات التي يمكن للشباب المشاركة فيها.

رابعاً: «حجر الزاوية» قراءة مقارنة مع برامج أخرى

أ - الشريعة والحياة:

«الشريعة والحياة» برنامج ديني، يبث مساء الأحد من كل أسبوع على قناة الجزيرة الإخبارية القطرية، والضيف الدائم هو الدكتور: يوسف القرضاوي. وبغيابه يستضيف البرنامج دعاة وفقهاء آخرين، والشيخ سلمان العودة ظهر في هذا البرنامج عدة مرات. يختلف «حجر الزاوية» عن الشريعة والحياة في فوارق رئيسية منها:

1 - **الأسلوب الحواري**: يركّز «حجر الزاوية» على الأسلوب الحواري بين المذيع والشيخ العودة، بحيث يكون المذيع طرفاً في الحوار لا مجرد قارئ أسئلة أو مستقبل اتصالات. وإذا قرأنا برنامج الشريعة والحياة نجد أن أكثر المذيعين دخولاً في مجال الحوار هو المذيع الأوّل للبرنامج: ماهر عبد الله، فهو أكثر غوصاً مع القرضاوي في مواضيع البرنامج من المذيع: عبد الصمد ناصر، أو المذيع: عثمان عثمان. مع أن شكل البرنامج يعتمد على حضور القرضاوي الطاغي

أكثر من حضور الموضوع. يصف العودة ظهوره في البرنامج: «ظهرت في العديد من حلقات الشريعة والحياة، على قناة (الجزيرة) القطرية من أيام الأستاذ ماهر عبد الله -رحمه الله-، ثم الأستاذ عبد الصمد ناصر وانتهاءً بالأستاذ عثمان عثمان وكان من أحدثها الظهور من اسطنبول في حديث حول (فقه الأقليات) بالتشارك مع سماحة الشيخ عبد الله بن بية، وفضيلة الدكتور عبد المجيد النجار. برنامج الشريعة والحياة برنامج ناجح، ومن دلائل نجاحه استمراره منذ قامت القناة إلى اليوم. وضيفه الرئيس هو سماحة الشيخ يوسف بن عبد الله القرضاوي وهو عالم فقيه، وداعية عريق، وأديب وشاعر، وصاحب تجربة طويلة في الميدان الإسلامي. ويشارك في البرنامج شخصيات مختلفة حال غياب الشيخ أو مرضه أو انشغاله. تجربتي مع البرنامج موفّقة في ظني، حيث يتم الاتفاق على الموضوعات وتعالج بطريقة موضوعية، وهناك فريق إعداد محترم يقف على رأسه الأستاذ معتز الخطيب وهو مثقف ومفكر وناشط إسلامي معروف»[340].

العودة يقيّم مشاركته في برنامج «الشريعة والحياة» قائلاً: «والغالب أن مشاركاتي مسجلة، وأحياناً تكون على

340 - من حوار أجريتُه مع سلمان العودة في 28 أغسطس (آب) 2010.

الهواء مما يتيح المجال لمداخلات مختصين أو أسئلة من الجمهور. الفارق ربما أن الجمهور يختلف قليلاً، فالذي يتعاطى مع جمهور mbc كأنه يتعامل مع رجل الشارع العادي البسيط، بينما يغلب على جمهور الجزيرة المعنيون بقضايا الأمة والواقع، سواءً من العالم الإسلامي أو بلاد الغرب، وبالتالي فهم يسخنون مع الأحداث التي تقع، وترتفع وتيرة أسئلتهم ومطالبهم. أما دور القرضاوي فهو متفرّد، ولا أعتقد أنني أستطيع ولا أريد أن أتقمّصه، وبقدر ما أنا خبير بجوانب الاتفاق، وهي كبيرة وضخمة بحمد الله، وبقدر ما أدين لشخصية الشيخ يوسف الذي هو مدرسة فكرية وتجربة غنية، إلا أنني مدرك جيداً لطبيعة الفروق الفطرية والشخصية والبيئية، والتي بمقتضاها يكون من المحتّم على أي إنسان أن يكون هو نفسه وليس أحداً آخر، حتى لو كان معلمه أو أباه»[341].

المفكّر السعودي عبدالله الغذامي في مقارنته لبرنامج «حجر الزاوية» مع برنامج الشريعة والحياة قال: «كلها استخدمت الوسيلة الإعلامية المباشرة صوتاً وصورة، وتجمع بينها سمات المرجعية»[342].

341 - المرجع السابق.
342 - من حوار أجريتُه مع عبدالله الغذامي في 25 أغسطس (آب) 2010.

2 - **العودة وتعدد الأدوار:** يختلف العودة عن القرضاوي من حيث تعدد الأدوار داخل الحلقة الواحدة، فبينما يركّز الشيخ القرضاوي على الموضوع العلمي والفقهي، يدخل العودة على عدة مجالات، بين الفكر والتربية والمجتمع والفقه والسياسة والمسائل العلمية المعاصرة، بينما القرضاوي يركّز على تناول كل تلك الأمور من خلال الفقه. العودة يتناولها من خلاله هو بوصفه مريداً للخير، فهو لا يصنّف نفسه على أنه محدّث أو فقيه أو داعية أو مفكّر، بل يصنّفها على أنه مريدٌ للخير والإرشاد. فهو ليس نخبوياً لكنه لا يعادي النخبوية، يتحدث الغذامي عن «حجر الزاوية»: «حجر الزاوية يبتعد عن النخبوية دون أن يعاديها وهو مع حرصه على الجماهيرية إلا أنه يضع النخبة في لبّ خطابه، ومن الواضح أنه قد كسب الفئتين حيث يتلقى البرنامج اتصالات ثناء من وجوه الثقافة كغازي القصيبي مثلاً، ومن كتّاب الزوايا الصحافية مثلما يتلقى مهاتفات من كل أنحاء العالم سائلةً ومثنيةً، وهو هنا ينجح -كما وصفناه في مسألة اللغة حيث الفصحى المحكية- في تحقيق مستوىً وسطي في مفاهيميته كما في لغته، ومنها اتكاؤه على الذاكرة الثقافية الشعرية والسردية، حيث يجمع بين التسلية والإطراب بتوظيف المعلومة الثقافية، مع

ما يملكه من رأي عصري وتفاعليّ حول المسائل الدينية حتى الشائك منها[343].

يلمّح الغذامي إلى تعدد الأدوار والمجالات التي يتحرك العودة داخلها في برنامجه «حجر الزاوية». وهو خاصيّة ليست موجودة في برنامج الشريعة والحياة الذي صبغته شخصية الشيخ القرضاوي الحازمة والجادة والتي لا تدخل في الواقع بتفاصيله كما يفعل الشيخ العودة. ذلك أن القرضاوي يظهر على قناة إخبارية هي الجزيرة. بينما يظهر العودة على قناة منوعات ومسلسلات وترفيه وهي mbc فاختلاف الطرح ربما تفرضه بشكل لاواعٍ نوعية المشاهدين، وذهنية الجمهور.

ب - على مائدة الإفطار

إنه برنامج الشيخ الراحل: علي الطنطاوي، الذائع الصيت، والذي كان يبثّ قبيل الإفطار على قناة السعودية الأولى، وكانت شعبيته جارفة، مع أنه كان برنامجاً بسيطاً من حيث التقنيات وأدوات الإبهار والتصوير، كان يركّز على الفكرة التي يختصرها الشيخ الطنطاوي إما بقصة أو بمقولة، لم تكن تتجاوز مدة الحلقة

343 - من حوار أجريتُه مع عبدالله الغذامي في 25 أغسطس (آب) 2010، مرجع سابق.

أكثر من عشر دقائق. يصف الغذامي حالة العشق الاجتماعي لبرنامج «على مائدة الإفطار» فيقول: «كان المجتمع مغرماً ببرنامج الطنطاوي، وحينما أعلن مرةً عن تقاعده وإيقاف البرنامج كان الخبر صاعقةً وقعت على الناس، وجرت تدخلات قويّة أعادت الشيخ، وتلك كانت امتحاناً مباشراً لشعبية البرنامج، وتعلق الناس به»[344].

وإذا قارنّا بين برنامج «على مائدة الإفطار» وبرنامج «حجر الزاوية» نعثر على فوارق منها:

1 - المسافة الزمنية والفكرية والتقنية: من الطبيعي أن المسافة الزمنية بين البرنامجين تؤسس لفوارق كبيرة بينهما. كان برنامج الطنطاوي في مكتب بسيط، يستعين بأداة تسجيل كبيرة قديمة لأرشفة كل ما يطرحه في البرنامج صوتياً، وهذا على مستوى التقنية. كما أن الجدل الفكري كان مختلفاً، لوم يكن كما هو اليوم، كما أن عصر الفضائيات والإنترنت كان معدوماً في تلك الفترة. يقول الغذامي مقارِناً: «المسافة بين الطنطاوي والعودة هي مسافة القضايا ذاتها. حيث جاء الطنطاوي في زمن الحياة الديني، ولم تكن القضايا الدينية مسيّسة ولا تصارعية، بينما ظهر العودة تحت رنين

344 - المرجع السابق.

الصحوة، ومع ظهور القاعدة وخطاب الإنترنت. وانفتاح الفضائيات، وظاهرة الدعاة الجدد، وكثرة المنافسين وهذه كلها تحفيزات وتحديات واجهت العودة ولم تواجه الطنطاوي الذي كان الجوّ خالياً له حين ظهوره، وكان الطنطاوي رائداً بلا منافس ولا سابق تجربة»[345].

2 - **اختلاف أسلوب الطرح:** يختلف الطنطاوي عن العودة بطريقة الطرح ونوعيته، كان الطنطاوي يبثُّ الإرشادات ويطرح المعلومات على شكل قصص، وكان لا يرتّب موضوعات للحلقات، بل يتحدّث كإجابة على ما يرده من أسئلة، كان أقرب إلى الخواطر، لم يكن مهتماً بجانب التنظيم والترتيب، بقدر ما يهتم بجانب التشويق والقبض على المشاهد من تلابيبه، وأذكر أن الناس كانوا يستنيرون بآرائه، وكثيراً ما منح الناس نكتةً تجلجل في المكان بينما يتناولون إفطارهم الرمضانيّ.

يصف العودة نفسه هذه الفوارق في أسلوب الطرح بين البرنامجين قائلاً: «والشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- شيخي وأستاذي، وقد قرأتُ جميع كتبه في مرحلة مبكرة، وتابعت حلقات من برنامجه، وجالسته مرات في منزله بمكة. الطنطاوي موسوعي متبحر مسترسل، وأنا لست كذلك، بل

345 - المرجع السابق.

أنا قارئ متطلع، وجامع مختار أكثر مني مبدعاً للأفكار. للطنطاوي فضل السبق، وكان في يوم لم تكن البرامج التلفازية الإعلامية بهذه الكثرة، ولا كان جمهورها بهذا الاتساع، فهوالرائد الذي تحمّل العناء والعنت وشق الطريق. وهو يمتلك أسلوباً عفوياً أدبياً رائعاً لا يجاريه مثلي ولا يقاربه، وربما كان لبرنامج «حجر الزاوية» ميزة الترتيب للموضوعات والقضايا ومعالجة جوانبها من الناحية الشرعية والواقعية بينما كان برنامج الشيخ علي الطنطاوي إجابة على أسئلة»[346].

والفوارق بين البرنامجين لا تعني أن أحدهما أفضل من الآخر، بل لكل زمان شروطه الفكرية والإعلامية والتقنية، وقد توفرت لـ «حجر الزاوية» الكثير من الشروط التي كانت مفقودةً في زمن الشيخ الطنطاوي رحمه الله.

ج - صنّاع الحياة

وهو البرنامج الذي يقدّمه الداعية: عمرو خالد. بدأت أولى حلقات البرنامج في 10-2-2004. كانت بداية تبلور فكرة هذا البرنامج من خلال برنامجه الأوّل «ونلقى الأحبّة» الذي شرح فيه

346 - من حوار أجريتُه مع سلمان العودة في 28 أغسطس (آب) 2010، مرجع سابق.

الداعية الأستاذ عمرو خالد كيف نجح الصحابة في الدنيا والدين. ثم قدم سلسلة شرائط « العبادات » التي تحدث فيها عن: كيف نعبد الله حق العبادة؟ وبرنامج صناع الحياة كان استكمالاً طبيعياً للسلسلتين. أعلن الأستاذ عمرو خالد في أوّل حلقة من برنامج «صنّاع الحياة» أنه يؤسس مشروعاً لنهضة الأمة الإسلامية بحيث تعاود الإنتاج الفعال أو ما يسمى بصناعة الحياة. وبدأ عمرو خالد بمشروعه الذي قسّمه إلى مراحل ثلاث، إلى أن بدأ بعقد اتفاقيات «صنّاع الحياة» وهي اتفاقية ثلاثية لتدريس برنامج حماة المستقبل بين الأمم المتحدة وشرطة دبي و«رايت ستار»[347].

عمرو خالد من الدعاة الجدد وهو الأشهر والأكثر انتشاراً من بينهم. يصفه العودة ويصف علاقته به قائلاً: «عمرو خالد داعية قدير محرك للعواطف وقريب من الناس، والشباب خاصة، وله بصمته وتأثيره الملموس على شباب العرب في العالم الإسلامي وفي بلاد الغرب، وهو من الدعاة الأكثر تأثيراً، عمرو خالد صديق عزيز بيني وبينه علاقة جيدة وزيارات متواصلة حيث لقيته في لندن وفي البحرين وفي السعودية وشرفني في منزلي بالرياض في أمسية جميلة»[348].

347 - انظر فقرات تعريفية ببرنامج «صنّاع الحياة» على الموسوعة الحرة في الإنترنت «ويكيبيديا». وانظر موقع عمرو خالد: http://amrkhaled.net/newsite/index.php

348 - من حوار أجريتُه مع سلمان العودة في 28 أغسطس (آب) 2010، مرجع سابق.

وعلى الرغم من التقاطع الواضح بين البرنامجين على مستوى الإبهار والرؤية العصرية للإسلام، والاشتراك بين العودة وعمرو خالد في تصنيفهما ضمن «الدعاة الجدد» غير أن ثمة فوارق واضحة منها:

1 - **اختلاف المضمون:** يعتني «حجر الزاوية» بموضوع «تنمية الوعي الإسلامي» بينما يهدف برنامج «صنّاع الحياة» إلى إعادة الأمة الإسلامية إلى مجدها عبر ورش تدريبية، وممارسات عملية، فهو أقرب إلى الدورة التدريبية منه إلى البرنامج العلمي المعرفي. كما أن المضمون المعرفي يختلف أشدّ الاختلاف. العودة صاحب أسلوب حواري. بينما عمرو خالد يعتمد على الإلقاء القصصي والحماسة في التعبير والقوّة في الصوت. بينما يعتمدُ الشيخ العودة الحوار أساساً لأسلوب برنامجه خلال عمر البرنامج كله.

2 - **اختلاف الشكل:** الشيخ العودة يظهر على الناس من دون جمهور في الاستديو. ويخاطب جمهور القناة لا جمهور الاستديو، وهذا الاختلاف منح «حجر الزاوية» صيغة لا تعتبر جمهور القناة جمهوراً ثانياً يأتي بعد جمهور الاستديو، بل يعتبره جمهوره الأوّل. لهذا يتفهّم العودة جمهوره في هذه

القناة. يقول العودة عن فكرة وجود جمهور في الاستديو: «طبيعة تناولنا للقضايا جعل ثنائية الضيف والمذيع أفضل وأسهل وأحفظ للوقت وأدعى للتناغم، ومع هذا ففكرة وجود جمهور قد تُطرح للنقاش لدى فريق البرنامج في مرحلة ما، خاصة إذا افترضنا أننا أمام جمهور انتقائي منتخب»[349].

تلك قراءةٌ سريعةٌ ومقارنةٌ عُجلى بين برامج إسلامية نالت حظها من المشاهدة والإمتاع. وهي مقارنة لا تهدف إلى رفع برنامج على آخر، بل تهدف إلى تمييز خصائص كل برنامج. وأعتبرٍ أن «حجر الزاوية» تفرّد بخصائص جعلت منه برنامجاً حوارياً تجاوز طرق الإلقاء وأساليب برامج الإفتاء ليصبح برنامجاً مميزاً مختلفاً عن غيره.

خامساً: «حجر الزاوية» الموقف الاجتماعي والفكري

أ- جواز الظهور على mbc

لم يكن ظهور سلمان العودة على قناة mbc مفروشاً بالورود. بل تمت محاربة ظهوره في هذه القناة، وكان موقفه

349 - المرجع السابق.

موقف المدافع من خلال موقع «الإسلام اليوم». وعلى الرغم من تحفّظه على التفصيل الكثير عن تلك المرحلة، غير أنه لم يُخفِ وجود غبارٍ يُشبه غبار المعارك. يقول العودة: «لم يكن هناك من حرج. بالعكس. نحن أدرنا حملة قبل هذا ونشرناها في «الإسلام اليوم»، حول قضية الظهور في القنوات العامة، وحتى القنوات غير المحافظة، أو التي عليها مآخذ في أدائها الإعلامي، وهل هذا فيه حرج شرعي أم ليس فيه حرج شرعي؟ أدرنا هذا قبل سنتين في نقاش إلكتروني، وجمعنا آراء وأقوال العلماء ولم نجد أحداً يقول بأن هذا ممنوع، صحيح قد تختلف سياساتهم بين من يُشجع ومن لا يُشجع. ولكن كقول فقهي لم نجد قولاً فقهياً يقول بأن هذا محرّم ووجدنا أن الأكثرية من الفقهاء والعلماء يميلون إليه، حتى ممن لا شأن لهم بالإعلام، وأخذنا نُقولاً عن الشيخ ابن باز، وعن الكثير من العلماء في هذا الخصوص»[350].

غير أن الموقف الرافض رغم بقائه على ما هو عليه لدى البعض؛ فإن ذلك لم يمنع العودة من تجاوز ذلك الطرح، بل حتى مسألة «جواز الظهور في التلفاز» أصبحت مسألة قديمة، بسبب اتجاه العلماء الرسميين، بدءًا من مفتي السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ وليس انتهاءً بأعضاء في هيئة كبار العلماء باتوا يظهرون بانتظام في التلفزيون السعودي الرسمي على القناة الأولى، وعلى

350 - من حوار أجريته مع سلمان العودة بتاريخ: 25 سبتمبر (أيلول) 2009، مرجع سابق.

قناة «المجد» الإسلامية، فلم تعد مسألة جوهرية في الصراع. غير أن الخفيّ في المعركة هو استياء بعض الدعاة وغيرتهم من سلمان العودة بسبب المساحة التي نالها في قناة mbc، وبخاصة أن القناة اعتمدته برنامجاً دينياً رسمياً لا تشوّش عليه سوى برامج وعظية أخرى لا تتناغم مع قوة وقيمة «حجر الزاوية».

العودة لم يخف وجود مبالغة في التحذير من الفضائيات. كان خطابه القديم سبباً في تعاظم تلك الرؤية الوهمية حول خطر القنوات الفضائية، يقول: «لا شك أنه كان هناك حديث حول هذا، وأنا أذكر كتاب الدكتور ناصر العمر»[351]، وأعتقد أنه عندي كلام في هذا الخصوص، بس ما أذكر أنه فيه محاضرة خاصة بل كان كلاماً عن الأفلام وعن الشباب، وكان فيه تعليقات وأخبار وحديث عن البث المباشر، التعامل مع البث المباشر حتى سياسياً، غير مستقر حتى الآن، لا زال فيه دول كثيرة لا تستقبل البث المباشر بالطريقة التي نستقبله نحن فيها. هناك طريق إما عن طريق الكيابل أو عن طريق تنظيم البث. عندنا الآن البث بدون شك أنه مفتوح على مصراعيه، وهذا لا شك أنه فيه سلبيات كثيرة جداً، اجتماعياً يحدث اختراق كبير، وليس هناك تأهيل أو تحضير أو مناعة قوية، لكن من الناحية الفقهية ومن الناحية الحياتية أنا

351 - انظر ترجمته، ص 67.

أعتقد أن الحديث عن الشيء المفترض غير حديثنا عن الشيء القائم. يعني الشيء المفترض، لا تدري كيف يحدث وقد تظنه شراً محضاً. لكن ربما تكتشف أن خطورته ليست بالشكل الذي تظنه أنت»[352].

ويمضي في شرح ظروف تلك المبالغات التي أسست للرفض الاجتماعي: «بدون شك كانت هناك مبالغة في تقدير الخطر من الجميع، يعني هذا ليس شأناً خاصاً بنا، حتى الحكومات كانت تعتبر أن ذلك خطر. الفقهاء كانوا يصدرون فتاوى بأن هذا غش وأنه جريمة بحق الأسر كما يذكر التربويون. الكل كان يدق نواقيس الخطر من منطلق أن المجتمع غير مهيأ لحصانة أو مناعة وهو مجتمع مغلق ثم ينفتح تلقائياً على خيارات هائلة مذهلة، ولا شك أن فيها خيارات لا زلنا نحن وغيرنا نقول إنه قد يكون فيها دوائر إباحية وتبشيرية وأشياء كثيرة، لكن تبين أنه مع تيار العولمة الجديد بدلاً من التركيز الجديد على الحرب والممانعة التي مصيرها في الغالب إلى الاستسلام. أن يكون هناك صناعة الوعي والمناعة عند الناس وأيضاً الاستثمار، تحويلها من أزمة-كما يقول الصينيون- إلى فرصة»[353].

---

352 - من حوار أجريته مع سلمان العودة بتاريخ: 25 سبتمبر (أيلول) 2009. مرجع سابق

353 - المرجع السابق.

على الرغم من ضبابية حديث العودة عن الموقف من برنامجه ، حيث فضّل أن يكون الموقف من «حجر الزاوية» الذي يمارسه البعض هو موقف من الفضائيات عموماً؛ يرى العودة أن موضوع ظهوره على mbc «بُحث في حوار موضوعي عبّر موقعنا «الإسلام اليوم»، وكان أغلبية المشاركين في البحث يوافقون على المشاركة الإعلامية في عموم القنوات الفضائية، ولو كانت صبغتها غير دينية، ولا أعرف موقفاً فقهياً يقول بالتحريم، إنما يميل بعض الغيورين إلى عدم استحسان ذلك كنوع من الوحشة. على الأقل؛ فأنا لم أطّلع على فتوى أو بحث علمي؛ يقول بتحريم المشاركة في هذه القنوات. المقربون مني كلهم موافقون ومؤيدون منذ البداية، ومع استمرار الظهور وملاحظة الآثار؛ بدأ الصوت المعترض يخفّ تدريجياً، حتى لا يكاد يُسمع»[354].

إنه الانقراض الذي أشرتُ إليه آنفاً لكل الرؤى التي تحاول أن تسد فضاء التقنية بغربال. وإذا أخذنا بالاعتبار الرؤى التنموية في مجال الإعلام والتقنية والتي اتسم بها الشيخ في مرحلته الجديدة نعلم أن ظهوره الفضائي كان متوافقاً مع شروط الظهور الإعلامي والفضائي.

---

354 - من حوار أجريتُه مع سلمان العودة في 28 أغسطس (آب) 2010، مرجع سابق.

ب - قيمة ظهور العودة فكرياً

هناك مسافة من التلاقي بين سلمان العودة وخصوم الأمس، نرى أن الراحل غازي بن عبد الرحمن القصيبي قام بإجراء مداخلتين مع سلمان العودة في برنامجه، مع أن الرجلين كانا أشرس الخصوم ونشبت بينهما معارك فكرية طاحنة في الثمانينيات وأوائل التسعينيات. كما نجد الثناء العاطر من الدكتور عبدالله الغذامي الذي يتابع برنامج «حجر الزاوية» مع عائلته، بعد أن كان رمزاً للحداثيين وفق تصنيف مرحلة الصحوة له قديماً. بينما يرى العودة أخيراً أن الغذامي: «صديق عزيز وباحث متعمّق، ومشاهدته للبرنامج وتعليقه عليه أعده وساماً على صدري»[355].

يُعيد الغذامي نجاح «حجر الزاوية» من الناحية الفكرية إلى «القدرات التفاعلية»، يقول: «نجاحات «حجر الزاوية» تأتي من قدرته التفاعلية حيث وعى وعياً تاماً بشروط الخطاب الإعلامي وأخذ في كامل عهده مراعاة مشاعر جمهوره واحترام عقول السائلين وضمائرهم. وفتح صدره للآثمين وتعاطف معهم ومد يده لهم. ولم يستهتر بهم. أنا وأسرتي من متابعي «حجر الزاوية»، وخلق البرنامج رصيداً ذهنياً داخل البيت، وصار مناسبة رمضانية

355 - المرجع السابق.

محفزة، وتمنح الأيام معنى خاصاً عبر الموعد الخاص بالبرنامج، وهذا مستوى لا يبلغه عادةً إلا البرامج الترفيهية، حيث تكون المشاهدة ممتعة، أما إذا تمكّن برنامج جاد من كسب المشاهدين وتحقيق درجة إمتاعية تضمن موالاة البرنامج وتقبله التلقائي فهذا إنجازٌ رفيع ولا شك»[356].

تحدثنا في فقرات مضت أن برنامج «حجر الزاوية» نال اهتمام المثقفين على اختلاف مشاربهم، بما فيهم التيار الليبرالي، ويعزو الغذامي سبب اشتراك المثقفين مع الجماهير في متابعة البرنامج إلى المستوى الفني الرفيع الذي حققه «حجر الزاوية»، يقول: «متابعة المثقفين للبرنامج تكشف اتفاق النخبة مع الجماهير، وهذا مستوى فني رفيع حققه البرنامج وحافظ عليه، وهذه إحدى خصائص الثقافة التلفزيونية، حيث مفاهيم الجماهيرية صارت أساساً تواصلياً وتفاعلياً، وهي الهدف من جهة وعلامة النجاح من جهةٍ أخرى، ولو تقلصت جماهيرية برنامج ما فتلك علامة على موته وجفافه، والصورة لا ترحم ولا تجامل حيث الامتحان العسير والمصيري مع لحظة الارتجال ولحظة المفاجآت، وكيف يدير المرء لحظاته تلك، اللحظات المصيرية التي تقرر مآلات أي اتصال جماهيري، بها نجح الطنطاوي -رحمه الله-، وبها

356 - من حوار أجريتُه مع عبدالله الغذامي، في 25 أغسطس (آب) 2010، مرجع سابق.

ينجح العودة. يمتاز «حجر الزاوية» بقدراته الذكية في توظيف ثقافة الصورة بكامل شروطها في المباشرة والتلوين، والسرعة والطرافة (التجدد) والاختصار والإمتاع، وهي الشروط التي سبق أن شرحتها في كتابي «الثقافة التلفزيونية» كشروط عصرية لعملية التواصل الجماهيري»[357].

إذاً نجد أن الموقف الفكري من البرنامج جاء إيجابياً، بسبب توفر الشروط الموضوعية للاستقلال في الطرح الذي أجاد العودة الوصول إليه من خلال توفر شروط الإعلام العلمية، فهو لم يخضع الإعلام لمقاساته بل تغيّر هو تبعاً لمتطلبات الشروط الإعلامية، وهذا –في نظري– ما جعل «حجر الزاوية» يتجاوز البرامج الأخرى الإلقائية التي لا تلقي بالاً للشروط الإعلامية والتقنية التي تفرضها حركة العصر، وتغيرات الزمن.

سادساً: الخاتمة... التلخيص والنتائج

عندما تحدث أوليفيه روا وغيره عن «عولمة الإسلام»، كانوا يشيرون إلى صيرورة «الأصولية الإسلامية»، ظاهرةً عالميةً او

357 - المرجع السابق.

مشكلةً عالمية. إنما الواقع أن «الظاهرة الإسلامية»، أو «الصحوة الإسلامية»، هي التي صارت ظاهرة عالمية. وبحكم نشأتي بالمملكة العربية السعودية، وعملي في الصحافة والإعلام لما يزيد على العقدين؛ فإنني عرفت عن كثب ظهور تلك الظاهرة، وتطوراتها في المجتمع ووسائل الإعلام. وقد أردتُ بدايةً أن أدرس تجليات تلك الظاهرة في وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، ولماذا حققت ما حققته من نجاحات جماهيرية، كما أوضحتُ في التقديم والتمهيد. ثم تبين لي أن الإعلام أثرّ في سلوك وخطابات أعلامها، كما أثرّ هؤلاء فيه. وبذلك أُضيفَ إلى اهتمامي بالتعرف على الظاهرة في الإعلام، الاهتمام بالإعلام باعتباره مؤثرا قوياً في التطوير في الأسلوب أحياناً، وفي الجوهر أحياناً كثيرة.

وفي الحالتين، أي التأثر والتأثير، كان الأفضل والأولى، مراقبة ذلك من خلال شخصية أو شخصيات كارزماتية برزت في ما صار يعرفُ بالإعلام الإسلامي. وبحكم عملي الطويل نسبياً في الإعلام، كما سبق القول، ما كنتُ من حملة الانطباع السلبي، عمن صاروا يُعرفون من خلال العقدين الأخيرين بالدعاة الجدد. فصحيح أن هناك من شبّهوا هؤلاء بالوُعّاظ والدعاة الإنجيليين في الولايات المتحدة، وهم يشبهونهم بالفعل في الشخصية الكاريزماتية، أو الجذّابة؛ لكن الشبه يقفُ عند هذا الحد، ولا

يتعداه إلى الصورة عن الذات، ولا إلى الوظيفة والغاية. ثم إنني تعرفتُ على عدد من هؤلاء الدعاة، وما عُدتُ أشارك القائلين الرأي، بأنهم ظاهرةٌ عابرةٌ، إذ هم يمثلون أحد التعبيرات الأهم عن هذه الأسلمة الجارية في المجتمعات العربية والإسلامية، ووظائفهم وأدوارهم تتعدى حتى جاذبيتهم الشخصية، وأمزجتهم الفردية. ويكاد بعضهم أن يُشكِّل تأثيراً أقوى وأبقى من بعض دعاة الإسلام السياسي أو الحزبي. وهناك أمرٌ آخر وأخير، وهو أن التأثير الباقي لدى كِبارهم، وذوي الشعبية الجارفة من بينهم، مرده إلى أنهم يحملون دعوة ملحاحة، وأن هذه الدعوة تتجاوز «الإحيائية» المعروفة، إلى الإصلاح والتجديد.

لهذه الأسباب كلها، أي الأسلمة وحضورها القوي في الإعلام، وجدّيتها، بوصفها إحدى الظواهر الفرعية المهمة على ظاهرة الصحوة، أقبلتُ على قراءة شخصية الداعية الإسلامي، الشيخ سلمان العودة، ودعوته، كما تجلتا في برنامج (حجر الزاوية)، الذي يقدمه في فضائية mbc، منذ خمس سنوات ونيّف. ولأن دعوة الشيخ العودة لا تصلُ إلى مشاهديه ومستمعيه وقرّائه، من خلال «حجر الزاوية» فقط؛ بل ومن خلال موقعه على الإنترنت: «الإسلام اليوم»؛ فإنني استعنت بذاك الموقع، عندما كنتُ أرى ضرورة التوسع في عرض النظام الفكري، والإصلاح المفهومي

والفقهي، الذي يستمر في إنجازه، والتجديد الإصلاحي الذي يُطوِّرهُ بوعيٍ وتؤدةٍ، وبحاسّة إعلامية عالية الوتيرة.

وقد وقع العملُ في ثلاثة فصول، وانقسم كل فصلٍ إلى عدة فقرات. في الفصل الأول، تتبعتُ نشأة سلمان العودة، في بيئته النجدية، وما درس من علوم، وبمن تأثر من الشيوخ. ولنذكر أن تلك البيئة هي بيئة الحنابلة والسلفية التقليدية. لكن الشابّ سلمان العودة، وبخلاف شيوخه، ما اقتصر على الحضن السلفي، بل سرعان ما عرف أفكار الإخوان المسلمين من خلال الجو الإسلامي حينها، ومن خلال قراءة كتب سيد قطب، ومحمد قطب. وبالوسع نسبة توتُرهِ في شبابه، إلى هذين العاملين: أي السلفية الصارمة، والأصالية الإخوانية. وهذا العامل الثالث في نظري هو الذي دفعه باتجاه الصِدام مع العلمانيين والحداثيين والليبراليين السعوديين في النصف الثاني من الثمانينيات، وهي صِداماتٌ ناجمةٌ عن قراءاتٍ، وعن مراقبة سريعة قلقة للتغيرات في المجتمع السعودي، وهي متغيراتٌ ما كان الشُبّان ذوي التربية الصارمة، والحرص على الهوية المبرَّأة، يستطيعون تقبُّلها، او الاطمئنان إلى نقَلَتها إلى الجمهور من الليبراليين السعوديين وغيرهم. وقد عمدتُ في سياق هذا الفصل الذي يحمل عنوان: «سلمان العودة، جدل السجن والتحول»، إلى تحليل درسين له مُسجَّلين على الكاسيت، يحمل أولهما عنوان: لسنا أغبياء بدرجةٍ

كافية، وسميتُ الدرس الآخر، او الخطبة الثانية: الحرب على العلمانيين السعوديين. والواقع أن هذين النموذجين رائدان في مجالين؛ الأول: الدلالة على المتغيرات التي انفجرت في الحياة الثقافية والإسلامية في السعودية، في العقد الواقع بين 1985 - 1995، وهي حقبةٌ اشتعلت فيها النقاشات في شتّى الموضوعات، وكثيراً ما أفضت إلى صدام مع السلطات، من جانب الإسلاميين والليبراليين على حدٍ سواءً، خلافاً للصدام بين هذين التيارين بطبيعة الحال، واستعداء كل منهما السلطة على الآخر.

والثاني: الريادة التي يحتلُها سلمان العودة في مجال صُنع ظاهرة «الدعاة الجدد»، في منطقة الخليج بالذات. فهذه الخطابية الشعواء، عرفها المصريون والسوريون والأردنيون، قبل عقود، لكنها استندت إلى عقائديةٍ حزبيةٍ أو متحزبة، وكانت سياسيةً بحتةً أو شبه بحتة؛ أما في جيل سلمان العودة بالذات؛ فقد غلبت عليها أخلاقيةٌ معنيةٌ بالهوية الطهورية، ثم برزت لها جوانب سياسيةٌ لكنها بقيت غير حزبية، وما اصطدمت بالسلطات إلا عَرضاً، لأنها ما ادّعت لنفسها امتلاك رؤيةٍ سياسيةٍ متكاملة.

أما الفصل الثاني من فصول العمل الثلاثة، فقد انتقلتُ فيه مباشرةً إلى برنامج «حجر الزاوية»، الذي اجترحه الشيخ العودة في قناة mbc، وقد عالجتُ في الفصل الذي هو أطول فصول

الأطروحة أبرز الموضوعات الفكرية التي طرقها الشيخ على مدى خمس سنوات.

وكان موضوع أو مفهوم الجهاد في مطلع الاستعراض والمعالجة. ولكي نفهم التطور الذي عرفه تفكير الشيخ لهذه الناحية؛ نذكر أن الفقه الإسلامي التقليدي، لدى المذاهب الثلاثة: الحنفي والمالكي والحنبلي، يرى أن علّة الجهاد هو العدوان أو خوفه. والشافعيةُ وحدهم يرون أن الكفر يمكن أن يكون عِلّةً للقتال. بيد أن الإسلاميين في القرن العشرين، لحظوا التجربة التاريخية من جهة، ومزجوها بالنظام الفقهي، فقالوا بالنوعين: جهاد الدفعِ، وجهاد الطلب، أو القتال الدفاعي، والقتال الهجومي. وقد تعرض شبّان الإسلاميين، سلفيين وغير سلفيين، لمحَنٍ صعبةٍ، في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، من خلال حروب أفغانستان والبلقان والعراق الأولى والثانية (الغزو الأميركي 2003). وما شكّل الشيخ العودة استثناءً لهذه الناحية. فقد قال بالجهاد في فلسطين والعراق ومواطن أُخرى. لكنه ما لبث أن أعرض عن النصح للشبّان بالذهاب إلى مواطن الجهاد، بعد أن رأى وعانى من هلاك الآلاف منهم بلا نتيجة تذكر، وكأنهم يقاتلون في معارك غيرهم، أو أن كل واحدٍ منهم كان ترساً في آلة لا ناقة له فيها ولا جمل. لقد خبر العودة كيف امتزج الأمرُ

بالسياسات الدولية، وبالإرهاب، وباضطراب علائق المسلمين بالعالم. ثم وصل التطوير، ووصلت المراجعة لديه إلى أُفقٍ جديدٍ تجلّى في طرح مفهوم الجهاد المدني. وهذا المفهوم يستند عنده إلى القرآن الكريم، وإلى فقه العقل والمصلحة.

وقد رأيتُ وأنا أتفحَّصُ اتجاهات التفكير والتطوير لديه، أنه يُفرِّعُ على تغيُّر نظرته إلى مفهوم الجهاد وممارسته أمرين اثنين: أمرُ الإصلاح، وأمر الإرهاب. ففي التسعينيات استند إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ (هود: 88)، ليدرس معنى الإصلاح في دعوات الأنبياء، وعلاقة ذلك بالمعارضة السياسية. لكنه في «حجر الزاوية» آثر فهماً إرشادياً وتربوياً للإصلاح وللدعوة إليه. فكما صار الجهادُ عنده حياةً، وإحياءً، وإعماراً للأرض والإنسان، صار الإصلاحُ لديه مدنيةً، ونشاطاً إنسانياً ساميَ الغاية والوسيلة.

وقد كان مفهومُ «الإرهاب» لديه إشكالياً منذ البداية. إذ إن ورود المفرد في القرآن بصيغته الفعلية، لم يعن إلا الإعداد والاستعداد، في العلم والتربية والاقتصاد وكل أسباب القوة، ولا يقتصر الأمر فيه على حمل السلاح؛ وبخاصةٍ أن آية سورة الأنفال تنتهي بالحث على الإنفاق، وهي موجّهةٌ للناسِ، وبذلك ينتصر لديه

مرةً أُخرى مفهوم الجهاد المدني، ومفهوم: توازن القوى المُراد استحداثُهُ لكي لا يشجّع الضعفُ على العدوان.

وفي السياق نفسه يحمل على أولئك الذين ألحقوا العمل الخيريَّ الإسلاميّ بالإرهاب بحجة أن بعض المؤسسات الخيرية كانت مواردها تتسرّب إلى القائمين بالأعمال العنيفة. ويرفض سلمان العودة ما حدث في 11 سبتمبر 2001 أياً يكن فاعلوه، وأياً تكن مقاصدُهُم؛ وذلك لسببين، الأول: أنه قتلٌ للمدنيين وبدون داعٍ أو مبرر؛ والثاني لأنه استُغِلَّ من أجل الحرب على أفغانستان، والعراق، وتخريب بلدين إسلاميين كبيرين. بل إنه يرى أن هناك تداعيات أُخرى لهذا الحادث الفظيع مثل الدعوة لتغيير المناهج التربوية. فهو مقتنعٌ بأن إصلاح المناهج عملية ضرورية ومستمرّة؛ لكنها لا ينبغي أن تجري تحت الضغط، ولأسباب غير بريئة. وفي السياق نفسه يهتمُ بالحملات التي تفاقمت على النشاطات اللاصفية، والمراكز الصيفية والمناشط الدعوية الشبابية، بحجة أن النشاطات كان المقصود بها التحشيد والتحريض على الإرهاب. وهو يرى أن المقصود بذلك خنق كل نشاط مدني، وحرمان الفتيان من الفرح والتعلم والتسلية والعمل الجماعي.

وخصصتُ الفقرة الرابعة من الفصل الثاني لدراسة معالجة الشيخ سلمان العودة لمسائل العيش الوطني في المملكة

والمجتمعات الإسلامية. وهو يملك موقفاً متقدماً من مسائل التعددية الاجتماعية والثقافية، ويملكُ موقفاً سلبياً من الحركات الحزبية لجهة تماهيها مع الإسلام، ولما تؤدي إليه من تفريقٍ للكلمة، ويعتبر أن عقيدة (الحاكمية) التي برزت لدى بعض الحركات يخالطها الخطأ والتحريف، كما أنه ينكر التكفير والحملة الظالمة على الخصوم لأقل اختلاف، ولا يرى علائق وثيقةً بين الحركات الحزبية والمذاهب الفقهية الإسلامية التقليدية. وله موقفٌ قاسٍ قديم من «الشيعة»، يختلطُ عنده بالموقف من إيران وما تُثيرهُ من توتراتٍ، لكنه في السنوات الأخيرة، ومن خلال النقاشات، عدَّل من موقفه بعض الشيء.

وجمعتُ في الفقرة الخامسة من الفصل أقوال وأعمال الشيخ العودة في مجال تجديد الخطاب الديني. ولديه تطورٌ ملحوظٌ في هذا المجال. فهو يرى أن التجديد في الخطاب لا يقتصر على الأُسلوب؛ بل يتناول المضامين، فالأحكام تتغيرُ بتغيُّر الزمان، فكيف بالخطاب. وهذا الأمر ليس حِكراً على الفقهاء، المعنيين بالحلّ والحُرمة، بل يتناولُ سائر المختصين. ومن المصلحة أن لا تتولى الحكومات أمر الخطاب الديني ولو لإصلاحه؛ بل هو عملٌ من أعمال الملتزمين دينياً وأخلاقياً.

ومع أن الشيخ العودة يوجهُ نقداً قوياً لدعوة ومصطلح «حرية المرأة»؛ لحمولته السلبية في الذهن الإسلامي، إلا أنه يقول استناداً للقرآن بالمساواة بين الجنسين في أصل الخَلق وفي الحقوق وفي الواجبات، ويحملُ على عادات وممارسات القسوة ضدّ المرأة، ويرى أن اكثر ما ينزل بالمرأة من مظالم ناجمٌ عن عاداتٍ وأعرافٍ لا تدعمها الشريعة ويحظرُها القرآن.

وهو لا يقصُرُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المسائل الأخلاقية، ويعتبر الدعوة القرآنية للمعروف وأخلاقه، دعوةً للفطرة ولسموّ إنسانية الإنسان. ويعتبر أن هناك فرقاً بين الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالحسبة من وظائف الدولة، أما المعروف والمنكر، فهما مفهومان يتولى تحديدهما وإنفاذهما إيجاباً وسلباً المجتمع المسلم وأفرادُه.

وللشيخ العودة عنايةٌ بارزةٌ بمفهوم المجتمع المدني. وهو يربطه بدءًا بالمدينة، لكنه يعود فيطوِّرهُ بالمفاهيم المتعارَف عليها حديثاً، باعتباره النشاط الذي تقوم به الهيئات غير الرسمية، دون أن يعني وذلك تنِاقُضاً بين المجتمع والدولة؛ بل المقصود التكامُل.

والشأنُ في معالجة مسألة الحرية عنده، مثل الشأن في معالجة موضوع ومفهوم المجتمع المدني. فالحريةُ جزءٌ أساسيٌّ

من إنسانية الإنسان؛ بل هي جوهرهُ وفطرتهُ، لكنها لا تعني الإطلاق والفوضى، بل إن نظامها وانتظامها هو الذي يجعلُ منها غايةً إنسانيةً ساميةً في المجالين الفردي والاجتماعي.

وعندما أثيرت مسألةُ المراجعات بين الحركات الإسلامية المتطرفة، عالجها الشيخ العودة في برنامجه، ورأى انها ظاهرةً صحيةٌ، فكل إنسانٍ يُخطىء ويُصيبُ، ومن لا يُراجع يستمرُ في الوقوع في الغَلط. ولذا ينبغي أن نحمل مراجعات الإسلاميين على محمل الجد.

أما الفصل الثالث من العمل، فهو يقرأ شكل وأسلوب ومنهج برنامج «حجر الزاوية». وقد عالجتُ فيه فكرة البرنامج وكيف بدأ، وكيف فكرّت الفضائية فيه، وكيف تطور لدى الشيخ بعد عامه الأول. وقد اعتمدتُ في المعلومات عن ذلك، على مقابلاتٍ أربع أجريتها، خلال عام، مع الشيخ العودة. كما اعتمدت على مراقبتي وملاحظاتي الخاصّة. وفي هذا الصدد عالجتُ مسألة تأثير الإعلام في الدعوة، أو تأثير القواعد والتقنيات الإعلامية في ما يصير إليه الدعاة، ولا شكّ ان الجمهور مؤثرٌ أيضاً وإلى حدٍ كبير.

والجمهور والبيئة العامة، لهما هنا معنيان: المشكلات والأحداث الحاصلة والتي تؤثر في اختيار هذا الموضوع أو ذاك؛

ثم استجابة الجمهور وتفاعله مع البرنامج ومع الشيخ ومع المذيع المقدِّم. وقد حاولتُ في الفقرة الثالثة من الفصل أن أظهرَ الجديد في الشكل والأسلوب في «حجر الزاوية»، كما أوردتُ بعض الأراء من الدعاء الآخرين، ومن بعض الباحثين والمتابعين، في الشيخ وبرنامجه، وناقشتُ بعض ذلك معه هو أيضاً.

وفي الفقرة الخامسة عرضتُ رؤيةً مقارنةً لبرنامج «حجر الزاوية»، مع ثلاثة برامج أُخرى قديمة ومعاصرة. فمن القديم برنامج الشيخ علي الطنطاوي: «على مائدة الإفطار». ومن المعاصر: «الشريعة والحياة» للشيخ يوسف القرضاوي، و«صُنّاعُ الحياة» للأستاذ عمرو خالد.

لقد أوضحتُ أنه كانت لي من وراء اختيار برنامج «حجر الزواية» للدراسة عدة أهداف بعضها ثقافي وبعضها إعلاميٌّ واتصالي، وبعضها له علاقة بشخصيات الدعاة الجدد، وبعلاقاتهم بالجمهور والإعلام. لكنني ركزت على جانبين في عمل الشيخ سلمان العودة: الفكري والإصلاحي والتنويري، والإعلامي الاتصالي. فعسى أن أكونَ قد استطعتُ تحقيق الأمرين الرئيسيين اللذين استهدفتُهُما: إبراز الوجه أو البعد الفكري للداعية الدكتور سلمان العودة في نضاله من أجل التجديد والإصلاح في الفكر

وفي الممارسة، ودور الإعلام ووسائل الاتصال في صياغة ونشر الأطروحات الجديدة، وعلى وجه الخصوص الأطروحة الإسلامية والإحيائية التي دانت لهم ودانوا لها في عمليات الأسلمة والتأثيرات الاجتماعية والثقافية. وبالله التوفيق.

تركي الدخيل

www.turkid.net

أبوظبي

الثامن من أكتوبر (تشرين الأول) 2010

الملاحق

الحوارات مع الشيخ سلمان العودة

أ - حوار أجريته في بيروت 25 سبتمبر (أيلول) 2009

تركي الدخيل: كيف نشأت عندكم فكرة البرنامج؟

الشيخ سلمان العودة: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين. فكرة البرنامج أنه كما تعرف قناة mbc وأظنها العربية وجميع القنوات العامة، كانوا في رمضان قد بدأوا يفكرون في برنامج ديني. وفي العادة كان هذا البرنامج الديني يعتبر نوعاً من التكميل أو مواكبة الشهر ليس أكثر، ولذلك غالباً لا يتم التفكير فيه إلا في شعبان، وأحياناً في منتصف شعبان، وكل هذا كان يحدث كل سنة في عدد من القنوات. وأذكر في تلك السنة ربما في الأسبوع الأول من شعبان، قالوا نريد برنامجاً دينياً لرمضان. يعني قالوا أن تولَّ هذا البرنامج ورتّبه كما تشاء، فاقترحت عليهم أن نجعل هذا البرنامج يومياً، ويكون بعد العصر،

وقلت لهم انه يمكن أن نختار ثلاث شخصيات، بحيث إنه كل واحد يمسك عشرة أيام. وكان في ذهني أن آخذ أنا عشرة أيام، والشيخ عائض القرني عشرة أيام، والشيخ عبد الوهاب الطريري عشرة أيام. أو نبحث عن شخص آخر في حالة الاعتذار بحيث يكون بهذه الطريقة. وافقوا هم من حيث المبدأ وقالوا: يفضًّل أنه يصير عندك بشكل شخصي لاعتبارات خاصة.

- خاصة، متعلقة بمن؟
- • متعلقة بمنافسة بين القنوات في تلك السنة كما يبدو لي.

- يعني كان هناك منافسة بين بعض القنوات على المشايخ؟
- • نعم كان هناك منافسة على بعض المشايخ، وأحيانا يكون هناك تكرار.

- يعني الشيخ عائض؟
- • ربما نعم، وإلا حتى وصل إلى حد تسجيل الدعاية، أذكر أنه ذهب لتسجيل الدعاية للبرنامج، بعد ذلك تم العدول وأصبح البرنامج من نصيبي، وكنت متهيّباً لأن الالتزام اليومي، أولاً كونك يومياً في رمضان ملتزم هذا شيء، والشيء الثاني فكرة أنك ستقدّم يومياً شيئاً جديداً للناس، والإنسان لم يجربها أيضاً، ولكن

استعنت بالله ووافقت، واعتبرت أنها تجربة تستحقّ المغامرة، فطبعاً في تلك السنة ما كان هناك وقت للإعداد للبرنامج (يقصد رمضان الموافق في 2005) فالموضوعات كانت متفرقة.

- قبل الموضوعات شيخ سلمان، إذاً يعني اختيار قناة mbc هل كان برغبة منكم أم امتثالاً للعرض الذي قُدّم؟

• هو بناءً على العرض الذي قُدّم من mbc، ولكن هذا العرض وافق هوى في نفسي، لأنه كان الحقيقة، mbc من القنوات المتقدّمة جداً في حجم الجمهور واتساع النطاق، ومن جهة أخرى التلفزيونات الرسمية، كما لا يخفاك، من الصعب الاعتماد عليها لأنها ليس لها سياسة مطّردة، وبعض القنوات الدينية جمهورها محدود، ومقروء عليه، وخاطبنا جمهورها، فبالنسبة لنا وافق هوى في نفوسنا، أنا والإخوة الذين معي.

- هل كان لديكم حرج من اختيار mbc؟

• أبداً، أبداً، لم يكن هناك من حرج بالعكس، نحن أدرنا حملة قبل هذا ونشرناها بالموقع «الإسلام اليوم» حول قضية الظهور في القنوات العامة (يقصد ربما دراسة الشيخ عبد الله الطريقي المطولة حول حكم ظهور الدعاة في القنوات العامة) وحتى القنوات غير المحافظة، أو التي عليها مآخذ في أدائها

الإعلامي، وهل هذا فيه حرج شرعي أم هذا ما فيه حرج شرعي، أدرنا قبل هذا بسنتين نقاشاً الكترونياً، وجمعنا آراء وأقوال العلماء ولم نجد أحداً يقول بأن هذا ممنوع. صحيح قد تختلف سياساتهم بين من يشجع ومن لا يشجع. ولكن كقول فقهي لم نجد قولاً فقهياً يقول بأن هذا محرّم، ووجدنا أن الأكثرية يميلون إليه من الفقهاء والعلماء، حتى ممّن لا شأن لهم بالإعلام. وأخذنا نقولاً عن الشيخ ابن باز، وعن الكثير من العلماء في هذا الخصوص.

- سآتي إلى حيث المقطع الذي وجد عندك في الـ«يو تيوب» يتحدّث عن نقد قوي جداً تجاه قناة الـ mbc، ثم بعد ذلك أصبحت هذه القناة حاضنة لبرنامج رمضاني استمر خمس سنوات، وبرنامج أسبوعي آخر أيضاً أصبحت تقدّمه كل أسبوع.

• حقيقة أنا لم أشاهده. حتى النقد هذا قديم يعني له أكثر من عشرين سنة، ولم أسمعه أو أره، وهو بالتأكيد مقطع صوتي، لكنني أكاد أتذكر -إن صدقت ذاكرتي- أنه كان يخصّ الشاب خالد وكان في ذلك الوقت يقوم بزيارة إلى إسرائيل قد يكون مثلاً. فأنا لا أستغرب أن يصبح فيه شيء من هذا القبيل، أن يكون هناك نقد، وأعتقد أن الانتفاع من هذه القناة أو الفرص المتاحة فيها، أنه أمر سائغ بمعنى أنه يمكن أن يكون هذا مرتبط بفكرة أكثر أصالة عندي وهي أنه بدلاً من أن نلعن الظلام دعنا

نضيء الشموع كما يقال، أو بدلاً من الحديث عن بدائل وخيارات وهذه فكرة جوهرية. وأعتقد أن فكري تطوّر تجاهها، أنه بدلاً من أن تبحث عن الخيارات الخاصة، الخالصة، لا... أصلح الخيارات الموجودة والقائمة، يعني في المؤسسة بشكل عام سواء كانت هذه المؤسسة إعلامية، أو سياسية، أو اقتصادية. فكرة أنك تصنع أنت مؤسستك الخاصة بك، والتي هي على شروطك، هذا خيار، والفكرة الثانية أن تستثمر المؤسسات الموجودة القائمة، بما فيها، وحاول أن تجعلها أفضل، هذا خيار آخر، أنا أرى أن الخيارين غير متناقضين ويمكن بالفعل أن يعملا معاً.

وأنا لا أتحدث عن نفسي بل أتحدّث حتى عن التيارات الإصلاحية والإسلامية أنها أحياناً تفضّل أن تقوم بمشروعها الخاص، وهذا طبعاً له إيجابيات وسلبيات، من إيجابياته أنهم يشعرون أن هذا شيء يخصّهم وأنه منهم وإليهم. ومن سلبياته أنه يكرّس الانفصال عن المجتمع أحياناً ويحوّل المجتمع إلى جزر أو شرائح متعارضة. هذا مشروع الإسلاميين، وهذا مشروع غير الإسلاميين، أياً كانوا. أما الاندماج أو الشراكة في أي مشروع قد يكون هذا المشروع وزارة صحة، أو تعليم، أو منشط أو اقتصاد أو شركة، يحقق قدراً من الاندماج والتعايش داخل المجتمع بين الشرائح المختلفة.

- أود أن أسألك تحديداً عن أنه في التسعينات كان الإسلاميون

يتحدثون كثيراً عن «البث المباشر»، ويعنون به القنوات الفضائية، كانوا يحذّرون من البثّ المباشر بلغة فيها الكثير من تخويف الناس من هذا البثّ. هل تغيّر المباشر أم تغيرتم أنتم؟ أصبح لديكم موقفاً مختلفاً منفتحاً على القنوات لأنكم أصبحتكم تظهرون فيها؟

• لا شك أنه كان هناك حديث حول هذا، وأنا أذكر كتاب الدكتور ناصر العمر، وأنا أعتقد أنه عندي كلام لكن ما أذكر أن هناك محاضرة خاصة، بل كان كلاماً عن الأفلام وعن الشباب، وكان فيه تعليقات وأخبار وحديث عن البثّ المباشر، التعامل مع البثّ المباشر حتى سياسياً، غير مستقرّ حتى الآن. لا زال هناك دول كثيرة لا تستقبل البثّ المباشر بالطريقة التي نستقبله نحن فيها. هناك طريق إما عن طريق الكابلات أو عن طريق تنظيم البثّ. عندنا الآن البث بدون شك أنه مفتوح على مصراعيه، وهذا لا شك أن فيه سلبيات كثيرة جداً. اجتماعياً يحدث اختراق كبير، وليس هناك تأهيل أو تحضير أو مناعة قوية، لكن من الناحية الفقهية ومن الناحية الحياتية أنا أعتقد أن الحديث عن الشيء المفترض غير حديثنا عن الشيء القائم. يعني الشيء المفترض، لا تدري كيف يحدث وقد تظنّه شرّاً محضاً. لكن ربما تكتشف أن خطورته ليست بالشكل الذي أنت تظنه.

- يعني كنتم تبالغون في تصوير الخطأ؟

• بدون شك كان هناك مبالغة في الخطر من الجميع، يعني هذا ليس شأناً خاصاً بنا، حتى الحكومات كانت تعتبر أن هذا خطرا. الفقهاء كانوا يُصدرون فتاوى بأن هذا غشّ وأنه جريمة بحق الأُسَر كما يذكر التربويون. الكل كان يدق نواقيس الخطر من منطلق أن المجتمع غير مهيأ لحصانة أو مناعة، ومجتمع مغلق ثم ينفتح تلقائياً على خيارات هائلة مذهلة، ولا شك أن فيها خيارات لا زلنا نحن وغيرنا نقول إنه قد يكون فيها دوائر إباحية وتبشيرية وأشياء كثيرة، لكن تبيّن مع تيار العولمة الجديد أنه بدلاً من التركيز الجديد، الحرب والممانعة التي مصيرها في الغالب إلى الاستسلام أن يكون هناك صناعة الوعي عند الناس والمناعة عند الناس وأيضاً الاستثمار، تحويلها من أزمة -كما يقول الصينيون- إلى فرصة.

- أذكر أن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في اللقاء المفتوح لما سألوه عن الدّشوش (الصحون اللاقطة) في نفس الفترة التي كان فيها حديث عن البثّ المباشر، فقال الـ «دّش» يجوز أن تستخدمه إذا كان ينزل عليك الماء، وكان يقولها على سبيل الدعابة. في البداية كان يقول إن هذا البث مثل الوعاء إن كان ما في الوعاء مباحاً فهو مباح، وإن كان غير ذلك فهو محرّم. في المرحلة الثانية أصبح يتحدّث أن هذا خطر ويجب أن يواجَه بمعنى أن الآلية

الفقهية المحضة التي كانت من قبل تغيرت مع التجييش الذي كان في ذلك الوقت؟

• هذا من جهة ومن جهة أخرى لو سألت الفقيه، لقال لك: إن الكلام الأول لا ينقض الكلام الثاني، ولكنه رأى أنه يعتني بالكلام الثاني أكثر، كنوع من التحذير، والكلام يعتبره حقاً أيضاً ولذلك الفقهاء لا أعتقد –لا ابن عثيمين رحمه الله ولا ابن باز– ولا غيرهم، لم يكونوا يعتقدون أن يكون هناك مانع من استثمار هذه الأدوات في الخير، ولا يرون أن خروجك في قناة معناها أنك مسؤول عن كل ما فيها، أو معناه إقرار لكل التفاصيل والجزئيات. لا، حتى خروجك في برنامج لا يعني إقرارك بكل ما فيه. يعني كثير من العلماء يخرجون في برامج في قنوات مختلفة، ليسوا مسؤولين عن «الشارة» لأنه في قصارى الأمر مسؤول عما يقوله هو خلال هذا الوقت.

- نعود إلى نفس البرنامج هل اختارت القناة الاسم «حجر الزاوية» أم أنتم اخترتموه؟

• كلها كانت من اختياري «حجر الزاوية» و «الحياة كلمة». حجر الزاوية كان اختياره سريعاً فلم نكن نظن أنه سيستمر لمدة خمس سنوات، لكن أصبح الاسم مقبولاً، ومعبّراً. إنه يتكلم عن نوع من البناء أولاً، والتأسيس والتركيز على الأشياء المشتركة، وكل

هذه مقاصد بالنسبة لنا، يعني نحن ننحاز إلى الجانب الإيجابي في البرنامج.

- هل هناك شكل من أشكال التزكية مثلاً أثناء اختيار الاسم باعتبار أن ما تقدّمونه هو زاوية أو أن هذا هو ركنه الركين أو شيء من هذا القبيل؟

• طبيعي أن يكون عنوان البرنامج فيه دعوة إلى الفاعلية، والإيجابية لكنه خرج عن التقليدية في العنوان. والاسم لما يشتهر لا يفكَّر فيه، يتم التعامل معه على أنه مجرد رمز لهذا البرنامج.

- هل كان لديكم فكرة أن تقدّموا برنامجاً مختلفاً؟

• هو الحقيقة البرنامج أول سنة تعاملنا معه على أنه برنامج لتلك السنة، ولكن طبعاً ترتب على التزامي بالبرنامج أنني غيرت حتى جدولي، يعني كنت أنا في العشر الأواخر دائماً كان يكون عندي جلسة بعد التراويح في مكة، من نصف الشهر إلى العيد، يأتي الشباب من الجزائر ومن ليبيا إلى السعودية ومن كل مكان، وفيه دروس، وألغيت هذا النظام بناء على البرنامج. كان هناك تغيير للجدول في تلك السنة.

في منتصف الشهر بدأنا نلاحظ ردود أفعال غير عادية، عن البرنامج، اتصالات من القناة نفسها، اتصالات من مسؤولين

ومثقفين، من أدباء، والاتصالات على الهواء. مقالات كتبت عن البرنامج. كانت هناك أصداء بالنسبة لي كان فيها مفاجأة، واكتشفنا أن هذه القناة مشاهدة أكثر مما توقعت، وأنه يمكن حتى الذين ينتقدونها، الكثير منهم يشاهدونها، ويمكن لو ما شاهدوها لما انتقدوها. اكتشفنا أن رمضان فيه فرصة مشاهدة قوية عند الناس، ولا تنسَ الإذاعة، فهي مساندة، لمن لا يشاهدونها في التلفزيون. وبانوراما، و«أم بي سي-أف أم». وفيما بعد صار يبثّ على إذاعة واحدة. اكتشفنا أن البرنامج ثلاثين جرعة صنع جمهوراً متراكماً، وأسرٌ بأكملها تشاهده، يعتبرونه جزءاً من الجو الرمضاني، والجدول اليومي، وما مضى نصف الشهر إلا وأحسسنا بأن التجربة حقّقت مستوىً جيداً. ولذلك طلبت منا القناة المواصلة على طول السنة. فبدأت أفكر في عنوان البرنامج وهو عنوان فكرت فيه طويلاً حتى اخترت هذا الاسم. وتبعاً لذلك اتفقنا على أن يكون البرنامج الرمضاني مستمراً للسنوات اللاحقة، علماً أنه لم يكن هناك أي عقد وحتى الآن لا يوجد أي عقد مكتوب بيننا وبين القناة، ولا يوجد شيء من الالتزام لا منّا ولا منهم، ولكن يوجد التزام أدبي، أننا نحن رأينا أنهم مهتمون بالبرنامج وبالذات الشيخ وليد البراهيم الذي هو مهتم بصفة شخصية، حتى أنه لما نشرت بعض الصحف عن نقل البرنامج لقناة الجزيرة اتصل بي وقال: «ما هذه الأخبار؟»، فأجبته أن هذا مجرّد كلام جرايد وما له أساس من

الصحة. فقال لي: «شف لو تذهبون إلى تلفزيون السودان أو أي قناة ثانية، أنا وأسرتي متابعون لهذا البرنامج وجمهور البرنامج هذا سيبحث عنه في أي قناة كانت. ليس لأنه في الـ mbc وإنما عن هذا الصوت وعن هذه اللغة وعن هذه الأفكار في أي قناة كانت».

- لكن هل ترون أن القناة قدّمت، باعتبارها قناة منتشرة وبجمهورها الواسع، خدمة للبرنامج؟

• والله من الإنصاف أن جمهور القناة كان بحاجة إلى جرعة دينية فوجد هذه الجرعة، ولذلك يتواصل عدد غير قليل من الأولاد والبنات مع البرنامج أو يتواصلون معنا. هم أناس بعيدون عن جو الخطاب الديني، والاستثمار في هؤلاء هو استثمار في موقع أو ميدان جديد.

- هم مسلمون لكنهم ليسوا من جمهور البرامج الدينية؟

• نعم.

- وهؤلاء وجدت أنهم يتقبلون الأفكار بشكل جيد أم ماذا؟

• وجدنا أنهم متعطشون ووجدنا أنهم بعيدون عن أي مشكلات سابقة أو تجارب سابقة فتقدّم لهم المادة فيأخذونها بكل سلاسة.

- يعني ما عندهم مواقف مسبقة؟

• ما عندهم مواقف، يسمعون الكلام ويأخذونه بمصداقية، تعرف من الناس من يسمع هذا الكلام فيأتيه ظلّ هذا المتحدث، من هو؟ ما هو تاريخه؟ وماذا يقصد؟ وهذا القول الذي يقوله هناك من يخالفه فيه؟ فتجد بعض المتحدّثين عندهم إشكالات كثيرة جداً، تشوّش على الإنسان. وبعض المستمعين لما يستمع إليك يبدأ يقول: هذا كلامه لكن فيه غيره يقول قولاً ثانياً.

- هذا يكون في جمهور القنوات الدينية؟

• نعم. لكن لما يكون هذا خالي الذهن يستمع إليك وهو خالي الذهن، ولذلك تجد كثيراً منهم يقولون: أنا مجرد ما أراك أشعر بطمأنينة، والملامح تعبّر عن المصداقية، كما قال لي واحد منهم أنا أشاهدك وأنا مسترخٍ. أنا هذا هو الذي يتناسب معي، لأني أرى أن ما نحتاجه ليس فقط في خطابنا الديني، وإنما حتى في مجتمعنا، أن نتحدّث بعيداً عن التكلّف وعن التوقّر الزائد وعن التوتّر، سواء في التلقي أو في الإرسال، والأداء. فهذا الذي كنا نهدف إليه.

- هل كنت تعاني من هذه المشكلة في قنوات سابقة مثلاً؟

• لا، لا، ما أعاني، بالعكس. سواء في قناة المجد...

- أنت أوقفت معظم البرامج تقريباً التي أصبحت عندك بعدما بدأت في الـ mbc ببرامجك الخاصة؟

• لا، عندي برامج مسجلة، في قناة «دليل» عندنا «قصة فتوى»، وفي قناة «الرسالة»، لكنني أوقفت البرامج المباشرة، لسبب وهو أننا أمام برنامج يومي في رمضان، وأسبوعي في غير رمضان، هنا أعتقد أن أكثر من هذا ربما يكون سبباً لما يسمى بـ «الاحتراق الإعلامي».

- يعني أنتم تقدّمون تقريبا...؟

• حوالي ثمانية وأربعين حلقة في «الحياة كلمة». وثلاثين حلقة في رمضان. يعني قرابة الثمانين حلقة سنوياً. تقريباً كلها مباشرة.

- لماذا اخترتم أن يكون البرنامج مباشراً؟

• أولاً بسبب الحيوية. يعني التعليق على أي حدث جديد ثم استقبال الاتصالات. والمباشر يعطي الناس إحساساً بالأهمية، تجد الناس يحرصون على متابعته بشكل أفضل مع أنه يعاد بثّه. وأصبح في هذه السنة (2009) يعاد على قناة «دليل» أيضاً.

-هل كانت طريقة البرنامج تشكّل هاجساً في البداية؟ أن تخرجوا بطريقة غير تقليدية؟

• لا، في البداية الطريقة تعتبر عادية. لأنه عبارة عن لغة حوارية.

- كيف اخترت لغة حوارية؟ وأنت المنتج الرئيسي للأفكار في البرنامج؟

• لأني جرّبت أن الحوار يسبب تقطيعاً، ويجعل الجمهور حاضراً أكثر، لأنه برنامج هدفنا أن يكون جماهيرياً. فالجمهور يعتبر كأن المذيع محامٍ عنه. وخاصة أن المذيع عنده القدرة على قراءة أفكار الجمهور، ومن خلال الموقع الإلكتروني للبرنامج، وفيه مداخلات للجمهور.

- ماذا تقصد باختيارك أن يكون البرنامج جماهيرياً؟ ما هي الوسائل التي اخترتموها غير الشاشة للوصول إلى الجمهور؟

• طبعاً الجمهور فيه قدر منهم أنا لست غريباً عنهم، يعني منذ عشرين سنة وهم يعرفونني من خلال الأشرطة ومن خلال المحاضرات، ومن خلال الدورات ومن خلال التعليم الشرعي، ومن الكتب. ولكن الحقيقة أنا لا أحب أن أكون مرتهناً لجمهور معيّن. يقولون: ترى هذا يسبّب بُعد الناس عنك، أو يسبّب عزوف الناس.

هذه اللغة كانت تؤذيني، ما كنت أحب أن يكون هناك جمهور. أنا نعم ينبغي أن أراعي مشاعر الناس وقدرتهم على الاستيعاب، لكن لا أكون مرهوناً لذلك، أو مرتهناً لهم. فكنا حريصين على أن هذا البرنامج يخاطب شريحة أوسع. كنت أراهن على أننا سنظفر بأناس كثيرين لا نكون نحن مرتهنين لهم ولا هم مرتهنون لنا بمعنى أنهم تحوّلوا إلى مجرّد أتباع لنا. هذا ليس مطلوباً ولا أيضاً، أنا أقول ما يطلبه المستمعون، دون أن أعبّر عن هدف تغييري أو فكرة، فهو الحقيقة يمكن أن تقول إن هذا «سرّ» أساسي في الموضوع. كيف تستطيع أن توجِدَ جمهوراً وتحافظ ولو بنسبة معيّنة على جمهور موجود عندك أصلاً، وتقدّم أفكاراً جديدةً يتقبلها الناس.

- تتقبلها شريحة جديدة من الناس؟

• نعم شريحة جديدة من الناس، وتطوّر الشريحة القديمة. وهذا بالمناسبة وجدناه ولله الحمد. لمسنا أن الناس أول مرة تسمع مني كلاماً تستغربه، وخاصة إذا وجدت من يشكك فيه لكن مع الوقت..

- مثل ماذا الجديد؟

• كثير حتى الدخول في القناة نفسها. يعني أول سنة كان هناك ظاهرة أنه كيف تخرج في هذه القناة؟ هذا هو السؤال الرئيسي في تلك السنة.

-كان السؤال الرئيس؟

• نعم حتى أنت في «إضاءات» أظنك سُئلت عن هذه النقطة. لكن بعد ذلك لم يعد السؤال مطروحاً إلا بشكل ضئيل جداً. وأصبح الناس يتقبلونه بل أكثر من ذلك. الناس الذين كانوا ينتقدونني أصبحوا يأخذون طابوراً للدخول إلى القناة. يبحثون عن طريقة للوصول إلى القناة.

-هل هناك أشخاص بأسمائهم؟

• أعرف جيداً هم أصدقاء لي.

-زملاء ومشايخ ودعاة؟

• نعم، نعم. في وقت من الأوقات كانوا ينتقدونني، وربما يأتون بتسويغ لهذا النقد، لكن بعد فترة ربما هم رجعوا، والرجوع إلى الحق فضيلة، وهذا شيء لا يعيَّرون به، لا بالعكس أعتبره شيئاً إيجابياً، لكن أصبحوا هم يرغبون في أن يشاركوا بهذه القنوات.

- كيف توصلتم إلى هذه الصيغة في البرنامج؟ صيغة اختيار الموضوعات مثلاً؟

• أول سنة -كما قلت- كان البرنامج مفاجئاً لي، واخترت كماً هائلاً من الموضوعات، وأفكاراً وخواطر، فاخترت منها

ثلاثين موضوعاً ما بين موضوعات تربوية، وموضوعات دعوية، في أول سنة.

- يعني صنّفت الموضوعات التي تختارها؟
- • تقريباً اخترنا ستين موضوعاً واختاروا هم مني ثلاثين.

الجمهور في الموقع الالكتروني، بعد ذلك أصبحنا نُعِدّ للموضوع. يعني إعداد الموضوعات أصبح يأخذ منّا وقتاً. آخر سنة حضّرنا للحلقات خلال ستة أشهر، بدأنا في الأفكار، وعرضتها، وناقشها الإخوان وعقدوا جلسات وورش عمل، وتم اختيار الموضوعات ثم شعار عام... الخ. قبل رمضان بشهر بل أكثر من شهر كانت الموضوعات جاهزة، وكل موضوع عنه تقرير أُعِدَّ أيضاً قبل فترة. هذا في السنة الأخيرة (2009). وكذلك ما يتعلق بالمداخلات، والإعداد.

- كيف يتم ترتيب المداخلات مثلاً؟
- • لا، المداخلات في الموقع، والمشاركات.

- قبل قليل كنا نتحدّث عن أن الجمهور.. أنك تقول إن البرنامج أردنا له أن يكون جماهيرياً، جماهيري يعني أن يطّلع عليه أكبر قدر من الناس. هذا الذي تقصده؟
- • نعم.

- والوسائل الأخرى التي استفدتم منها غير الشاشة؟

• طبعاً أسرارنا الخاصة طبعاً نحن لسنا غرباء، موقعي الإلكتروني، والـ «إيميل» بشكل كبير. تأتي رسائل الجوال، يأتي كمٌّ هائل من الرسائل على جوّالي الشخصي. تأتي ثلاثمائة رسالة أحياناً خلال يوم، واحد يؤيد وآخر ينتقد.

- وهذا كيف تستثمرونه؟

• هذا تعبير إذا كان مثلاً هناك رضىً، ونحاول أن نطوّر أنفسنا. عبر المواقع الإلكترونية، ورسائل sms طوّرناها وفعّلناها. وزد على ذلك أن البرنامج حوّلناه مع الوقت إلى برنامج له بعد اجتماعي، من خلال زيارة المؤسسات الخيرية، صحية وشبابية، بيئية واجتماعية، دعمها بتقرير أو دعمها مادياً أيضاً. وهناك فكرة أن يكون لنا في المستقبل أيضاً نشاط اجتماعي بحيث يمكن أن نلقي حلقة والتي تليها تخصّص لرجع الصدى، تفاعل الناس ووجهة نظرهم عندنا هذه الفكرة.

- بدأتم في الحوار وحدّدتم الموضوعات في أول سنة؟

• أنت ما سألتني عن المذيع؟ الأخ فهد السعوي خرج من التلفزيون، من تلفزيون القصيم، كان في برنامج غير مشهور، ولم يكن للأخ فهد حضور كبير في الإعلام ولكنه كان قريباً من الحديث

عن البرنامج، وبيني وبينه انسجام نفسي، فطرحت الفكرة عليه فوجدت أنه تحمّس لها، وفي القناة لا يعرفون الأخ فهد، فطلبوا أن نسجل حلقة، بحيث تكون الحلقة تجريبية. سجّلنا حلقة وكانت عن موضوع الإسلام والحرية.

ب- حوار أجريته في الرياض 19 فبراير (شباط) 2010

- ما هي جذور نشأتك وأبرز الشخصيات التي ساهمت في التأثير عليك؟ (من الممكن إثارة سؤال مباشر حول نشأته بناء على ما نشره في «طفولة قلب» في موقعه).

• نشأت في قرية البصر، وتعلّمت في مدرستها الأولى «المسجد» تحت إشراف شيخها «عبد الله ناصر البرادي»، ثم درست فيها الأولى والثانية الابتدائية قبل أن أنتقل إلى مدرسة «الحويزة» ببريدة.

معلمي الأول هو والدتي «نورة اللحيدان»، ومنها رضعت الأدب واللغة والأخلاق والشعر وحب الحياة وحب الناس والتسامح.

ومدرستي الثانية والدي فهد، ومنه تعلمت الصبر والعلاقات وعزة النفس والتدين.

ومن شيوخي في مرحلة المعهد العلمي: الشيخ صالح البليهي فهو أستاذي الأكبر، وقد كتبت عنه كثيراً، وتحدّثت عنه في غير

مناسبة منها «رجال عرفتهم»، ثم الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم البليهي، رحمهم الله جميعاً.

– ما حقيقة تأثير محمد سرور زين العابدين عليك؟ خاصة أنه في عام 2007 تردّدت أنباء عن لقاء جمعه بك في مكة المكرّمة؟

• الأستاذ محمد سرور، درّسني الحساب في الثانية متوسطة، ثم انتقل إلى الأحساء قبل أن أصل للمرحلة الثانوية؛ ولذلك لم يتسنَّ لي التعرّف عليه في تلك المرحلة، خاصة وأنه كان صارماً خلال فترة تدريسه لنا. تعرفت عليه عبر كتبه ومقالاته، وكان يعجبني فيها نقده لجماعات التكفير والهجرة، وخلال السنوات الأخيرة لقيته في مكة، ثم في قطر عدة مرات، ووجدت شخصية عركتها السنين، وعدّلت كثيراً من أفكارها، وكم تمنيت أن تظهر آراؤه الجديدة، وخلاصة تجاربه عبر وسائل الإعلام ليتعرف الناس إليه من خلال ذاته وما توصل إليه عبر تجربته الطويلة التي بدأت كفرد في جماعة الإخوان المسلمين السورية، ثم شخصية مستقلة ذات تأثير على عدد من الأتباع، وربما انتهت به شخصيته مختلفة عن هذا وذاك!

- الشيخ عبد الرحمن الدوسري له حضور في دروسك ومحاضراتك (إحدى محاضرات الشيخ عبد الرحمن الدوسري قدّم لها سلمان العودة وقرأ فيها الأسئلة عليه، وللدوسري تأثير كبير على الصحوة في السعودية، وقد استشهد به سفر الحوالي أكثر من مرة في محاضراته. إن كان للدوسري حضور في نتاج سلمان العودة من المحاضرات والكتب فمن المهم أن يستشهد به ويذكر المصدر). كيف كانت علاقتك به؟ وهل كان له أي تأثير في نشأتك الدينية والفكرية؟

• الشيخ عبد الرحمن الدوسري شخصية تأثّرت بها. كان قائداً ومتحدّثاً، وكثير التردد على بريدة وعلى المعهد العلمي، وعلى مكتبة ابن القيم الخيرية، وقد قدّمت له محاضرة في كلية الشريعة، وقرأت معظم ما كتب، وخاصة التفسير.

- أحداث بريدة من أبرز الأحداث التي وضعت اسم سلمان العودة في الواجهة. ما هي الأسباب؟ هل كنت في صراع مع السياسي؟ وما هي خلفيات الحدث؟ خاصة وأنك رفضت المنع السياسي لك وصرت تلقي الدروس في بيتك، ولك شريط بعنوان «اسجنونا ولكن أصلحوا الأوضاع»، هل هناك شريط بهذا العنوان، أم هي كلمة قالها العودة في الأيام التي سبقت سجنه وأصبحت عبارة يستشهد بها من بعده؟، وآخر بعنوان «رسالة من خلف

القضبان»، لكنهما شريطان لم تدرجهما ضمن المواد في موقعك الشخصي، هل ندمت عليهما أو على تلك المرحلة؟ هل كنت تطالب بإصلاح سياسي أم ديني؟ (في رسالة من خلف القضبان مطالب سياسية ساقها العودة واستعراض لمظالم فئات من الشعب كالتجار والمزارعين والبادية، وتساؤلات عن الفساد ويطالب برقابة على الأموال وكيفية صرف الثروات).

• أحداث بريدة هي إفراز لأحداث الخليج ويقظة الناس على أوضاع بلادهم وأهمية المشاركة في التفكير باعتبار المصير الواحد. وهي ككل بداية، انطلاقة بريئة غير ذات أبعاد، ويمكن احتواؤها بالعديد من الطرق، لكن سخونة الجو وسيطرة روح الخوف أملت التعامل الأمني مع الأحداث.

وأنا لم أرفض لأن المنع كان عن الدروس والمحاضرات العامة التي يتم الإعلان عنها باحتشاد الناس حولها، أما جلسات البيت فهي معتادة، وسبق أن نفّذتها غير مرة، منها: «أحاديث الربيع» وهي جلسات ربيعية تربوية، ولم يأتني منع مكتوب ولا شفوي من جلسات المنزل، وأنت خبير أن كثيراً ممن يتم التحفّظ عليهم يلقون دروساً حتى من سجنهم أو إقامتهم الجبرية، ومثال على ذلك دروس الشيخ منتظري من مقر إقامته الجبرية حتى مات رحمه الله.

أما عدم إدراج شريط «الأحداث»، وشريط «من خلف القضبان»، فهذا راجع لكونها مرهونة بوقتها، وقد حذفت من قائمة الأشرطة كل ما كان مرتبطاً بحدث خاص كأحداث البوسنة أو الجزائر أو أفغانستان أو غيرها، لأن معالجة الأحداث ليس لها طابع الخلود والاستمرار.

أنا لا ألتفت إلى الوراء، فلا أندم على ما مضى لأنه تجربة تعلّمت منها الكثير بخطئها وصوابها، ولا أعتقد أنني يجب أن أعيش في الماضي، وكثيراً ما قلت: «السجن ذكرى جميلة أتمنى ألا تعود».

شريط «خلف القضبان» ألقيته بعدما علمت بصدور أوامر باعتقالي، وكأنني أريد أن أقول كل ما في الجعبة قبل أن يحال بيني وبين القول.

- في فترة الجهاد الأفغاني كان عبد الله عزام وأسامة بن لادن يلقون كلمات بعد صلاة العشاء التي تلي محاضراتك في جامع بريدة الكبير. كيف كان موقفك من دفع الشباب إلى أفغانستان؟ وذكرت لي في برنامج إضاءات أنك لم تدعُ الشباب إلى الذهاب لأفغانستان، فصّل لنا موقفك شيخ سلمان؟

• كلاهما تحدث في الجامع الكبير حسب معلوماتي، لكن ليست بعد درسي المحدَّد، الذي كان يقام مساء الأحد، وكنا نحرص على ألا يتبعه أي نشاط آخر في نفس الوقت نظراً لظروف الحضور الذي يأتي من بلاد عدة، ويصعب عليه البقاء لوقت أطول.

وكنت أحذّر الشباب من الذهاب، وقلت هذا في مناسبات عدة، منها محاضرة كانت عن «الغربة» في مخيم كلية الشريعة، وكنت أقول للشباب: ادفعوا تذاكر سفركم للشعب الأفغاني، وابقوا حيث أنتم، ولدي مبررات كافية لهذا الموقف، منها:

عدم وجود استراتيجية محددة لهذا الأمر، وعدم وجود محاضن تربوية تحفظ الشباب من التكفير والأفكار المنحرفة، ومشاهدتي لصغر سن الذين يسافرون، وقلّة حصيلتهم العلمية والدراسية، ولخوفي أن يكونوا ضمن حرب بالوكالة لا يدركون أبعادها، وإحساسي بأن الأفغان مختلفون ومستعدون لتغيير مواقفهم بسرعة والانتقال من الطرف إلى الطرف.. الخ.

- سجنت خمس سنوات وكتبت عن السجن في مذكراتك التي تنشرها في مجلة «الإسلام اليوم»، لكنك لم تتحدث عن دور السجن الفكري، هل ساهم السجن في صقل تجربة العودة؟ وهل يمكن أن تعتبر مرحلة ما بعد السجن بمثابة التحوّل؟

• ذكرت الدور الفكري، وحقل التجربة، السجن عزلني عن مؤثرات خارجية ومنحنى فرصة الحفر داخل الذات، وبالتالي عرَّفني على نفسي، وعلى الآخرين أكثر وأكثر، وجعلني أقرأ تجارب المصلحين والعلماء عبر العصور، وتجارب المجتمعات الأخرى، فكوَّنت نفسي بشكل أفضل، وأصبحت أكثر إدراكاً لعمق مشكلة التخلّف في العالم الإسلامي.

- ذكرت في لقائنا في بيروت أنك كسبت شريحة جديدة من الجماهير هي غير شريحتك الأولى، ما سبب قبولك لدى هذه الشريحة الجديدة، والتي يمكن أن أسميها شريحة «الناس العاديين» الذين هم جمهور الـ mbc؟

• السبب أني خاطبتهم فاستمعوا إليَّ، ثم تواصلوا معي وخاطبوني فاستمعت إليهم، فالرسالة الإعلامية تفاعلية، وليست من طرف واحد، قد يكون تكويني يناسبهم، بالنظر إلى لغتي السهلة المباشرة، وكذلك طريقة تفكيري فهي أقرب إلى العفوية والسهولة منها إلى التعقيد، وأمر ثالث هو أن من طبعي التجدّد والتطوير في معلوماتي وأفكاري بحيث أقرأ دوماً كل جديد، وأعرف كيف يفكر الناس وما هي مستجدات حياتهم. وكثير من الشباب يعجبهم أن يسمعوا لإنسان يعرف لغتهم ويتسلل إلى أسرارهم ويحيط بمشكلاتهم، ولا يتعالى عليهم، فالسنّ والتجربة جعلتني أميل إلى البسطاء والعاديين من الناس، وأحترم الكبار أيضاً وأتعامل معهم بما يليق بمقامهم، وهو قبل ذلك وبعده توفيق من الله، لأنه أعطاني دوراً مرضياً أقوم به وأحسّ بأن الذين يشاركونني فيه قليل، ومنح أولئك المستمعين فرصة لحديث يناسبهم ويستجيب لتطلعاتهم.

- كيف تلقيت رسالة يوسف العييري لك؟ والتي كانت عبارة عن عتب عليك بشكل شخصي، ورأى أنك كنت المؤثر الأبرز في

تفكيره، ونشرها في تعليقات الإسلام اليوم في 2 أغسطس (آب) 2000، ومما جاء فيها: «أنت الذي قلت «اسجنونا ولكن أصلحوا الأوضاع» فكان ذلك وسُجنتم ولكن لم تصلح الأوضاع، بل ساءت وخرجتم ورأيتم السوء، وعندما خرجتم استشرفت القلوب للقياكم والجلوس معكم والتلذّذ بحديثكم، فأنتم الذين صقلتم نفوسكم وربيتموها، فأحببنا أن ننهل من نفوس تربَّت ووطنت على الشقاء وأحبّت الصبر، وعندما لقيناكم كان لفضيلتكم من الأقوال ما أحزننا».

- هل كنت تعرف العييري؟ وهل كنت مؤثّراً على تفكير الشباب وهل أنت من دعاة الجهاد؟

• لم أكن أعرفه من قبل، وأتذكر أنه زارني مع بعض الشباب، بمناسبة أحداث الشيشان، ولعل هذا ما أحزنه أنني انتقدت بوضوح فكرة الهجوم الذي شنّه بعض الشباب على داغستان، وسخرت من الأحلام التوسعية لديهم، وكذلك ما يتعلق بالقتال في الفلبين، وأن فتح الجبهات القتالية لا يجوز أن يكون فوضى ولا أن يترك للناس دون حساب.

والمجموعة الجهادية كما تسمى تراقب تغيرات الآخرين ولكنها لم تتفطن للتغيرات الضخمة التي طرأت عليها، هي كانت تبحث عن «قيادة» تترس بها وتمنحها ولاء مشروطاً مقابل تبني

رؤيتها، لم تكن نحاول أن تستبين الطريق، بل هي قد حزمت أمرها، وبدأت ترشح من تؤهله «طاقته» للقيادة، وظنوا أن فترة السجن التي مرّت بي وبزملائي د. سفر الحوالي، ود. ناصر العمر قد صنعت لنا شعبية وبعداً نضالياً، وأن ساعة المفاصلة مع المجتمعات والأنظمة التي مارست القمع قد دنت.

وفوجئوا بأنني وزملائي نحتفظ بهدوئنا، ولا نجعل من قضيتنا الخاصة سبباً في حرق المجتمعات، والمتاجرة بأرواح الشباب.

كان أول ما سمعوا إبان خروجي أن «الذهاب إلى الشيشان حماقة» وراجعوني فيها كثيراً كثيراً وبقيت مصرّاً على موقفي، مع حرصي الشديد على عدم خسارة الشباب الغضّ القابل للتأثير، ويبدو أن انحيازي للوضوح والمكاشفة في هذه المسألة تغلب على روح الاحتواء والحفاظ على النفسيات، لأنني كنت أشعر أن ثمّ خطراً قادماً.

وقد صارحت بعض المسؤولين هنا بأن فئة ولو قلّت من بقايا الجهاد الأفغاني أو من طالبان قد لا تنفع، ولكنها ربما تضرّ ضرراً مدوياً يصعب تداركه، واقترحت أن يسارع المسؤولون لمعالجة الموقف قبل تفاقمه، وحين وقعت أحداث سبتمبر اتصل بي هذا المسؤول فوراً، وقال: هل تدري ماذا تذكّرت حين رأيت الحريق؟ تذكرت تحذيراتك التي قلتها لي في مكتبي وكانت في غاية الوضوح.

- كسبت مؤخراً قضية ضد جريدة «الوطن» وفق ما نشره موقعكم في 2 يناير (كانون الثاني) 2010 على خلفية خبر جاء فيه أنك استنجدت بالمسؤولين لثني ابنكم معاذ من الذهاب إلى العراق، هل القضية عبارة عن شكل جديد من تعامل سلمان العودة مع ما يثار حوله في الإعلام؟

• قصة الوطن بالنسبة لي «مؤلمة» فهي جناية إعلامية لا مسوغ لها، وإصرار مع سبق الترصّد على حكاية غير الحقيقة، ولم يتصلوا ليعرفوا وجهة نظرنا، وتم سحب القضية من المحاكم الشرعية إلى دهاليز الإعلام ليتم قتلها خلال أكثر من خمس سنوات تغيب فيها العدالة، علماً أنني لمَّحت لهم سلفاً إلى استعدادي للتنازل إذا اعترفوا بأنهم على خطأ وأنني محقّ، وحتى بعد إعلاني عدم مطالبة الجريدة بالاعتذار لم يتصل بي أي مسؤول في الجريدة ليقول هذا موقف طيب.

أنا لست نادماً على تسامحي، لأن مبدئي يقول: اعمل الخير وسوف يتم تجاهل ما تعمله، اعمل الخير على كل حال!

- هل دعوت الشباب للذهاب إلى العراق؟ أنت اعتبرت مقاومة العراقيين للأمريكيين من الجهاد في سبيل الله في مقالك في 3 إبريل (نيسان) 2003 في «الإسلام اليوم»، ونُشر بعدها في 6 إبريل (نيسان) في جريدة الجزيرة، لكنك ذكرت في مرافعتك في

ديوان المظالم ضد جريدة الوطن أنك لم تدع الشباب السعوديين للذهاب إلى العراق، ألا ترى أن هذا فيه شيء من التناقض، أحرام على السعوديين الجهاد، حلال على العراقيين والمتطوّعين من الأقطار الأخرى الذين أشرت إليهم في مقالك المشار إليه؟ أم أنك تربط بين الجهاد بأبناء البلد فقط؟

• موقفي الرافض للذهاب لأي بلد في العالم بقصد القتال ليس متروكاً للاستنباط أو التحليل، وبياني لم يكن خطاباً عابراً أو تسجيل رأي، كانت قضية مبدئية أعلنتها على وسائل الإعلام مئات المرات، وأعيدت مئات المرات، عبر قناة «المجد» و«العربية» و«الجزيرة» و«اقرأ» والتلفزيون السعودي والصحف والمجلات، بل نشرنا مطوية طبعناها على حسابنا ووزّعت منها مئات الآلاف من النسخ وجادلنا حتى انقطعت أنفاسنا.

وبالمناسبة كان هؤلاء الشباب يظنون أننا ننفّذ مهمة رسمية، وأنا أصارحك القول إنني لم أسمع من أحد، أياً كان، كلمة «شكراً»، أو «أحسنت»، ولم أكن أنتظرها، كنت أؤدي مهمة شرعية إيمانية احتسابية لو لم أفعلها لأكلني ضميري عتاباً، لأنني كنت أرى ما لم يرَه آخرون ممن سكتوا أو اقتصر دورهم على مجرّد تسجيل موقف رافض.

أما الخطاب الموجّه للشعب العراقي فهو يتحدث عن حقهم في المدافعة إذا كانوا قادرين على ذلك، وهذا شأن آخر، مثلهم

في ذلك الفلسطينيين أو الفيتناميين أو أي أمة يتم غزوها دون سند صحيح، وهذا ما حدث بشأن العراق.

والمقاومة كانت واحدة من الأوراق المؤثّرة خاصة في ظل توتر طائفي وانفلات أمني، لكن من الخطأ الاعتماد على المقاومة بظن أنها هي صانعة المستقبل، هي تؤدي دوراً وقتياً نافعاً لو أحسن استثماره، ومن ذلك أن يدرك المحتل أن غزو أي بلد ليس نزهة مريحة فلا يكرر المأساة في بلاد أخرى.

والمقاومة هي جزء من الحل لو نسّقت مشروعها مع المشروع السياسي والوطني، لكن هذا يتطلب مستوى من الوعي والإدراك والنضج أعتقد أنهم بعيدون عنه.

- ما هي أهم التحوّلات التي خاضها سلمان العودة من خلال تعامله مع مستجدات التقنية وصراعات الإعلام؟ خاصة أنك تملك موقعاً ضخماً ومؤسسة كبيرة، كيف تأقلمت مع التقنية وهل أنت إنسان تقني على المستوى الشخصي؟

• لدينا مبادرات جيدة في مجال التقنية، فموقعنا «الإسلام اليوم» بأربع لغات يكاد أن يكون السباق على مستوى البلد، وكذلك تقنية الجوال ورسائله، والقنوات الفضائية، والمجلات، ويسعدنا أن نفتح الخط ليلجه آخرون كانوا متردّدين أو معترضين وينافسونا عليه أو يسبقونا.

ولديّ اهتمام شخصي بمستجدات التقنية، حيث أقضي

ساعات عدة يومياً مع الجوال وأتعامل مع الكمبيوتر في حدود ما يسمح به الوقت.

وفي القريب سنطرح في السوق منتجات جديدة، كالموسوعة الشاملة، والـ«آي بود»، ووسائط أخرى بإذن الله.

- بالنسبة لتسمية برنامجكم «حجر الزاوية» يقول بعض الذين تضلعوا بالإنجيل أن حجر الزاوية تعبير من الإنجيل عن المسيح، ويستخدمه الدعاة الإنجيليون الجدد كثيراً، السؤال: هل كان اسم البرنامج بتأثير من شخص في الـ mbc اقترحه عليك تأثراً بالدعاة الإنجيليين؟ أم أنك لم تطَّلع على هذه المعلومة أصلاً؟

• حجر الزاوية اسم من عندي، والحق أن تسمية حجر الزاوية تعني الإشارة إلى الحديث النبوي الذي أشار إلى أن رجلاً بنى بناءً فأتمّه إلا موضع لبنة، وأن النبي الخاتم -عليه الصلاة والسلام- كان هو تلك اللبنة.

نحن وظّفنا هذا المعنى للعناية بالأساسيات والكليات والجوانب القيمية في حياة الفرد والجماعة.

- هل من مشكلة أن يستفيد الداعية المسلم من الداعية الإنجيلي في الوسائل والأساليب؟

• الوسائل والأساليب لم يبتكرها الداعية الإنجيلي، بل

استعارها من أهل الاختصاص كالمدربين والإداريين وعلماء التطوير الذاتي، وليست حكراً على أحد، فالفطرة السليمة تعطي قدراً منها، والتجربة الإنسانية المحايدة تمنح قدراً آخر، وأنا أمارس تطوير نفسي من خلال القراءة في التراث والثقافة الغربية، ومن خلال مراقبة أدائي، وأحياناً أشاهد برامجي وإعاداتها وأسجل الملاحظات وأستمع إلى من حولي، وأؤمن بأن النجاح والتفوق ليس له سقف يقف عنده.

- تصنَّفُ على المستوى الإعلامي وفي بعض المجلات على أنك من «الدعاة الجدد»، هل يزعجك هذا التصنيف؟ وكيف تقرأ ظاهرة «الدعاة الجدد»؟

● لا أنزعج من أي تصنيف، ولا يعنيني. خبرتي جعلتني أدرك أن التصنيف مؤقت، وأن الحقيقة تنتصر في النهاية، هذا إذا كان التصنيف غير صادق، وإذا كان صادقاً فمن العدل قبوله.

لا أرى أنني داعية جديد، فعمري في الدعوة يزيد على أربعين عاماً، ولدي خبرة لا بأس بها، ولكنني أتمنى أن أكون داعية متجدداً.

مصطلح «الدعاة الجدد»؛ يُقصد به مجموعة من الدعاة إلى الله -سبحان وتعالى- في عصرنا، ظهروا في وسائل الإعلام، وتذرّعوا ببعض الوسائل العصرية والأساليب الحديثة والطرق المبتكرة في برامجهم وخطابهم؛ فأفلحوا في جذب الشباب والالتفاف حولهم.

ورغم عمومية لفظ الدعاة الجدد إلا أن الكثيرين يُطلقونه باعتبارات مختلفة وأوصاف متباينة، فقد يقصد البعض مجموعة بعينها غير ما يقصده آخرون، وقد يُطلق على سبيل الذمّ أو المدح.

ومسألة «الدعاة الجدد» كغيرها من القضايا، تحتاج عند تعاملنا معها إلى إنصاف وعدل وتجرّد، فإن محاولة الإنصاف والعدل والتجرد ومحاكمة النفس تجنّب الناس أكثر من 80% من مشكلات مثارة بل ومفتعلة تسبّب جدالاً عريضاً، نتيجة تقييم خاطئ متشبّع بمعانٍ سلبية لم تُبنَ على عدل وإنصاف أو معنى إيجابي.

فالعنصرية مثلاً والغيرة والحسد صفات تؤثّر على أصحابها في تقييم الناس وإقصائهم، حتى لو كانوا في مجتمع واحد، وعمل مشترك؛ فتفرز ملاحقة الأخطاء والتركيز عليها وتبويقها، وقد يظن أصحابها أنهم يقومون بعمل نافع طيب.

الدعاة الجدد يقومون بدور في الدعوة لا يقوم به غيرهم؛ فقد وصلوا إلى فئات من الشباب والفتيات من شرائح لا يستطيع غيرهم الوصول إليها.

وهم يتحدثون في ما يحسنون؛ من وعظ وإرشاد وقصص وسيرة وتطوير ومخاطبة للمشاعر، ويتحاشون الولوج في أبواب الحلال والحرام والفتاوى والقضايا الفاصلة، وهذا في نفسه أمر جيد.

لكن إهدار جهود هؤلاء الدعاة ووصفهم بأنهم لا قيمة لهم بدعوى أنهم لا يمتلكون قيمة معرفية هذا أمر ليس بالجيد.

فالناس والجمهور العريض لا يبحثون عن قيمة معرفية بقدر ما يبحثون عن جانب عاطفي، وتحريك لمعاني الإيمان، والتبشير بالرحمة والمغفرة وعمارة الأرض والنفس، وتفجير طاقات الإنسان، وتوجيهها نحو الخير العام؛ ولذلك ينجذب الناس إلى من يخاطب العواطف إذا أفلح ونجح في خطابه.

ولهم أيضاً تأثير جيد في عصر ثورة الإعلام وانفجار الفضائيات، وكم رأينا جذبهم لشباب عكفوا على مسلسلات هوليود وأفلام الغرب، التي أحدثت فيهم اغتراباً، وانطبعت في وجدانهم وسلوكهم، ووجهت عقولهم ونظرتهم؛ فركّز الدعاة عليهم وتجاوبوا مع ثورة الإعلام والعولمة واستخدموا التقنية بشكل صحيح.

وجود ظاهرة الدعاة الجدد في تقييمي ظاهرة إيجابية، والأخطاء أمر طبعي لا يسلم منه أحد، وقد اطلعت على تقارير استخباراتية غربية وإسرائيلية؛ تسرّبت ونُشرت في الإنترنت، تتحدث عن عدد من الدعاة، وخطرهم وتأثيرهم وقدرتهم على تهيئة المجتمع للأصلح، وفي التقارير نفسها خطوات حثيثة لعرقلة مشاريعهم وجهودهم.

المسلم يفرح بالإيجابيات، ويستبشر بها، ويساعدها ويفتح لها صدره، ويصحّح ما يحتاج تصحيحاً، وكلنا في سفينة واحدة.

- يظهر بينك وبين المذيع السعوي الكثير من التفاهم أثناء البرنامج، عبر ترتيب المداخلات، والأسئلة، حدثنا عن هذه الخلطة التي أسهمت في نجاح برنامجكم؟

• هذه خلطة سرية، قوامها الانسجام النفسي والفكري بيننا، والحوارات هي نتاج ذلك الانسجام، والذي يحدث أنني أفكر في الحلقة وأقرأ حولها، وهو من جهته يفكر ويقرأ ويتابع ما ينشر في الموقع الإلكتروني أو رسائل الجوال، ثم نتحاور حول الحلقة قبل بدايتها ولو على طاولة الاستديو وأحياناً نفضّل أن يستقل كل منا بما لديه وندع لسياق البرنامج أن ينسق الأفكار.

ج- حوار أجريته في دبي 10 يونيو (حزيران) 2010

- نسبت إليك صحيفة «التجديد» المغربية إعلانك الانتساب إلى جماعة التوحيد والإصلاح حدّثنا عن هذا الانتساب؟ هل كان تنظيمياً أم شكلياً؟

• أنا زرت المغرب، زرت حركة الإصلاح وألقيت محاضرات على أعضاء الحركة. وتحدثت إليهم عن كثير من قضايا التجديد والدعوة والإصلاح. وعملوا لقاءً معي في الجريدة، وفي الواقع أنني لحظت أن من أفضل ما لاحظته فيهم أنهم لا ينتمون، امتدادهم

مغربي، وليس لهم أي امتداد خارجي. لا ينتمي إليهم أحد من خارج المغرب. هم حركة مستقلة يعني محلية. ولكنهم دائماً ما يحدثونني بأن هناك توافقاً بيني وبينهم. ولم أقل إنني أنتمي إلى الحركة، لا فكرياً ولا تنظيمياً وإنما أشعر بأن الأفكار التي يحملونها تتوافق مع كثير من الأفكار التي أقولها. هو شكل من أشكال وقع الحافر على الحافر. يعني لا يجب أن أكون أنا أخذت منك الفكرة أو أنت أخذتها مني. قد يكون هناك اتفاق.

- ما الذي يعجبك في أفكار جماعة التوحيد والإصلاح؟

• بالدرجة الأساسية أنا لاحظت أن عملية التنظيمات في الغالب تفضي إلى قدر من الجمود والتقليد والتحجّر. التنظيم يبدأ وسيلة وينتهي إلى غاية. ويصبح يحكم على أهله أن يتمسّكوا بهذه الأطر وأن لا يخرجوا عنها، ثم ربما يضعف حتى الانتماء العام للوطن أو للمجتمع أو للأمة. يكون انتماء الإنسان للجماعة هو الأقوى. وفي الوقت ذاته لا شكّ أن الفردية ليست مطلباً، وإنما كلما أمكن أن يكون هناك روح فريق كان هذا أفضل. فكف نوفّق بين وجود قدر من التنسيق مع عدم الانغلاق؟ هذه أشبه بالمعجزة. لحدّ الآن أنا ألحظ أن الإخوة في حركة التوحيد والإصلاح، لحدّ الآن حققوا قدراً جيداً من النجاح في هذه الجزئية. وهذا ما أوصيتهم فيه كثيراً أن يكون عندهم استعداد للمراجعة المستمرة

لأنفسهم والتأكيد على أن لا يعتبروا أنفسهم هم الإسلام، وإنما أن يعتبروا أنفسهم جزءاً من الحراك الموجود في المغرب.

- يعني أنت لا ترى أن التنظيم مشكلة بحدّ ذاته؟

• المشكلة في ما يتولّد في الغالب من الانتماء بالعكس، هو التنظيم كترتيب الأشياء وتنظيم الفرد لوقته أو لبرنامجه أو تنظيم الشركة أو المؤسسة، لا يمكن أن يكون نجاح إلا فيه. لكن التنظيمات الإسلامية أو الحركات الإسلامية مشكلتها أنها تنظيمات فكرية في الغالب قد لا تكون منضبطة إدارياً بقدر ما هناك نوع من تعميق الانتماء عند الأفراد لهذا التيار.

- هل سبق أن انتميت إلى تنظيم من هذا النوع؟ في السابق ولو أثناء صغرك مثلاً؟

• في صغري كنا ضمن مجموعة تعرف في المعهد العلمي في بريدة وكانت هناك تيارات حركية لم تكن متبلورة بشكل واضح. تعرف وجود حركة الإخوان في مصر.

- يعني كان فيه تيار الأخوان المسلمين والتيار السروري إن صحّت العبارة؟

• التيار السروري لا يسمّي نفسه بهذه التسمية.

- الشيخ محمد سرور في لقاء معه على قناة الحوار ذكر أن هناك تنظيماً؟

• نعم كان هناك تنظيم لكن ليس اسمه سرورياً.

- يعني التيار الذي ينتسب إليه فلان وفلان يعني المشكلة ليست في المسمّى؟

• لا لا حتى في المسمّى. حتى الشيخ محمد سرور في تقديري أنه عمل لا أقول تعديلاً لكن تغييراً جوهرياً في كثير من مرئياته وتصوّراته في مقابلته قبل شهور. وجدت فيه شخصاً آخر غير الشخص القديم الذي أعرفه تماماً في الحقيقة. صار يحمل رؤى أكثر انتماءً للأمة وأكثر انتماءً للتجربة. ولذلك تمنّيت أن يملك فرصة أو أن يعبّر عن الرؤى الجديدة التي لديه ليقارن بينها الناس من باب الإنصاف. ولكي لا يكون هناك مجموعات يُظنّ بأنها تنتمي إليه.

- إذاً أي تيار يمكننا أن نعتبر أنك كنت تنتمي إليه في فترة المعهد؟

• حقيقة يعني لا يمكن تسميتها. لأنها في مرحلة كانت مرحلة طفولة. والمرحلة المتوسطة ويمكن الثانوي. فالجوّ كان تربوياً ونشاطاً مدرسياً، أكثر مما هو انتماء حركي. لهذا، الجو كان

جوّاً عاماً، كان فيه أعداد كبيرة من الناس بعضها يعي، وبعضها لا يعي ذلك. وبعضها قريب وبعضها بعيد، وفيه مشايخ مثل شيخي صالح البليهي رحمه الله. والأساتذة الذين كانوا يدرّسون في المعهد، ربما حوالي عشرة، هم ضمن هذا الحراك. لكن يغلب على ظني أن أكثرهم هم أصحاب توجه خير ويتعاملون مع كل بادرة إيجابية وطيبة، يتعاملون معها بتفاعل.

- بعد تركك للجماعة هذه، أنت قلت إنك في الثانوية تركتهم؟

• لا لا ليس بهذا التحديد. لكن هذه المرحلة كانت مرحلة التكوين. لكن كان ربما حتى في الجامعة، كنا في نشاط قوي في الكلية.

- يعني يمكن القول إنك ابتعدت عن هذه المجموعة؟ أو عن الانخراط التام معهم بعد الجامعة؟

• يمكن، قد يكون هذا صحيح.

- لماذا اخترت أن تبتعد؟

• والله أن أختار نفسي أن أعبّر عن نفسي، وفي الوقت الذي أحرص فيه دائماً على أن لا أكون خصماً لأيٍ كان قدر المستطاع، لأن الخصومة من حيث المبدأ لا تكون إلا عن ضرورة، وأنا أحاول

أن أكون مع التيارات الإسلامية المختلفة. مع الإخوان المسلمين، مع السلفيين مع الصوفية المعتدلة، مع المستقلّين، وهؤلاء يمكن هم الذين يروق لي أمرهم أكثر من المشايخ والفقهاء والمصلحين قادة الرأي، وأيضا أنا أختار بشكل أفضل وأكثر الجمهور العفوي العادي الذي لا يكون متشكّلاً، أجد نفسي مع هؤلاء بالفطرية العفوية، بالبساطة أكثر من الناس الذين قد يكون الأمر لا يخلوا من نوع من الصنعة، أو التكلّف، فالانتماء يحول بينك وبين كثير من الناس، وكما قلت لك قبل قليل في البداية إنه سؤال التجديد والإصلاح في المغرب، أن الانتماء غالباً يكون مؤداه التعصب، ويشل حركة الفكر، يجعل الإنسان أسيراً لموروث معيّن قد عاش فيه ذكريات جميلة ونشأ عليه لحمه وعصبه ولحمه، فيعزّ عليه أن يقوم بدور التصحيح أو المراجعة لذلك أنا دائماً أُكبِر الناس الذين يملكون القدرة على المراجعة والخروج من هذا النفق.

- ما هو موقفك من التيار الليبرالي السعودي؟ من خلال بحثي لاحظت أنك لم تتطرق إليه إلا مرةً واحدة.

• دائماً أن أقول إن الموقف الشخصي ليس تعبيراً عن الموقف الشرعي، يعني لما يكون عندي موقف هذا موقف فلان وليس موقف الشريعة، لأن الإنسان لا يمكن أن ينطق بالشريعة، لأن الشريعة لا يقول بها إلا مجموع الناس، أما الموقف الشخصي فهو

يعتمد على الإمكانيات والقدرات، بمعنى أن ليس لديك قدرة أن تقاتل في كل ميدان وفي الوقت ذاته تشتغل في البناء والإصلاح. هذه واحدة، الشيء الثاني أنك أنت عندك طبيعة خاصة طبيعتك ربما تميل إلى التصالح مع الناس إلى إحياء الجانب الإنساني إلى التأثير المباشر وغير المباشر بدلاً من أن تميل إلى عملية التصنيف ثم الاستعداء والاستعداد للنزال، فهذه مسائل يختار كل إنسان ما يناسبه منها.

في ما يتعلق بالتيار الليبرالي، أنا ألحظ أن التيار الليبرالي السعودي هو تيار محلي، بمعنى أنك لا تستطيع أن تحدّد مدى وجود هذا التيار، مدى اتساعه وامتداده ومدى ما يمثله، وما هي أفكاره. بل كثير ممن يوصفون بهذا الوصف لو قارنتهم ببلد آخر، في مصر أو في المغرب أو في بعض البلاد وجدت أن هؤلاء أنهم أقرب إلى التيار الوطني أو التيار الإسلامي. لا شك أن الكثيرين ممن يوصفون بهذا هم لا يقولون عن أنفسهم هذا أو قد يقولونه بضرب من التفسير. تجدهم مصلّين، تجد عندهم قِيَماً أخلاقية.

- هل تتعارض الليبرالية مع القيم الأخلاقية؟ ومع التدين؟

• هذا يعتمد على التفسير، قد يُفهم من الليبرالية على أنها عدم الانتماء إلى حزب معيّن. هذا واحد من المفاهيم. وقد يفهم منها «الحرّ» من الحرية. أعتقد أن الليبرالية لفظ

مطاطي يحتمل أكثر من معنى، ولذلك التعبير عن تيار معيّن بأنه ليبرالي هذا مجازفة فكرية، والمشكل أن بعض هذه المصطلحات الذين يطلقونها ويروّجونها قد يكونون من غير الواعين، من غير المثقفين، ثم يتلقّفها المثقفون ويستجيبون لها وتصبح أداةً للتصنيف في ما بينهم، وأداة للحكم، وهي أصلاً بحاجة إلى إعادة نظر لأن التصنيف والنقد وتنزيل الأشخاص على هذا التصنيف، في الغالب، هو عمل الكسالى الذين لا يريدون أن يقرأوا وأن يحدّدوا وأن يقولوا إن فلاناً يصيب في كذا ويخطئ في كذا، وإنما يريدون فقط أن يقوموا بعملية الفرز للناس، هذا هنا وهذا هنا، أسهل يعني.

- إذاً أنت تعتبر أن هذا التيار لم يتشكّل بشكل واضح أنت تتحدث عنه؟

• في الغالب، إن القضايا التي يدور عليها الجدل ليست شرعية منصوصة، ليست من صميم الدين وإنما هي أمور يغلب عليها البعد الاجتماعي. وجانب الخوف المتبادل. الخوف الذي يجعلني أنظر إلى الآخر على أن ما يقوله ليس كل ما لديه، وإنما هذا فقط رأس جبل الجليد.

- وأنه يستبطن أشياء أخرى؟

• وأنه يستبطن أشياء أخرى، ولذلك لما ننظر مثلاً إلى عملية حجاب المرأة أو قيادة المرأة للسيارة. لو تمّت معالجة هذه القضايا بروح ثقة متبادلة قد لا تجد فارقاً كبيراً بين إسلامي وغير إسلامي. لكن لما يتم توصيف هذه الحالة على أن هذا إنسان كلامه جزء من خطة مضمرة عنده، والآخر أيضاً غير الإسلامي أو من تسمّيه بالليبرالي ينظر للإسلامي حينما يتحدّث على أن هذا جزء من الموضوع وأن لديه ما هو أبعد من هذا. طبعاً هذا دائماً ما يفكّك إمكانية الحوار داخل الوطن الواحد.

- لماذا تحولت المرأة إلى «قضية» وهل لدينا شيء اسمه قضية المرأة؟

• هو تاريخياً لا يوجد في التاريخ الإسلامي شيء اسمه قضية المرأة. ولكن في الواقع بدأت تتشكّل مثل هذه القضية سواء كانت خطأً أم صواباً. هناك مسألة تقلّص دور المرأة في المجتمع بشكل كبير، تراجع دور المرأة في التنمية، الثقافة المتوارثة عن المرأة. البطالة ليست فقط عند الشباب بل حتى عند المرأة نفسها، ثقافة المرأة عن نفسها، التعامل مع المرأة كجسد، هذا نموذج. تجد أن هناك الكثيرين يتعاملون مع المرأة كجسد يمكن للإنسان أن يستمتع به. هذه زاوية، لا ينظر إلى المرأة على أنها مبدعة واعية مثقفة، حتى معنى الحب كيف يمكن التعاطي معه.

وبالمقابل، لما تأتي إلى الشاب المتديّن تجده يتعامل مع المرأة كجسد كيف يمكن حراسته.

- على أنها موضع فتنة، سواء أن يستمتع بها أو أن يصان؟

• بينما النظر إلى المرأة كإنسان، هناك ندّية وهناك تكافؤ في القرآن الكريم في موضوع المرأة والرجل حتى أن لفظ الزوج في اللغة العربية يطلق على الذكر وعلى الأنثى، وهذه لغة القرآن الكريم. التي جاءت في النصوص الشرعية، أن الزوج يطلق على الرجل وعلى المرأة. مثلنا نحن نقول عروس وعريس. هذا خطأ لغوي، الصواب أنهم كلهم يسمون «عروس» الرجل والمرأة. فهنا مسألة التكافؤ لما يقول مثلاً:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ (المجادلة: 1).

المرأة هي التي جاءت للنبي -صلى الله عليه وسلّم- تشتكي من الذي حصل وأن الرجل قد ظهر منها وقال أنتِ عليّ كظهر أمي، وتقول: «أشكو إلى الله أولاداً إن ضممتهم إليّ جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا». والفتوى لها من النبي عليه الصلاة والسلام في البداية قال: «ما أراد إلا قد حرمتي عليه». هي انتقلت من خطاب الرسول عليه الصلاة والسلام الشكوى إلى الله. وفي نفس اللحظة ينزل الوحي. الله تعالى في سماواته ينزل فورياً بشأن امرأة (قد

سمع قول التي تجادلك). ليس فقط حوار وإنما جدال أيضاً وتشتكي إلى الله، (والله يسمع تحاوركما) ثم يبيّن لها الحكم. ومراحل الكفارة الموجودة لتقوم هي بإيصال هذا الأمر إلى زوجها، حتى عملية الكفارة تدفع جزءاً من الكفّارة عن زوجها. هذا المستوى من التكافؤ في القرآن الكريم تجده في كثير من الأحيان غائباً.

- هل بدأ يتحرّر مفهوم جديد عند التيار الإسلامي في ما يتعلق بالمرأة؟ لتخرج المرأة من كونها هي آخر حجر في البيت الإسلامي؟ صارت هي المفصل للنزاع الفكري يعني؟ أو كرة تتقاذفها التيارات؟

• الكثير من التصنيفات تتكئ كثيراً على الآراء المتعلقة بالمرأة. وطبيعة الحال بالنسبة للمرأة هو بعد له جانب اجتماعي لا يمكن تجاهله بمعنى أنه ليس من المناسب أن تتم معالجة قضية المرأة بعيداً عن مراعاة البعد الاجتماعي. المرأة ليست بحاجة إلى حالات انقلابية أو مفاجآت. قد جرّبت أن الإصلاح يتطلّب هدوءاً أو إصلاحاً. أهمّ شيء أن نسير على الطريق ذاته، وإلا فإن بعض حالات الإصلاح قد تنعكس. فعلى سبيل المثال خذ الجانب القبلي الطبقي في المجتمع. لما تأتي مجموعة من الناس ويتواصون بعملية التزاوج المتبادل لإلغاء هذه العصبية أو العنصرية الاجتماعية، تكافؤ النسب هذا من الممكن جداً أن يفضي إلى ردّة فعل عكسية

تجعل الموضوع يترسّخ أكثر. خاصةً إذا كان السياق لا يسمح به بمعنى أنه ليس الإنسان إذا ضعف يحتاج فقط إلى أحد يقوم بدفعه، وإنما الأمر لا يزال له قدر من الرسوخ. أقول في ما يتعلق بالمرأة الذي أعلمه أن التيار الإسلامي ليس لديه مشروع حقيقة في هذا الموضوع. ليس هنالك مشروع واضح. التيار الإسلامي هو أحياناً يقاتل ضد أشياء طارئة وكأن مشروعه هو المحافظة على الوضع القائم، هو لا يؤمن بأن الوضع القائم مثالي يرى أنه هو أفضل الموجود. وليس عنده بديل معيّن، وغياب حوار عميق وصادق في هذه الجهة قد يكون أفرز مثل هذا بحيث أوجد حالة من التوجّس، بحيث إننا نقول أبداً اتركوا المناهج الدراسية بحالها أفضل من مناهج نزعم أن الأمريكان سوف يكتبونها لنا. اتركوا قضية المرأة في وضعنا وفي مجتمعنا على ما هي عليه أفضل من أن تكون المرأة مثلما هي في بلد كذا أو في بلد كذا.

- انتقدت إخوان بريدة في كتابك «الفقه بين التشديد والتيسير»، هل التجديد في الدين مرتبط بالتأويل والفقه أم أيضاً مرتبط بالسلوك والواقع والحياة؟

• نعم في الواقع هذا الكتاب قديم جداً وهو أول ما كتبته كما أعتقد. وهو ليس نقداً مباشراً للإخوان، بمعنى أنني لم أسمِّ الإخوان ولا عبد الله الدويش رحمه الله، بل لأن عبد الله الدويش هو الذي

ردّ على هذا الكتاب فصار اسمه مرتبطاً به وهو ردّ غير مطبوع أيضاً. الكتاب كان نقداً لظواهر مثل رفض الدراسة النظامية، مثل قضية كروية الأرض دوران الأرض والقضايا الفلكية، الانغلاق، المبالغة في الأشياء، وهذه ظاهرة في تلك المرحلة كانت موجودة ولا تزال آثارها موجودة في أكثر من مكان. يعني نوع من التشدّد الديني والانغلاق والرأي الواحد والعسف للناس على رأي واحد مما يؤدي إلى قدر من النفور، واعتقاد الإنسان أيضاً أنه مصدر لإعطاء الحكم للآخرين والحكم عليهم، وأن ما عندي صواب لا يحتمل الخطأ وما عند غيري خطأ لا يحتمل الصواب، فكانت تلك محاولة مبكرة ولقيت دعماً وقتها من شيخي الشيخ صالح البليهي وكتب مقدمة للكتاب، وأوذي بسببي أذىً كبيراً.

- من قبل إخوان بريدة؟

• من قبل بعض الذين اعتقدوا أن الكتاب موجّه إليهم بشكل شخصي يعني. أما مسألة التجديد فأنا أعتقد أن التجديد مرتبط أصلاً بالفكر، والتجديد هو تجديد الفكر، ولأن السلوك هو أثر عن التفكير فأعتقد أن سلوك الإنسان في الغالب هو أثر عن تفكيره، فالتجديد يعتمد على الفكر، تجديد الوسائل، وتجديد اللغة، لكن هناك تجديد المحتوى، تجديد الطرح، الذي يتناوله الإنسان، تجديد الأفكار بمعنى أننا لا نعتقد أن كل الأفكار الصحيحة

المرتبطة بالحياة أو بالدين قد قيلت. بل هناك أفكار كثيرة وهائلة وضخمة لم تُقَل وينبغي أن تقال وأن يكون هناك حراك فكري وتجدّد بالتقاط الأفكار الصحيحة والجميلة، وتوظيفها بشكل إيجابي.

- هل يمكن تصوّر سلفية جديدة؟ أم أننا أمام مصطلحين متنافرين؟

• السلفية ينبغي أن تكون مذهباً وليست حزباً، فنحن حينما نقول السلفية يعني الانتماء للأصول. بقدر الانفتاح على العالم والمتغيرات والمنجز الحضاري، أياً كان مصدره. أنا في نظري هذه هي السلفية الحقيقية. أما أن تكون السلفية هي انتماء إلى مرحلة معيّنة وكأننا نريد أن نعود إلى تفاصيل تلك المرحلة فهذا أمر متغيّر. الناس يتغيّرون في ملابسهم وفي عمرانهم وعاداتهم وأعرافهم. والمقصود الاستمساك بالمنهج وليس التقليد. والسلفية من أهم أسسها رفض التقليد. هذا معروف في أدبيات السلفية. أصبحت القصة اسماً عند البعض، يقصد أنه يهتم بالعلم الشرعي، ولكن دون أن يلتفت إلى المعنى الأسمى.

- أين كنت حينما تلقيت نبأ سبتمبر؟

• كنت في بريدة، وكان عندي ضيف من جدة. وأعتقد الأخ أنور عسيري كان زارني في بريدة في ذلك اليوم. وأظن أنه هو

الذي اتصل بي وأخبرني بالخبر. وفي ذلك الوقت لم يكن لديّ القنوات الإخبارية.

- ما هي مشاعرك الأولى فور سماع الخبر؟
• كانت مشاعر اندهاش وتخوّف.

- تخوّف من ماذا؟
• تخوّف، لم أكن أعرف بالضبط من وراءها، فالتخوف من وجهين فهناك احتمال أن يقوم هناك صدام حضارات دولي، وهذا بالتأكيد ليس من مصلحتنا البشرية، والتخوّف الثاني كان عندي هاجس خفي أن يكون إسلاميون وراء مثل هذا العمل وإن كنت وقتها مستبعداً أن يصل الأمر إلى هذا الحدّ. ومع ذلك كان هذا الهاجس عندي غير مستبعد خاصةً وأنني كنت أتوقع أن يحدث شيء ما يعني من خلال وجود طالبان في ذلك الوقت وبعض شباب الجهاد. كنت أذكر وقتها أنني ذهبت، ربما قبل 2001 بسنة، في لقاء مع الأمير محمد بن نايف في جدة، وحدّثته عن التعامل الرشيد مع التيارات الجهادية في أفغانستان، طالبان والمجموعات التي تنتمي إليها، وضرورة إيجاد خطة استراتيجية وللقدرة على تغيير توجهاتهم وأفكارهم قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه، وأذكر أنني قلت له إن مجموعة قليلة قد تلحق الضرر بك إلى حد كبير.

- كشخص أو كدولة؟

• لا، كدولة. العجيب أنه بعد الحدث، أظن في نفس الليلة اتصل بي الأمير محمد وقال لي وأنا أشاهد الحدث: «تدري ماذا أتذكر؟». قلت له: «لا». وحينما كلّمته طلبت أن يكون مثل هذا الأمر بيني وبينه يعني لا أريد أن ينسب إليّ إبداء المخاوف أو الترقّب، فأنا قلت هذه قضية ممكن تفكر فيها وتدرسها وتنظر إلى أي مدى هذا الخطر موجود. كلامي له قبل 11 سبتمبر بعشرة أشهر. كنت أحسّ وأشعر أن هناك انحرافاً بدأ يحدث، بدأ يتصاعد. كان هناك نوع من الانتماء الجهادي السابق في أفغانستان... الخ موجود. كان يمكن استيعاب القادمين ودمجهم في المجتمع. لكن الغفلة بحيث يتطوّر إلى امتلاك أمر صعب.

- هل كان يمكن أن يمر سلمان العودة خلال تاريخه كله بمرحلة يمكن أن يكون فيها عضواً في تنظيم القاعدة؟

• أنا لا أميل إلى التنظيمات التي تحجّم طاقة الفرد. والأمر الثاني لو كنت عضواً في تنظيم لكان يجب أن يكون هذا التنظيم تنظيماً يدعو إلى السلام الداخلي في البلاد الإسلامية، وإلى التعاطي بإيجابية وثقة مع المنجز العالمي. ثالثاً أنا بطبعي وطفولتي لا أميل إلى المصادمة على الإطلاق. كنت أتمثل المثل الذي يقول: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن أخذ منك القميص فأعطه الرّداء أيضاً.

- برز اسمك في سويسرا تحديداً كممنوع من السفر ومشتبه بالتمويل لماذا؟

• لم يذكر السويسريون موضوع التمويل، احتجوا بوجود فتاوى تدين الصهيونية في موقع «الإسلام اليوم» وتبيّن شرعية مقاومة الاستعمار اليهودي في فلسطين، وأعتقد أن اليمين المتطرّف المسيطر على وزارة الداخلية هو المسؤول عن هذا الإجراء.

- هل أنت عدو للغرب؟ في زيارتك قبل أيام لليبيا احتفت بك الصحف الليبية كشيخ له موقف معادٍ للغرب، وعلى هذا الأساس احتفى بك البعض. هل هذا صحيح؟ خاصة أنك مؤمن بمركزية العلم في الغرب، فأبناؤك يدرسون في الخارج في أرقى عواصم أوروبا؟

• لم أطّلع على الصحف الليبية. زيارتي ليبيا باعتبار كثرة المتابعين لـ«حجر الزاوية» و«الحياة كلمة» فيها بشكل لافت، وباعتبار علاقتي بعملية المراجعات التي تمّت داخل السجن للجماعة المقاتلة وتقويمي لكتاب المراجعات الصادرة عن قيادات الجماعة.

الاحتفاء كان ذاتياً وشعبياً ورسمياً ضمن توجّه نحو الانفتاح العروبي والإسلامي والعالمي، ونحن نشجع هذا الانفتاح ونشارك

في فعالياته، ولم تكن الزيارة ضمن استقطاب أو موجّهة ضدّ أحد. أما التعليقات عليها فتعبّر عن توجهات الكاتبين ليس غير.

- هل وقّعت على مذكرة النصيحة؟ وكيف كانت آنذاك رؤيتك الإصلاحية؟ عبد العزيز الخضر في كتابه يرى أنك كنت أقرب إلى المعارضة، وفي موضع آخر من كتابه يرى أن المعارضة استغلت سجنكم للترويج لنفسها كما يذكر ذلك محمد المسعري نفسه في حوار أجري معه في لقاء على قناة «الحوار» تحدث فيه المسعري لمدة خمسين دقيقة عن تأسيس «لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية» وذلك في 20-2-2010.

• نعم؛ وقّعت على المذكرة، ولم أكن ضمن من أعدّوها. ولغتنا في تلك المرحلة تؤهّل لذلك التصنيف ولو بشكل جزئي، والمعارضة ليست عيباً بذاتها، العيب هو التعصّب والجمود.

- هل كنت عضواً في لجنة الحقوق الشرعية؟

• لم أكن عضواً في تلك اللجنة، ولم يكن لي بها علاقة كمشروع أو مؤسسة.

- كنت تشارك في التوقيع على البيانات لكنك عدلت عن ذلك مؤخراً، لماذا؟

• كنت إلى وقت قريب أوقع على بعض البيانات التي أوافق

عليها، ثم رأيت أن البيانات غالباً تُكتب بصيغة توافقية ولا تعبّر عن الشخص بذاته فعدلت عنها، وصرت أكتب بنفسي ما يعبّر عن ذاتي دون أن أشارك الآخرين أو يشاركوني في ذات الورقة.

- الكثيرون يطرحون أن العودة لم يعد يعتمد خطاباً متوتراً وحماسياً. هل هذا نوع من التغيّر أم هو عامل التطوّر والنضج وتقدّم السن؟

• لا فرق، فالتطور والنضج الفكري والعمري هو نوع من التغير، ولا شيء يُفقد الإنسان قيمته كالوقوف عند مرحلة معينة وكأنه بلغ الكمال.

- ما هي الآليات التي ترى أنها ضرورية لنشوء خطاب إسلامي عصري؟

• أجد أن ثمّ مواصفات لخطاب عصري إسلامي، يتجاوز الفرعيات والجزئيات ولا ينغمس في الشأن المحلي، وإن كان لا يتجاهله ويعتمد على ترسيخ القيَم والكليات الشرعية والمصالح المشتركة، ويستوعب التغيير الدولي، ويحفّز العقل للاجتهاد وليعيش الحاضر والمستقبل أكثر مما يعيش الماضي، وليطبع الاختلاف البشري والفقهي ويعتني بمآلات الخطاب وما ينتج عنه من آثار.

والإعلام بما فيه الإنترنت والإعلام الجديد، يؤهل لتوسيع دائرة الخطاب وعالميته، بيد أنه يحتاج إلى إرادة علمية وتراخٍ اجتماعي وسياسي ليبقى وينمو دون مصادرة أو ضغط أو توظيف، لأن استقلاليته ضرورة.

- المناهج التعليمية بقيت موضع جدل من حيث تغييرها أو تطويرها، ما هو موقف العودة من هذا؟

• أرى أن تغيير المناهج ضرورة شرعية ومصلحة دنيوية، والمناهج ليست مقدّسة، وظلّت تتعرّض للتغيير منذ كتبت، ربما عقب أحداث سبتمبر تخوّف البعض من تأثير الضغط الأمريكي، لكن هذا الضغط تراجع اليوم، وبقي ضغط الحاجة المجتمعية والضرورة الحضارية يستدعي مثل هذا التطوير.

- لماذا اخترت عنوان الماجستير عن «الغربة»؟ كيف كان الهاجس آنذاك؟

• الهاجس هو تدعيم الحضور الدعوي والتربوي، ومعالجة فكرة العزلة، ومناقشة علاقة الإسلاميين بالمجتمع، ويغلب على الدراسة الجانب الحديثي والفقهي.

- هناك قراءات جديدة للإسلام كما فعل سعيد عشماوي، وجمال البنّا، ومحمد شحرور، وسواهم. كيف يراها العودة؟ هل يتقاطع معها أم يعارضها؟

• ليس لدى هؤلاء مشروع فكري واضح، لديهم رفض للرؤية السائدة ولا يملكون عمقاً شرعياً يُمكّنهم من النظر والتحليل، ولذا ظل تأثيرهم وقتياً ومحدوداً.

- ذكرت في برنامج « نقطة تحول» أن السجن علّمك طعم الحرية، صف لنا مفهوم الحرية عند العودة، وهل لدى العودة مفاهيم ليبرالية على طريقة «الإسلام ليبرالي» التي تطرح أحياناً؟

• القيد يشعرك بنعمة الانطلاق، ويجدّد تعاطيك مع النِّعم التي ألفتها واعتدتها، أصبحت أشعر بأهمية الانعتاق والسفر والقراءة ولقاء الناس والحديث والتواصل والكتابة، وغدا للورق والقلم والجهاز عندي قيمة مضاعفة.

وفي الوقت ذاته علّمني السجن كيف أحفظ وقتي وأكون حرّاً في التصرف فيه من دون ضغوط خارجية من الناس أو مناسبات أو برامج تفرض فرضاً.

هذا ما كنت أعنيه.

- كيف كان دور عبد الرحمن الدوسري؟ كان معروفاً بنقده للمؤسسات العلمية، وكان سبّاقاً في انتقاد الماسونية، كيف كان وقعها عليكم؟

• كنا معجبين باطّلاعه السياسي وعصريته وشجاعته وصدقه، وهو -رحمه الله- كان يفرط في تصوّر التأثير الماسوني

على الحياة، ويبالغ في تفسير العلاقة بين الأوضاع العربية والإسلامية وبين الماسونية والمؤامرة العالمية.

د- حوار أجريته في جدة 20 سبتمبر (أيلول) 2010

- الموقف الدّيني من ظهورك على قناة mbc، هل هناك موجات رفض محدّدة وجادّة من مقربين منك؟

• الموضوع بُحث في حوار موضوعي عبْر موقعنا «الإسلام اليوم»، وكان أغلبية المشاركين في البحث يوافقون على المشاركة الإعلامية في عموم القنوات الفضائية، ولو كانت صبغتها غير دينية، ولا أعرف موقفاً فقهياً يقول بالتحريم، إنما يميل بعض الغيورين إلى عدم استحسان ذلك كنوع من الوحشة.

وعلى الأقل ؛ فأنا لم أطّلع على فتوى أو بحث علمي؛ يقول بتحريم المشاركة في هذه القنوات.

والمقرّبون مني كلهم موافقون ومؤيدون منذ البداية، ومع استمرار الظهور وملاحظة الآثار؛ بدأ الصوت المعترض يخفّ تدريجياً، حتى لا يكاد يُسمع.

- ما هو الموقف الديني من المادّة التي تطرحها في حجر الزاوية؟

• ماذا تعني بالموقف الديني؟ ما أطرحه أمور متفاوتة، منها أشياء تحظى بإجماع، ولا خلاف عليها، ومنها ما هو اجتهاد معروف سائغ ذائع، ومنها آراء خاصّة بي، يوافقني عليها قوم ولا يوافقني عليها آخرون، مع حرصي على الاستدلال والتعليل لما أقوله، وموافقة جمهور الأئمة والفقهاء في معظم المسائل.

- الغذامي مرّة قارن بين تحوّل برنامجك إلى وجبة دسمة في رمضان متذكراً الشيخ علي الطنطاوي. ما هي المشتركات بين برنامجك وبرنامجه؟ وما هي الفوارق بين برنامج «على مائدة الإفطار» للطنطاوي و«حجر الزاوية»؟

• د. عبد الله الغذامي صديق عزيز وباحث متعمّق، ومشاهدته للبرنامج وتعليقه عليه أعدّه وساماً على صدري. والشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- شيخي وأستاذي، وقد قرأت جميع كتبه في مرحلة مبكرة، وتابعت حلقات من برنامجه، وجالسته مرات في منزله بمكة. الطنطاوي موسوعي متبحّر مسترسل، وأنا لست كذلك، بل أنا قارئ متطلّع، وجامع مختار أكثر مني مبدعاً للأفكار. وللطنطاوي فضل السبق، وكان في يوم لم تكن البرامج التلفازية الإعلامية بهذه الكثرة، ولا كان جمهورها بهذا الاتساع، فهو الرائد

الذي تحمّل العناء والعنت وشقَّ الطريق. وهو يمتلك أسلوباً عفوياً أدبياً رائعاً لا يجاريه مثلي ولا يقاربه، وربما كان لبرنامج «حجر الزاوية» ميزة الترتيب للموضوعات والقضايا ومعالجة جوانبها من الناحية الشرعية والواقعية، بينما كان برنامج الشيخ علي الطنطاوي إجابة على أسئلة.

وكذلك فـ «حجر الزاوية» فيه مُحاور (بضم الميم)، وهو معبّر عن الجمهور، وهو الإعلامي القدير الأستاذ فهد السعوي، وأضفنا إليه هذا العام (1431هـ) مذيعاً آخر، هو الأستاذ الصحفي أحمد الفهيد، ومهمّته استعراض النقد الموجّه للحلقات السابقة من البرنامج ممّا يُنشر في الصحافة أو المواقع الإلكترونية، وهو برنامج على الهواء، وليس برنامجاً تسجيلياً، ويستقبل الاتصالات الهاتفية بصورة منتظمة مما لم يكن متاحاً من قبل لبرامج مشابهة، وقد يكون التطوّر الإعلامي مؤثّراً حيث لم يكن في السابق وجود لبثّ فضائي يُلتقط في كل مكان في العام، بينما اليوم جمهور الـ mbc موجود في جميع مناطق العالم، وهناك البثّ الإلكتروني والبث الإذاعي والموقع الخاص بالبرنامج، مما يضمن تواصلاً أوسع مع الجمهور واستقبالاً لاستفساراته وتساؤلاته وتغذيته الراجعة.

- ظهرتَ عدة مرات على برنامج «الشريعة والحياة» كيف تقيّم تلك التجربة؟ وهل هناك مشتركات بين البرنامجين؟ وهل

من فوارق بين «حجر الزاوية» و«الشريعة والحياة»؟ وهل تقمّصت دور القرضاوي في بعض طرحك؟

• نعم ظهرت في العديد من حلقات الشريعة والحياة ، على قناة «الجزيرة» القطرية من أيام الأستاذ ماهر عبد الله -رحمه الله- ثم الأستاذ عبد الصمد ناصر، وانتهاءً بالأستاذ عثمان عثمان، وكان من أحدثها الظهور من اسطنبول في حديث حول فقه الأقليات، بالتشارك مع سماحة الشيخ عبد الله بن بية، وفضيلة الدكتور عبد المجيد النجار.

برنامج «الشريعة والحياة» برنامج ناجح، ومن دلائل نجاحه استمراره منذ قامت القناة إلى اليوم.

وضيفه الرئيس هو سماحة الشيخ يوسف بن عبد الله القرضاوي وهو عالم فقيه، وداعية عريق، وأديب وشاعر، وصاحب تجربة طويلة في الميدان الإسلامي.

وتشارك في البرنامج شخصيات مختلفة حال غياب الشيخ أو مرضه أو انشغاله.

تجربتي مع البرنامج موفّقة في ظني، حيث يتم الاتفاق على الموضوعات وتعالج بطريقة موضوعية، وهناك فريق إعداد محترم على رأسه الأستاذ معتز الخطيب، وهو مثقّف ومفكّر وناشط إسلامي معروف.

والغالب أن مشاركاتي مسجّلة، وأحياناً تكون على الهواء مما يتيح المجال لمداخلات مختصّين أو أسئلة من الجمهور.

الفارق ربما أن الجمهور يختلف قليلاً، فالذي يتعاطى مع جمهور الـ mbc كأنه يتعامل مع رجل الشارع العادي البسيط، بينما يغلب على جمهور «الجزيرة» المعنيون بقضايا الأمة والواقع، سواءً من العالم الإسلامي أو بلاد الغرب، وبالتالي فهم يسخنون مع الأحداث التي تقع، وترتفع وتيرة أسئلتهم ومطالبهم.

أما دور القرضاوي فهو متفرّد، ولا أعتقد أنني أستطيع ولا أريد أن أتقمّصه، وبقدر ما أنا خبير بجوانب الاتفاق، وهي كبيرة وضخمة بحمد الله، وبقدر ما أدين لشخصية الشيخ يوسف الذي هو مدرسة فكرية وتجربة غنية، إلا أنني مدرك جيداً لطبيعة الفروق الفطرية والشخصية والبيئية، والتي بمقتضاها يكون من المحتّم على أي إنسان أن يكون هو نفسه وليس أحداً آخر، حتى لو كان معلّمه أو أباه!

-لماذا لا يوجد جمهور في الاستوديو على غرار برنامج «صناع الحياة» لعمرو خالد؟ وهل من تحفّظ على وجود الجمهور؟ وكيف نقرأ تجربة عمرو خالد من خلال تجاربك أنت؟

• طبيعة تناولنا للقضايا جعل ثنائية الضيف والمذيع أفضل وأسهل وأحفظ للوقت وأدعى للتناغم، ومع هذا ففكرة وجود جمهور قد تُطرح للنقاش لدى فريق البرنامج في مرحلة ما، خاصة إذا افترضنا أننا أمام جمهور انتقائي منتخب.

عمرو خالد داعية قدير محرّك للعواطف وقريب من الناس، والشباب خاصة، وله بصمته وتأثيره الملموس على شباب العرب في العالم الإسلام وفي بلاد الغرب، وهو من الدعاة الأكثر تأثيراً، عمرو خالد صديق عزيز بيني وبينه علاقة جيدة وزيارات متواصلة، حيث لقيته في لندن وفي البحرين وفي السعودية، وشرّفني في منزلي بالرياض في أمسية جميلة.

أنا وعمرو خالد والدعاة الشباب محتاجون بطبيعة الحال إلى السعي الدائم لتطوير أدائهم وتجديد معلوماتهم والترقّي بتجربتهم صوب الأكمل والأفضل.

والله يقيّض الأصدقاء المحبّين الناصحين الذين لا يزالون يقترحون ويضيفون ويصحّحون ويستدركون.

كما يقيّض الخصوم المناوئين، وهم في الحقيقة أصدقاء أيضاً كما بيّنت في كتابي «شكراً أيها الأعداء» الذين يجرعوننا المرَّ، حتى نتعلم أكثر، ونتفوق وتترسخ أقدامنا في الطريق.

حوار مع مقدِّم البرنامج
فهد السعوي
أُجري في 1 مايو (أيار) 2010

تركي الدخيل: صف لنا لحظات ولادة البرنامج الأولى؟

فهد السعوي: كان بيني وبين الشيخ علاقة إعلامية بوصفي أدير الشركة التي تنفّذ له بعض أعماله التلفزيونية؛ كان هذا بداية المعرفة الوطيدة به. وكنت تداولت معه فكرة الخروج ببرنامج تلفزيوني أسبوعي مباشر على قناة واسعة الانتشار. ونحن نتداول آلية ذلك جاء عرض من رئيس مجلس إدارة مجموعة mbc الشيخ وليد البراهيم لحضور يومي للشيخ في رمضان عام 2006؛ فكانت البداية، وكان أن ترافقت معه في البرنامج، ربما لقربي من أصل الفكرة التي كنا نعمل عليها.

- كيف تقيِّم تجربة البرنامج مع المواقع التفاعلية؟

• منذ بدء أولى حلقات «حجر الزاوية» كان للبرنامج منتدى إلكتروني تفاعلي مصاحب، ومع أولى الدورات البرامجية لـ «لحياة

كلمة» تحول المنتدى إلى موقع متكامل ما زلنا نخضعه للرؤى التنفيذية التطويرية من حين لآخر.

التجربة جاءت ثرية على المسار التفاعلي المستهدف؛ حيث تُوِّجت مسيرة الموقع الإلكتروني بعدد جيد من المتفاعلين معنا طوال الأسبوع كأصدقاء وصديقات للبرنامج، يتوِّجون صداقتهم تلك عبر إثراء خطّ التواصل ما بيننا وبينهم رؤىً ومقترحات ومحاور نقاش، غالباً ما تكون حاضرة معي أثناء إدارة الحوار مع الشيخ.

كما استحدث البرنامج في عام 2009 خدمة الرسائل النصية القصيرة؛ حيث نستقبل من خلالها المئات من الرسائل من عديد الدول التي تصلهم الخدمة. تأتي الرسائل محمّلة بالمقترحات والأسئلة فأطرح ما يخصّ الحلقة منها في حينه، أما ما يمثّل استفتاءات أو استشارات عامة فإنه يحال مباشرة إلى لجنة شرعية شُكِّلت خصيصاً من أجل هذا الغرض يشرف عليها فضيلة الشيخ سلمان نفسه، حيث يتم الردّ على استفتاء المرسِل أو سؤاله عبر جوّاله مباشرة.

وعموماً.. فتجربتنا في هذا المضمار ثرية، مكّنتنا من التعرّف عن قرب على رؤى متابعي البرنامج ونظرتهم التقويمية والحصول على قراءة راجحة جيدة، وكثيراً ما عدّلنا عناوين أو موضوعات أو محاور داخلية نتيجةً لذلك.

- كيف تختارون الجدول في رمضان؟

• يشكل لنا رمضان وحدة عمل مضغوطة؛ ولذا نتعاهد على التحضير له قبل وقت كاف. هذا العام مثلاً 2010، بدأنا التحضير للبرنامج في شهر فبراير أي قبل رمضان بستة أشهر.

يبدأ العمل عبر لقاءات ثنائية بيني وبين الشيخ لاستحضار الخطوط الأساسية للتفكير، ثم ننقل ذلك مكتوباً لعموم فريق العمل الذي يتجاوز العشرين ما بين استشاريين أو أعضاء في فريق الإعداد أو مشرفين على روابط مشاركات الموقع الإلكتروني؛ نستجمع رؤاهم ثم تبدأ مرحلة التصفية للوصول للفكرة المحدّدة؛ وهذه تعتمد بصورة أساسية على الثنائي الشيخ وأنا وبحضور فاعل من الفريق الاستشاري للبرنامج. تمتد هذه الخطوة إلى شهرين، نصل بعدها إلى تحديد واضح للخط الأساسي للبرنامج في سنته تلك بمحاوره الأساسية ومستهدفاته، ثم نحيل الملف لفريق الإعداد الذي يتولّى التحضير على مدى شهرين آخرين لما تم الاتفاق عليه.

يعرض فريق الإعداد كامل الملف بعد إنهائه على الشيخ، ثم ننتهي إلى المرحلة النهائية نجلس فيها أنا والشيخ لتسمية الحلقات بشكلها النهائي ومحاورها التفصيلية؛ وهذه عادةً ما تكون قبل رمضان بشهر ونصف.

ينتقل بعدها العمل إلى حيث الفريق الفني الموكل له صناعة التقارير التلفزيونية للبرنامج، حيث أتولى الإشراف على عمله بدءاً

من انتهائنا من تسمية الحلقات إلى أول يوم من شهر رمضان، ويستغرق العمل هنا شهر ونصف تقريباً.

- حجر الزاوية أفضل برنامج ديني، لماذا برأيك أخذ هذا التصنيف؟

• أولاً، لأن ثمّة رؤية متوازنة ومشبعة نحو الحياة بأفقها الجميل لا يحسن طرحها أحد حالياً أفضل من فضيلة الدكتور سلمان؛ وهي رؤية افتقدها كثيراً المشاهد العربي -والسعودي على وجه أخصّ- في ظل متغيّرات عديدة عصفت بالواقع من حوله.

ثانياً، لأن جهداً من الإعداد الجيد والمؤصّل تعمل عليه عدة فرق مختصة، وبالتالي فإن قدراً من المخرجات المميزة هو المحصلة المنتظرة.

- ما هو تخصّص البرنامج؟ هل هو ديني فعلاً، أم تربوي، أم برنامج إفتاء؟ أنت كيف تصنفه؟

• برنامج للحياة.. وهذا تعبير كافٍ.

- الشيخ قال لي إن بينه وبينك تفاهم كبير أثناء سير الحلقة. كيف تبلور هذا التفاهم بينك وبينه؟

• رصيد مميز من الانسجام النفسي، والكثير من التوافق في الخط الفكري والمنهجي كفيلان بصنع مثل هذا التفاهم.

ولا أخفيك؛ أصبح كلٌّ منّا كتاباً مفتوحاً للآخر. أعرف ما يدور بفكر الشيخ من عينيه أثناء الحوار وهو يدرك انطباعي منهما كذلك. والنتيجة أننا وصلنا –وهذا مما أعتزّ به– لما أعتقد أنه أقصى درجات التفاهم ما بين شريكَي طاولة حوار تلفزيوني.

- ما سبب التكرار لبعض الموضوعات؟ هل هو تكرار مقصود أم نقص في الترتيب والتنظيم؟

• التكرار في موضوعات برنامجنا لا يتجاوز 5% على العموم، وهي نسبة متدنية لبرنامج يدخل سنته السادسة.

وهو عموماً أمر مقصود لذاته وليس حيرةً لعدم توفّر البديل أو اضطراباً في التنظيم. فحلقة مثلاً عن الحب تُطرح عام 2006، يعاد طرحها ربما في عام 2011 لكن بالتأكيد وفق منظار آخر استجد معنا كأفق جديد. وهذا البحث عن التطوير والتماس أية رؤية جديدة حتى لو كانت حول موضوع مطروق أحد أسرار استمرارية نجاح البرنامج.

إضافة لما تقتضيه ضرورة التغيرات والمستجدات على أرض الواقع من تناول موضوع سبق تناوله كالمواضيع المتعلقة بأحداث راهنة.

- هل تعتبر الشيخ من المتحولين فعلاً؟ وكيف تقرأ تجاوب الليبراليين مع أطروحات الشيخ؟

• لا أرى أن التحوّل مصطلح معبِّر هنا. هو أنموذج مميز وفريد لشخص ينتهج التغيير نحو الأفضل وفق متاحات قراءته لماضيه ومعايشته لواقعه واستشرافه لمستقبله.

أما تجاوب الليبراليين؛ فهذا ليس مقصوراً عليهم وإن استأثر ترحيبهم بأطروحات الشيخ بالنصيب الأكبر من اهتمامات المراقبين نظراً للحدية الدارجة ما بين الخطاب الديني وكل ما هو ليبرالي.

الناس بجميع أطيافهم تجاوبوا مع خطاب الشيخ الذي تبلور عطاءً وروحاً من خلال البرنامج؛ وهذا مردّه بوضوح لما يحمله الخطاب من اعتدال وتوازن، وما يتشبّع به من رغبة عارمة في التوافق مع الكل في سبيل توحيد الأهداف العامة والتقدير الكامل لحق الاختلاف في ما دونها من أهداف.

لم يعتد الليبراليون مثلاً على خطاب ديني يحترمهم ويقدّر أطروحاتهم ويبرز قدر المشترك ما بينهم وبينه بالشكل الذي يحجّم مساحة الاختلاف إلى وضعها الطبيعي دون مزايدات. هذا وجدوه في خطاب الشيخ سلمان العودة، فكان الاحتفاء.

- شاهدت مقطعاً بال «يو تيوب» بثّته ال mbc من وراء كواليس البرنامج، كم ساعة تجتمعون؟ وما هي طبيعة الطرح الذي تطرحونه قبل البرنامج؟

• كان المقطع لكواليس حجر الزاوية الرمضاني. وفي رمضان نجتمع بمعدل ثلاث ساعات يومياً؛ ساعة قبل البرنامج مباشرة لتداول أطر الحوار للحلقة حيث أعرض للنقاط التي أرغب الحوار حولها، ويبادلني الشيخ رؤاه حولها والإضافة عليها. وأحيانا نكتفي في هذه الساعة بحوار عام حول أصل الفكرة ونترك تداعي الحوار التفصيلي لسياق الحلقة معتمدين على إطار التفاهم المشترك الحاضر دائماً. وهناك ساعتان تتوزع على بقية أوقات اليوم نتداول فيها ردود الأفعال ونلتقي فيها بعض أعضاء فريق الإعداد.

- هل تغير أسلوب الشيخ في البرنامج عنه في الدروس والمحاضرات؟

• بالطبع؛ فهو هنا يمتثل حوارية البرنامج وتباين مستويات وأطياف المشاهدين.

- كيف تعاملت مع اتصالات محرجة للشيخ؟

• أحد أسرار استرخائي في استقبال الاتصالات، أو بالأحرى

البعد عن التوتر ثقتي الكاملة بحضور الشيخ، وتوازنه وحكمته في الإجابة على أي سؤال مهما شطّ أو ساء.

ولذا فأنا لا أقطع اتصالاً أو أقاطع متصلاً ما لم يصل مرحلة الإساءة المباشرة لشخص أو جهة، ويمكنني القول هنا إنه استناداً إلى شخصية الشيخ وثقتي بها فليس هناك اتصال محرج يفرض عليَّ تعامُلاً مغايراً.

- أحياناً تستطرد في الأسئلة أنت وبخاصة في بعض المقدّمات. لماذا هذا الاستطراد؟

• لأني لا أطرح أسئلة!

البرنامج ليس من قبيل حوارات التقصّي حول الشخصية، ولا هو حوار إثارة الفكرة جماهيرياً، ولا هو من فئة برامج رصد الحدث.

البرنامج حوار ذو نفس طويل لإرساء نهج متوازن لخطاب ديني يعايش الحياة بكل معانيها وأطرها ومستوياتها على نحو لم يكن من قبل. ولذا فأنا فيه أطرح محاور أتكامل فيها مع الشيخ، لا سؤالاً أنتظر الإجابة عليه ثم أنتقل لسؤال آخر يتلوه أودعته من قبل ورقةً أمامي. ولذا فما يُفهم أحيانا أنه استطراد –مع أني لأول مرة أسمع بهذا الرأي– هو نقطة في بحر حوار تستلزم إيضاحاً أكبر لارتباطها بحديث سابق للشيخ، أو أنها تستشرف حديثاً آخر يأتي،

أما المقدّمات فلا أرى إلا أنها متوسطة الطول فليست بالقصيرة التي تمثل عنواناً فقط ولا هي بالمستفيضة التي تأخذ وقتاً، آخذ فيها بالاعتبار ربطاً مع حلقة سابقة أو استحضاراً لمفهوم مرَّ سابقاً؛ فالحلقات كما أسلفت جزء من منظومة واسعة للبرنامج تتكامل في رؤاها ومستهدفها.

في منحى آخر عن سؤالك، ولأني لا أطرح أسئلة من ملزمة أعددتها مسبقاً تهمّني الإجابة عليها وفقط؛ فأنا أصمت أحياناً لمدة تصل لسبع دقائق؛ وهذا في أعراف الحوار التلفزيوني يتجاوز السائغ، لكني أعدّه بالنسبة لي عنصر تميُّز. حيث إن قراءتي لآلية العطاء لدى الشيخ تستلزم أحياناً ترك مساحة واسعة له للحديث حول نقطة لا تستكمل جمالها إلا بهكذا مساحة يقابلها صمت طويل من قبلي.

- هل تحاول أن تجعل الشيخ ينطق بالجواب الذي يعجبك؟

• أبداً، وفي الوقت الذي أصل فيه لهكذا رغبة فسأترك البرنامج فوراً.

لكني أعرف رؤى الشيخ جيداً فأطرح المحور من الزاوية التي أجزم أنه سيبدع فيها، وعموماً سبق أن تحفّظت على بعض أطروحات الشيخ وظهر هذا على الهواء وهو أحد أسرار التكامل في ما بيننا حتى في ما نختلف فيه جزئياً.

- تعلم أن الأسئلة التي توجَّه إلى المشايخ هي التي توجّه الجواب، بمعنى أن السائل يحرّض الشيخ على التحريم أو الإباحة حسب ما يريد، هل تقع في هذا أحياناً؟

• في الأسئلة الشرعية لا يحدث هذا على الإطلاق؛ وفي ما عداها من أطروحات، فكما أسلفت، أنتهج التكامل غالباً في الطرح بمعنى أني لا أطرح سؤالاً تقليدياً قدر ما هو تساؤل يحمل أحياناً وجهة نظر لكنها مفتاح لنثار يأتي جميلاً من الشيخ دون أن يؤثر طرحي فيه، وهو توازن أظن أن الشيخ وأنا وصلنا فيه لمستوى مميّز جداً على نحو أسهم في زيادة مساحة القابلية للبرنامج وجماهيريته.

حوارات
حول مفهوم الدعاة الجدد

أ- حوار مع الأستاذ أحمد الشقيري
3 أغسطس (آب) 2010

تركي الدخيل: هل ترون أن ظاهرة الدعاة الجدد حقيقية أم لا؟

أحمد الشقيري: نعم ولكنها ظاهرة ليست مقتصرة على عصرنا فقط ففي كل عصر يوجد مجدّدون.

- إن كانت الإجابة بنعم، فهل ترون أن هذه الظاهرة سلبية أم إيجابية؟ كيف ولماذا؟

• التجديد مهم جداً لأي أمّة لكي تواكب العصر ولكي تستمر في التطوّر وفي مجابهة التحديات. ففي كل عصر تحدياته الخاصة

فيه، والعصر الاسلامي القديم كان يتميّز بالتجديد المستمر؛ فعصر عمر مثلاً كان مليئاً بالتجديدات الحكومية والتشريعية وبالتالي بقيت الأمة حية. اليوم ننظر إلى أميركا فنرى أنها حية لأنها تجدّد نفسها بشكل مستمر.

- ما الجديد الذي يقدّمه الدعاة الجدد؟

• رؤية متجدّدة (وليست جديدة) لدور الفرد في الحياة، ومزج الدين والدنيا ليحصل التناغم وليس التناقض؛ كما أنهم يقدمون المعلومة بأسلوب محبّب للجمهور ويخاطبون الناس على قدر عقولهم وبلسانهم، وهو الأمر الذي كان يتّبعه الرسول -صلى الله عليه وسلّم- فقد كان كلامه محبّباً للكلّ.

- لماذا أصبحوا جدداً؟

• لأن أسلوبهم جديد. اخترقوا الفضائيات في الوقت الذي كان فيه الكثير من المشايخ يرفضون الظهور على التلفزيون، ويتحدثون بلهجة قريبة لعامة الناس، وهيئتهم العامة تشعرك بقربهم لك وأنهم أفراد عاديون وليس بينهم وبين الناس فجوة، ويتحدثون عن أمورٍ تهمّ الفرد العادي.

- ما هي وجوه ظاهرة الدعاة الجدد؟

• إن كنت تقصد أسماء، فالدكتور طارق السويدان والدكتور عمرو خالد يأتون على رأس القائمة لأنهم دخلوا الساحة في التسعينيات من القرن الماضي ثم تبعهم الكثيرون.

- هل تتابعون برنامج الشيخ سلمان العودة الرمضاني السنوي «حجر الزاوية»؟

• نعم، أحيانا لأني مقِلٌّ من مشاهدة التلفزيون بشكل عام.

- إن كنتم تتابعونه، أو تابعتم بعضاً منه ما هي مميزاته أو سلبياته؟

• مميزاته الأساسية هي طرح فكر معاصر متجدّد من شيخ هيئته تقليدية ومن السعودية؛ هذا المزيج نادر حالياً كما أن الطرح ليس وعظياً فقط، ولكنه فكريّ ومؤصّل بناءً على دراية فقهية واسعة في المذاهب الإسلامية المتعددة؛ فهو ليس طرحاً لاستثارة العاطفة فقط ولكنه لتغيير مفاهيم فكرية عميقة؛ وهذا الطرح الفكري هو ما نحتاجه اليوم (لعلهم يتفكرون).

- هل ترون أن برنامج «حجر الزاوية» من البرامج التقليدية أم أنه قدّم جديداً في مجال الطرح والشكل؟

• قدم جديداً من ناحية المضمون أكيد، لكنه تقليدي من ناحية الشكل، حيث إنه يفتقد للكثير من العوامل (الشكلية) الجاذبة تلفزيونياً لكن الطرح كمضمون رائع.

- هل وقع في اعتباركم أن الإمكانيات الإعلامية والتقنية الجديدة يمكن أن تستخدم بشكل أفضل؟

• أكيد يجب استخدام كل ما هو متاح للتطوير. وانظر إلى أوباما كيف استثمر الأدوات الحديثة من «فيس بوك» وغيره ليقوم بحملة انتخابية ليس لها مثيل، وهي التي أوصلته للبيت الأبيض.

- هل تخطّطون لأشكال أخرى جديدة غير الظاهرة التي عرفت بـ الدعاة الجدد خاصةً وأن السنوات العشر الماضية تفشّت فيها ظاهرة البرامج الدينية، هل تفكرون بتوظيف أكثر التصاقاً بمستجدات التقنية في سبيل نشر الدعوة؟

• دائما نسعي للتطوير والذي يرى خواطر الجزء الأول ويقارنه بالجزء السادس يرى الفرق الهائل في كل شيء، ومن ذلك التوظيف الواضح للتقنية في كل ما له علاقة بالبرامج التلفزيونية من إخراج ومونتاج وجرافيكس وغيرها من مؤثرات وتقنية تساعد على إيصال المعلومة بشكل أفضل.

- أنتم تشكّلون جزءاً من ظاهرة أوسع هي ظاهرة الصحوة الإسلامية، وهي تملك وعياً مختلفاً عما كان عليه الأمر في الإسلام التقليدي. ألا تخشون الانقسامات؟ أم أنكم تصنّفون أنفسكم ضمن تيار ترشيد الصحوة؟

• لا أصف نفسي بأكثر من شخص مسلم يشهد أن لا إلهَ الا الله وأن محمداً رسولُ الله؛ شخص يتمنى أن يرى العالم العربي في أحسن حال، ومن الأمم المتقدمة في العالم في كل المجالات، ولا أحب الألقاب ولا المسميات ولا أنتمي لأي حزب أو هيئة أو جهة؛ مسلم وحسب.

ب - مداخلة خاصة بالأطروحة من الدكتور علي بن حمزة العمري، 31 أغسطس (آب) 2010:

قبل التحدث عن ظاهرة الدعاة الجدد وجوداً أو عدماً، حقيقة أم مجازاً، علينا أن نتأمل مفهوم هذا المصطلح، وإذا أردنا أن نقف عند منطق علماء الأصول في التعريفات، فإنهم يضعون عشر نقاط لأي تعريف يمكن أن يكون مانعاً جامعاً، مثل قولهم: حدّه، واضعه، شاهده، ....، إلى غير ذلك من النقاط المشهورة والمقررة. وهنا في تعريف الدعاة الجدد نفتقد من الناحية الأصولية العلمية نقاطاً جوهرية تكون كاملة المنطقية عندهم.

وعليه فإننا يمكن أن نعطي صورة انطباعية عن موضوع الدعاة الجدد من ناحية التعريف، يمكن تلخيصها بالتالي:

إنهم دعاة لم يسبق ظهورهم وشهرتهم في الساحة فترات الصحوة، وبرزوا في عصر الفضاء والعولمة الحديثة، بطرح دعوي هادئ، وأسلوب متجدّد، وتنوّع في الأفكار، وتجمّل في الظهور، وعرض للقناعات المناسبة للواقع.

ولو تأمّلنا الوصف السابق، لوجدنا أن أكثر -إن لم يكن كل- من يطرح هذا المسمى الدعاة الجدد، يتحدّث عن المتأخّرين «الجدد».

وفي اعتقادي أن كلمة «جدد» ليس فيها إضافة كافية لحقيقة التسمية، لأن تميّزهم ليس لكونهم «جدداً» في الساحة، إنما لمضمون ما يطرحونه.

وبالتالي سنقع في استشكال واقعي ومعاصر. فإن ثمة دعاة «غير جدد» بمفهومنا للمصطلح، كانوا أقدر على جلب الملايين من الجماهير في زمانهم، بما لم يستطعه حتى المحدثون من الدعاة الجدد!

فماذا عن خطب الشيخ عبد الحميد كشك، التي حرّكت الجماهير، وتلك الدروس «البلدية» -أي بالكلمات البلدية- التي تعتبر مدرسة بذاتها في التأثير الشعبي؟

والسؤال: هل يوجد في عصرنا اليوم برغم كل وسائل تطويره وأفكار تنويره، خطيب برز كالشيخ عبد الحميد كشك في قربه من العامة والخاصة؟

ثم في جانب آخر، هل وُجد اليوم شيخ يحبّب الناس بالقرآن، في برنامج وعظي مستمرّ لعشرات السنين مثل الشيخ محمد متولي الشعراوي؟ والذي وصفته إحدى الوكالات الأمريكية بأن عدد مشاهديه في مصر وحدها عشرون مليون مشاهد، وهذا في مصر، وقبل عصر الفضائيات!

بل ورد في التقرير أن تأثيره (الشعراوي) أكبر من حركات إسلامية!

ثم بماذا سنعلّق على موقف الداعية الكويتي الشهير أحمد القطّان، الذي قال في خطبته الشهيرة والمنشورة في وسائل الإعلام إبان غزو الكويت، وكان وقتها في الجزائر، بأن حضور محاضراته وصل إلى مائة وخمسين ألف مستمع في الملعب الأولمبي، حتى إنه وصف تحرّكه من خارج وداخل الملعب (عبر فرق الكومندوس)، وأنه بعد خروجه من إحدى المحاضرات حمل الناسُ سيارتَه، واسترحمهم لإنزالها!.

إن هذا الوصف الواقعي قبل عصر الفضائيات، يبين أن ثمة دعاة كانوا يملكون مهارات عالية، ومضامين وسطية راشدة، مع شيء من حماسة اقتضتها ظروف المرحلة.

ومرة أخرى نجد أن جملة هائلة من الدعاة الجدد اليوم لم يستطيعوا موازاة الحضور الجماهيري الكثيف على أرض الواقع.

والقضية إذاً كانت متعلّقة بالمرحلة.

وإذا عدنا لواقعنا اليوم في عصر الفضائيات، لوجدنا أن التأثير أكبر من ناحية توسّع الشريحة، وسرعة الاستجابة.

والسبب بوضوح أن طرح الدعاة الجدد انتقل عبر الفضائيات التي تنتقل لكل القارّات، وتكون عبر حلقات متواصلة، وربما مباشرة، مما يعمِّق الأفكار وينضجها، ويدعو لتواصل مضامينها، وتطبيق أفكارها، خاصة مع وجود وسائل الإعلام المساندة (إنترنت، فيس بوك،...).

والخلاصة أن ظاهرة الدعاة الجدد ظاهرة طبيعية، اقتضتها ظروف المرحلة، وسهَّلت وقائع الحياة الحديثة ومستجدّاتها المعاصرة، فرصاً لتجديد الخطاب الديني، والتوسّع في مفاهيمه، والمراجعة لأطروحاته، والتغيير في آليات عرضه شكلاً ومضموناً، والخروج من ربقة التقليد والتصنيف والتحيّز، مما أدى إلى (إغراء) عدد من الدعاة للاقتداء بطرح الدعاة الجدد بعد نجاحهم في كسب الشرائح.

وقد تبدو في هذا السياق ملحوظة مهمة، نسوقها من خلال عرض قصة لنموذج من نماذج الدعاة الجدد:

كنت في زيارة لمنزل الداعية الإسلامي الشيخ سلمان العودة

في القصيم، بعد وفاة الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-. وكان وقتذاك ممنوعاً من ممارسة أي نشاط دعوي ظاهر. وكان في تلك الفترة بداية انتشار محاضرات الداعية الإسلامي عمرو خالد، ووصولها لأعماق بريدة!. فحدّثني الشيخ سلمان العودة ونحن على العشاء، بأنه سمع عن هذه الشخصية التي غزت المجتمع المصري خصوصاً والعربي عموماً بأشرطته ومحاضراته، وأنه استمع لشريط كاسيت بعنوان «الحجاب» للأستاذ عمرو، وكان مما قاله الشيخ سلمان: لقد ظننت أن الرجل متساهل في بعض الأمور، ومتسامح في كثير من القضايا، ولكني بعد سماع المحاضرة، بدا لي أن الرجل متشدّد، وليس متساهلاً!. وفسَّر الشيخ سلمان قوله بأن الأستاذ عمرو، يدعو إلى الحجاب الشرعي، ويؤكد عليه، ويذكر النصوص التي ترهِّب من تركه، ومخالفة أمر الله! ولربما ظن الشيخ سلمان أن الداعية عمرو خالد، سيتدرّج في خطابه الوعظي، لكنه فوجئ بأنه مباشر وصريح!

وهنا يمكن أن نتساءل، هل بروز شخصية قوية وحاضرة مثل الأستاذ عمرو خالد، كواحد من أبرز الدعاة الجدد، كان بسبب شكله فقط، أم أسلوبه، أم أفكاره؟

والجواب، كلُّ هذا، ولكن كلّ هذا كان موجوداً قبله لدى دعاة بلغ تأثيرهم عشرات أضعاف ما قام به الأستاذ عمرو خالد في بلده، مثل الداعية الشيخ حسن البنّا، الذي كان يلبس زيّاً إفرنجياً،

ويعظ في المقاهي، ويحضر مجالسَه عشراتُ الآلاف، ويتبعُه عشرات الملايين.

فهل يا ترى الشيخ حسن البنّا شيخ الدعاة الجدد بناءً على مواصفات ما يُطرح اليوم، من نظرة للدعاة الجدد؟!

إننا يمكن أن نلخص مفهوم أو مصطلح الدعاة الجدد بأنهم استثمروا المرحلة جيداً، شكلاً وأسلوباً ومضموناً. وأن هذا الاستثمار له ما يناسبه في كل بيئة وزمن.

وعليه إذا فهمنا ما سبق، فإن هذه الظاهرة -من هذه الحيثية- إيجابية، ومتسقة مع الحكمة التي دلّت عليها الآية الكريمة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل: 125).

بقي لنا في هذا السياق ملحظ مهم، ألا وهو الخلط بين تعريف الدعاة الجدد وبين مظاهر قد تتكرر عن هذا الجيل من الدعاة الجدد. وهذا الأمر ملحوظ في كتابات جملة من الإعلاميين في وسائل الصحافة المختلفة على وجه الخصوص.

فمثلاً يكون الحديث عن الأموال التي يتقاضاها الدعاة الجدد على الدروس والمحاضرات، والاهتمام بالتشكيلات في الملابس، والتبرؤ من الممارسات السياسية، وسوى ذلك. وهذه في الحقيقة مظاهر، وليست وصفاً لأصل مشروع الدعاة الجدد.

ولذا يمكن أن نقول إن المظاهر لدى الدعاة الجدد، نظراً

لطبيعة الظروف والمرحلة التي يعيشونها، والنتائج التي يشهد عليها الواقع، تنقسم إلى قسمين:

1 - ظواهر سلبية: ككثرة الطلبات المالية، والتنازل عن قول الحقّ وفعله، والتساهل في أحكام الدين القطعية، وأمثال ذلك.

2 - ظواهر إيجابية: كتحريك الأمّة وشبابها نحو مشاريع عملية، وعدم الاحتكاك بالرموز العلمية (كالمفتين الرسميين)، والسلطات السياسية، وأمثال ذلك. أما عن متابعتي لبرنامج «حجر الزاوية» فإنها تعود لطبيعة الأجواء الرمضانية.

فأنا أتابع بعض الحلقات خاصة بعد صلاة الفجر - فترة الإعادة- لأن الفترة الأصلية -عصراً- أكون مشغولاً بأعمال مكتبية وميدانية. وأستطيع أن أعطي طابعاً مباشراً عن البرنامج، ولو لم أتابع كل حلقاته أو الأكثر منها، بحكم علاقتي الشخصية والقوية بفضيلة الشيخ الدكتور سلمان العودة، قبل ظهوره الفضائي وأثناءه، وذروة تألّقه فيه.

وفي اعتقادي أن العلاقة الشخصية المتينة تفسِّر كثيراً من ظواهر الأفكار، وآليات الاستنتاج، وليس مجرّد الوقوف على قوة المادّة المطروحة، وعمق أفكارها، وحسن أدائها!

إنني إذ أتابع البرنامج، أتأمّل لا في المادة، على أهمية الاستماع للمفيد والجديد، ولكن لربط عمق التجربة والمواقف المتنوعة والثرية التي يعيشها الشيخ سلمان العودة، وبين الأفكار

التي تتّسم مع عمق التجربة، وانطباعاته الشخصية، وتحليلاته النفسية والتربوية والفكرية لما يطرح، وهذا ما أعتقد أنه الإضافة الحقيقة لي.

بل إنه يمكنني أن أضيف أمراً مهمّاً، أن أسلوب طرح الشيخ للموضوع أو الفكرة تفاعلاً، أو هدوءاً، اقتحاماً، أو حذراً، هو عندي تفسير لموقفه ورأيه النابع من تجربته الحياتية، حتى ولو لم يستطع المشاهد أو المستمع الخروج برأي، أو وجهة نظر أو تحليل مرتقب لموقفه!

ولذلك أعتقد أن الشيخ سلمان العودة، استطاع بما حباه الله من توفيق، وما نظنه -إن شاء الله- فيه من إخلاص، أن يعبّر ببراعة عن تجدّد حياته ومواقفه وقراءاته وقناعاته ومصداقيته، في ما يمكن أن يكون بحقٍّ أداءاً جديداً ومتطوّراً، ومعيناً لا ينضب.

وفي ثنائية متزامنة مع هذا التجديد، فإن الشيخ سلمان العودة يحترم، بل وإن شئت قل: يقدّس الوقت، ليقرأ بنَهَم، ويختار، ويحلّل، ويحفظ، كطالب دراسة، وباحث متمرّس، لينثر لآلئ اختياره كأستاذ ماهر، وليبهر من يشاهده ويستمع له، بذكائه في الأجوبة، ونبوغه في الحفظ، وموهبته في الأداء.

وفوق هذا وأهمّ من هذا، حرصه على المصداقية، ورضا الله، الذي يستمدّ منه المدد والعون.

ومن نافلة القول أن نؤكّد أن من براعة الشيخ سلمان العودة،

(تجييشه) لِفرقٍ وليس لفريق، تؤدي دورها المتكامل، إعلامياً، في الوسائل المختلفة، والتواصل الفعَّال مع الجماهير عبر الوسائط المتنوعة، وهي بلا شك سبب مهم لنجاح البرنامج، وتوسّع جماهيريته.

وإن كان من المعلوم لدى الجميع أن مبادرته في محطّة هي من أقوى المحطات العربية العالمية، ضاعفت قوة البرنامج ونفوذه.

ولربما بدا جانب من القصور أو النقص في البرنامج يطرحه الجمهور، يتمثل في قلة عرض المواضيع التي تمسّ قضايا الأمة الكبرى والمباشرة، وعمومية المواضيع أحياناً، والاتكاء على الفكري منها، دون الشرعي.

مع الإيمان أن الطرح الإسلامي طرح شامل، لكن الشرعي منه له خصوصيته.

ج- حوار مع الشيخ علي الجفري، 12 مارس (آذار) 2009:

تركي الدخيل: هل ترون أن ظاهرة الدعاة الجدد حقيقية أم لا؟

- الحمدلله، هناك أكثر من إشكال في هذا المصطلح.

الأول: أنه قد يوهم أن هؤلاء الدعاة يمثلون منطلقاً وتوجهاً

واحداً كما قد يوهم تكويناً متقارباً في الرؤى والانتماءات، وهذا غير دقيق بالمرة. فهناك تباين كبير بين هؤلاء الدعاة في التوجهات والانتماءات العلمية والدعوية يصعب بسببه جمعهم تحت مظلة تصنيفية واحدة.

والظهور الاعلامي في أساليب العرض المتطورة لا يكفي لجعله مظلة تصنيفية، إذ إن التطور المرتبط بتطوّر العصر وأخذ الوسائل المستحدثة أمر طبيعي ومعمول به في تاريخ دعاة الأمّة.

الثاني: أن تعبير الظاهرة فيه نوع من التحجيم لأمر هو أكبر من كونه ظاهرة.

وللسببين السابقين فإن العمل على دراسة هؤلاء الدعاة بصفتهم ظاهرة واحدة لن يكون دقيقاً بالمرة بل سيحتوي على العديد من المغالطات المبنية على التعميم والتسطيح والخلط.

الثالث: عبارة «الجدد» تحتمل معنى يذكّر بالانطلاقات السياسية المبنية على رؤى فلسفية مثل «المحافظون الجدد».

- إن كانت الإجابة بنعم، فهل ترون أن هذه الظاهرة سلبية أم إيجابية؟ كيف ولماذا؟

• كانت الإجابة بـ «لا»، ولكن تنبغي الإشارة هنا إلى ضرورة التفصيل في الحكم على أفراد وجماعات الدعاة، فمنهم من تغلب الآثار الإيجابية على ثمار دعوته ومنهم من تغلب الآثار السلبية

عليها، ومنهم من كانت جهوده مرتكزة على الأثر الدعوي الإيجابي ومنهم من غلب على دعوته التبعية التنظيمية لانتماءات فكرية أو حزبية.

- ما الجديد الذي يقدّمه الدعاة الجدد؟

• سبق وأن ذكرنا التحفّظ على المصطلح، لكن القاسم المشترك الوحيد هو الأسلوب المتجدّد المؤدّي للانتشار.

- لماذا أصبحوا «جدداً»؟

• سبق التحفّظ على كلمة «الجدد» لكن لعلّ سطحية التحليل في عصرنا جعلت مفهوم الجديد مرتبطاً بالوسائل والانتشار الإعلامي دون التحليل المتبصّر الذي يخوض في المحتوى والثقافة والمخرجات في الواقع.

- ما هي وجوه ظاهرة الدعاة الجدد؟

• سبقت الإجابة ضمن ما مضى.

- هل تتابعون برنامج الشيخ سلمان العودة الرمضاني السنوي «حجر الزاوية»؟

• تابعت حلقات منه.

- إن كنتم تتابعونه أو تابعتم بعضاً منه ما هي مميزاته أو سلبياته؟

• من أهم مميزاته:

1 - طرق المواضيع التي يحتاج الناس إلى سماعها بمعنى طرح الأسئلة الصحيحة.

2 - أن الشيخ لديه ما يقوله في هذه القضايا بمستوى يستحق الاحترام والإنصات.

3 - رشاقة الطرح دون تطويل مملّ.

4 - لغة التبسيط لقضايا فلسفية عميقه ساعدت على وصولها إلى عقول الناس.

5 - أسلوب الشيخ السمح والهادىء.

6 - لغة التأصيل بالدليل وأقوال أهل العلم أعطى مصداقية للطرح لاسيما في القضايا الفكرية المعاصرة.

7 - صدور ذلك عن داعية ينتمي إلى مدرسة غلب على دعاتها وعلمائها فقد هذه الخصائص، بل والتشدّد في أضدادها مما أدى إلى جذب الانتباه والاهتمام والاستحسان حتى لدى غير المهتمين بل والمنتقدين للخطاب الإسلامي.

8 - رقي مستوى المحاور ثقافةً وأدباً وتعاملاً.

9 - بثّه في قناة واسعة الانتشار وفي وقت حي.

10 - كون البرنامج على الهواء أتاح فرصة للتفاعل.

وأما نقاط التحسين فيه فتتلخّص في التالي:

1 - الاختصار الشديد في بعض القضايا الفلسفية العميقة التي لا تحتمل الاختصار.

2 - هناك بعض القضايا لعلها كانت بحاجة إلى إنضاج أكثر وتأمّل أعمق، وأعلم أن لدى الشيخ ماهو أفضل ليطرحه حولها لو أعطاها وقتها الذي تحتاجه من النظر.

3 - لعل محيط الشيخ الدعوي والعلمي أثّر في تقييمه لبعض سياقات الطرح الدعوي المعاصر من حيث التوصيف النقدي، فهناك آفاق أوسع من المحيط الذي ينتقده كان من الممكن استحضار أطروحاتها، وإن كان الشيخ -حفظه الله- قد احتاط عند كلامه بعبارات مثل (البعض، أحيانا، قد، ربما) وهذا حسَنٌ، لكن هناك أطروحات راقية في واقع الخطاب الإسلامي كان من الممكن اعتبارها في العديد من القضايا الفكرية التي تناول الشيخ نقد الخطاب الإسلامي فيها.

- هل ترون أن برنامج «حجر الزاوية» من البرامج التقليدية أم أنه قدّم جديداً في مجال الطرح والشكل؟

• قطعاً هو نقلة نوعية قياساً على أطروحات المدرسة التي جاء الشيخ منها، بل ربما على المستوى الأوسع.

- هل وقع في اعتباركم أن الإمكانيات الإعلامية والتقنية الجديدة يمكن أن تستخدم بشكل أفضل؟

• لا أعتقد أن نوعية المواضيع المطروحة تحتمل الإكثار من استخدام التقنيات كي لا يفقد البرنامج مستوى التركيز.

- هل تخططون لأشكال أخرى جديدة غير الظاهرة التي عرفت بالدعاة الجدد خاصةً وأن السنوات العشر الماضية تفشّت فيها ظاهرة البرامج الدينية، هل تفكّرون بتوظيف أكثر التصاقاً بمستجدّات التقنية في سبيل نشر الدعوة؟

• التقنية وسيلة مهمّة لكن لا ينبغي أن تكون في المرتبة الأولى من الاهتمام على حساب المحتوى، وهناك تفاوت في مستويات تَناسُبِها مع الدعاة.

-أنتم جزء من ظاهرة أوسع هي ظاهرة الصحوة الإسلامية، وهي تملك وعياً مختلفاً بالذات والعالم عما كان عليه الأمر في الإسلام التقليدي، ألا تخشون الانقسامات؟ أم أنكم تضعون أنفسكم ضمن تيار «ترشيد الصحوة»؟

• أرجو أن يرتضيني الله خادماً لدينه على النحو الذي يقرّبني إلى محبته والمحبوبية لديه.

ولكن لدي تحفّظ على تعميم مصطلح «التقليدي» على حساب مصطلح «الأصيل».

كما أن هناك تحفّظاً على تعميم مصطلح الصحوة على حساب من كانوا مستيقظين في الوقت الذي كان فيه أهل الصحوة نياماً.

كما أن ما سمّي بالصحوة، في ما أظن، يشهد انتكاسة مخيفة نتجت عن عوامل عدة مثل:

1 - الصراعات بين المدارس والتوجّهات العاملة في ميدان الخطاب الإسلامي.

2 - الصراعات السياسية بين الأنظمة والتنظيمات.

وهذان السببان يرجعان إلى ضعف التفهم من قبل كل طرف للطرف الآخر.

3 - تغليب جانبي الحركة وما يعتقد البعض أنه حماية للتوحيد على أساس التربية والتزكية وعلى جانب البناء المتكامل للداعية.

4 - تغليب الكمّ على الكيف في أولويات توجيه الإمكانيات المتاحة.

5 - الإحباطات المتتالية في قضايا الواقع السياسي والجهادي لأسباب داخلية بالدرجة الأولى، وأخرى خارجية.

6 - ضعف الاهتمام بلغة الالتجاء إلى الله والاعتماد عليه واليقين بما عنده مقابل لغة الحماسة والهتافات والشعارات والتخطيط.

د- حوار مع الشيخ عائض القرني
30 أغسطس (آب) 2010

تركي الدخيل: هل ترون أن ظاهرة الدعاة الجدد حقيقة أم لا؟

الشيخ عائض القرني: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،

أخي وصديقي الأستاذ الكاتب والإعلامي اللامع الساطع تركي الدخيل حياك ربي وبيّاك، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وأشكر لك جهودك الموفقة والمباركة ونجاحك الدائم المستمر، ومزيداً من العطاء يا أبا عبد الله.

أما ظاهرة الدعاة الجدد فهي حقيقة وواقعة، وقد تكلّم عنها الإعلام سواء المرئي أو المكتوب، والدعاة الجدد هم طائفة من الدعاة الذين طرحوا طرحاً جديداً وقدّموا صورة مضيئة للإسلام فيها رفق ووسطية واعتدال وتسامح، وهذا الظاهر سواء في الإعلام العربي أو الغربي. ويميز هؤلاء الدعاة أنهم متمسكون بروح الإسلام الوسطي القائم على الوحي المقدّس من الكتاب والسنّة، وأنهم متفهّمون لعصرهم، ويعيشون واقعهم، ويجيدون لغة الخطاب العالمي، وقد قرأوا كثيراً وسافروا كثيراً، فصار طرحهم متميزاً. خرجوا من التقليد إلى التجديد ومن المحلية إلى

العالمية، وقدموا خطاباً متسامحاً متصالحاً كسب شرائح كثيرة من المجتمعات.

- إن كانت الإجابة بنعم، فهل ترون أن هذه الظاهرة سلبية أم إيجابية؟ كيف ولماذا؟

• بل أرى أن هذه الظاهرة إيجابية؛ لأنها أخرجتنا من مسألة التقليد، سواء التقليد المذهبي فجعلتنا نعتصم بالكتاب والسنّة أو بالدليل، ثم أخرجتنا من المحلية، فجعلت الدعاة يخاطبون خطاباً عالمياً؛ لأن الرسالة عالمية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وفيها من الخير أن هؤلاء الدعاة قدموا إجابات لأسئلة كثيرة ومنها: لماذا لم يكن دعاتنا يعيشون هموم الأمة؟ ولماذا كان الخطاب متأزّماً غير تصالحي؟ ولماذا يغلب على خطابات الدعاة التطرّف والتشدّد؟ ولماذا لا يشعر الدعاة بأنهم يعيشون في كوكب واحد مع الإنسانية؟ فصار طرح الدعاة الجدد جواباً عن هذه الأسئلة، وقد ذهبنا إلى أوروبا وأفريقيا وآسيا وأمريكا فوجدنا أن طرح هؤلاء الدعاة موجود وحضورهم وأثرهم الطيب في كل مكان.

- ما الجديد الذي يقدمه الدعاة الجدد؟

• الجديد هو حل إسلامي عصري لمشكلات العصر، بلغة سهلة بسيطة يفهمها الجميع، وإجابات عن أسئلة الشرق والغرب عن قضايا إسلامية، والمشاركة في الأزمات العالمية بخطاب معتدل تسامحي.

- لماذا أصبحوا جدداً؟

• التجديد مطلوب في الإسلام، وكما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في سنن أبي داود، قال: «إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدّد الدين»، أو كما قال عليه الصلاة والسلام، فالتجديد هو من طبيعة الإسلام، وأورد الحاكم في المستدرك: «جددوا إيمانكم»، قالوا: «كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟» قال: «قولوا لا إله إلا الله». فمن طبيعة الدين التطوّر والتجديد والتغيير للأحسن مع حفظ الثوابت في الكتاب والسنّة، فالدين يتطوّر مع العصر ويجيب عن أسئلة الواقع، ويواكب الحضارة، فلكل زمان ولكل مكان احتياجه من الخطاب والحلول الإسلامية، والحمد لله أن القواعد ثابتة.

- ما هي وجوه ظاهرة الدعاة الجدد؟

• أولاً: أنهم قدّموا الإسلام بلغة سهلة عقلية.

ثانياً: أنهم قدّموا خطاباً للغرب أو للآخر غير المسلم فيه من التصالح قواسم مشتركة عالمية فيها مصلحة للجميع.

ثالثاً: أنهم جمّلوا صورة الإسلام ردّاً على التهم التي لحقت به من التطرّف والإرهاب ونحو ذلك.

رابعاً: أنهم خاطبوا الشرائح التي لم يكن يصل إليها الخطاب الأول، فوصلوا إلى الرياضيين وإلى الفنانين والتجار وإلى المثقفين بشرائحهم كافة.

- هل تتابعون برنامج الشيخ سلمان العودة الرمضاني السنوي «حجر الزاوية»؟

• كثيراً ما أتابعه، ولكن ليس كل حلقة؛ لأنني قد أنشغل أحياناً في وقته بإعداد لبرنامج أو للتلاوة أو بأي أمر آخر، لكنني رأيته وتابعته كثيراً، والصراحة أنني معجب به أيما إعجاب لطرح أخي وزميلي وصديقي الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة.

- إن كنتم تتابعونه أو تابعتم بعضاً منه ما هي مميزاته أو سلبياته؟

• من ميزات هذا البرنامج ما يأتي:

أولاً: أنه جمع بين الدليل والتعليل، بين الأثر والواقع.

ثانياً: أن لغته واضحة ومفهومة، مع ما تمتاز به من العمق والأصالة، وكسب شرائح كثيرة من المجتمع.

ثالثاً: أن الشيخ عرف كيف يقدّم خطاباً تصالحياً تسامحياً مع حفظه لروح الشريعة.

رابعاً: أن الشيخ سلمان مهتمّ بالتحضير وهذا ظاهر عليه، ويملك لغة فيها من اللين والرفق بالسائل والمتّصل.

- هل ترون أن برنامج «حجر الزاوية» من البرامج التقليدية أم أنه قدّم جديداً في مجال الطرح والشكل؟

• بل هو برنامج قدّم جديداً في الطرح والشكل، وهو من البرامج التي تحمل روح التغيير والنضوج ومواكبة العصر ولغة الواقع المصحوبة بالدليل، فهو يحمل روح التجديد سواء في مضمونه أو في قالبه.

وبالمناسبة فأنتم تعلمون أنني زميل وصديق للدكتور سلمان العودة، وعادة ما أتصل به بعد الحلقات أحيّيه وأثني عليه، وأذكر بعض ما أعجبني في البرنامج.

وقد قرأت في جريدة «الحياة» أنكم يا أبا عبد الله تعتزمون كتابة رسالة الماجستير في هذا البرنامج، فأنا أشدّ على يديك وأبارك لك هذا المشروع، وأؤكد حبي لك القديم والجديد، وأواكب نشاطك وما تكتبه، سواء في جريدة «الوطن» أو غير ذلك، أو ما تقدّمه في إضاءات، وجزاك ربي خيراً، وأسأل الله أن يحقق في رسالتك النفع والفائدة للجميع.

وتحياتي لك، وبارك الله فيك.

هـ- حوار مع الشيخ محمد العريفي
15 مارس (آذار) 2009

(أجاب على بعض الأسئلة ولم يجب على البعض الآخر)

تركي الدخيل: هل ترون أن ظاهرة الدعاة الجدد حقيقية أم لا؟

الشيخ محمد العريفي: لا أرى أنها تسمية حقيقية، بل أرى أن الدعاة في كل عصر يستعملون الوسائل المتاحة بين أيديهم، التي توصل رسالتهم للناس بوضوح، بشرط أن تخلو هذه الوسيلة من المحرّمات الشرعية.

ومن نظر في حال أئمة الدعاة وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وجد أنهم استعملوا ما أتيح في عصرهم من وسائل، الكلمة والخطبة والرسالة ووسائل الإيضاح، وما شابه ذلك.

-إن كانت الإجابة بنعم، فهل ترون أن هذه الظاهرة سلبية أم إيجابية؟ كيف ولماذا؟

- ما الجديد الذي يقدّمه الدعاة الجدد؟
- لماذا أصبحوا جدداً؟
- ما هي وجوه ظاهرة الدعاة الجدد؟

- هل تتابعون برنامج الشيخ سلمان العودة الرمضاني السنوي «حجر الزاوية»؟

• مع حبي للشيخ وبرامجه إلا أني لم أتابع حجر الزاوية، لانشغالي وقته ببرنامج مباشر.

- إن كنتم تتابعونه أو تابعتم بعضاً منه ما هي مميزاته أو سلبياته؟

- هل ترون أن برنامج «حجر الزاوية» من البرامج التقليدية أم أنه قدم جديداً في مجال الطرح والشكل؟

- هل وقع في اعتباركم أن الإمكانيات الإعلامية والتقنية الجديدة يمكن أن تستخدم بشكل أفضل؟

- هل تخطّطون لأشكال أخرى جديدة غير الظاهرة التي عرفت بالدعاة الجدد خاصةً وأن السنوات العشر الماضية تفشّت فيها ظاهرة البرامج الدينية، هل تفكرون بتوظيف أكثر التصاقاً بمستجدات التقنية في سبيل نشر الدعوة؟

• لا مانع عندي من استعمال كل وسيلة جديدة في الدعوة وتبليغ الدين، بشرط أن تكون جائزة شرعاً.

- أنتم جزء من ظاهرة أوسع هي ظاهرة الصحوة الإسلامية، وهي تملك وعياً مختلفاً بالذات والعالم عما كان عليه الأمر في الإسلام التقليدي، ألا تخشون الانقسامات؟ أم أنكم تضعون أنفسكم ضمن تيار «ترشيد الصحوة»؟

حوار أجريته مع الدكتور عبدالله الغذامي 25 أغسطس (آب) 2010

• الإعلام الإسلامي

مع ظهور الوسائل الإعلامية الحديثة صار كل استخدام لهذه الوسائل يوصف بصفة الوسيلة ذاتها كالإعلام الرياضي والتربوي ومنه الإعلام الإسلامي. ولم يكن أحد يسمي الخطابة كالجمعة وفي المساجد بعامّة، لم يكن أحد يمنحها صفة الإعلام، لأنها وسيلة تلقائية بشرية (غير تكنولوجية صناعية ولكنها طبيعية وبشرية ومباشرة)، أما وقد تغيّرت الوسائل فقد تغيّرت معها المصطلحات.

• أما برنامج الطنطاوي مقارناً مع برنامج القرضاوي والعودة فإني لا أرى فيها قديماً وحديثاً؛ فكلّما استخدمت الوسيلة الإعلامية المباشرة صوتاً وصورة، وتجمّعت بينها سمات المرجعية من حيث كون البطل هنا شيخاً له تاريخ سابق وله سجل ذهني قوي وله ثقافة عريضة دينية وعمومية، ثم يتمتع الكلّ بذاكرة حاضرة

وبديهة قوية مع حصانة ذاتية تحمي صاحبها من الوقوع بأخطاء فادحة تشوّه سمعته أو تخدش من علميته وحصافة ذاكرته، فصاحب البرنامج هنا دبلوماسي في علاقته مع المؤسسة دون أن يتماهى معها، وهو في الوقت ذاته صريح مع السائلين دون أن ينجرف وراءهم، ويعمد إلى تبسيط الخطاب متوسلاً بلغة محكية، كنت أشرت إليها في كتابي «الثقافة التلفزيونية» بأنها الفصحى المحكية، حيث يتساوى الجمهور في الفهم وفي التفاعل مع المتحدّث الذي أتقن لغة العموم دون أن يخسر الخصوص.

• حجر الزاوية يبتعد عن النخبوية دون أن يعاديها، وهو مع حرصه على الشعبية الجماهرية إلا أنه يضع النخبة في لبِّ خطابه، ومن الواضح أنه قد كسب الفئتين، حيث يتلقّى البرنامج اتصالات ثناءٍ من وجوه الثقافة كغازي القصيبي مثلاً، ومن كتاب الزوايا الصحفية، مثلما يتلقّى مهاتفات من كل أنحاء العالم سائلة ومثنية، وهو هنا ينجح -كما وصفناه في مسألة اللغة حيث الفصحى المحكية- في تحقيق مستوى وسطي في مفاهيميته كما في لغته، ومنها اتكاؤه على الذاكرة الثقافية، الشعرية والسردية، حيث يجمع بين التسلية والإطراب بتوظيف المعلومة الثقافية، مع ما يملكه من رأي عصري وتفاعلي حول المسائل الدينية حتى الشائك منها.

• كان المجتمع مغرماً ببرنامج الطنطاوي، وحينما أعلن مرة تقاعده وإيقاف البرنامج كان الخبر صاعقة وقعت على الناس

وجرّت تدخّلات قوية أعادت الشيخ عن قراره، وتلك كانت امتحاناً مباشراً لشعبية البرنامج وتعلُّق الناس به.

• أما المسافة بين الطنطاوي والعودة فهي مسافة ذاتها حيث جاء الطنطاوي في زمن الحياد الديني ولم تكن القضايا الدينية مسيَّسة ولا تصارعية؛ بينما ظهر العودة تحت رنين الصحوة ومع ظهور القاعدة وخطاب الإنترنت وانفتاح الفضائيات وظاهرة الدعاة الجدد وكثرة المنافسين، وهذه كلها تحفيزات وتحدّيات واجهت العودة ولم تواجه الطنطاوي الذي كان الجوُّ خالياً له حين ظهوره وكان هو رائداً مفرداً بلا منافس ولا سابق تجربة.

• لا يستطيع المرء أن يتخلى عن نظارته لكي يتحدث مع ضيفه، وكذا حال الناقد، فإنه لا يقوى على التخلّص من نقديته وهو يسمع أو يرى، حتى لتكون نظّارة تلوّن الكون أمامه وبدونها لا يرى ولا يسمع. وأوّلها مثلاً شرط التوصيل اللغوي، نحوياً وصياغةً وإشباعاً للموضوع، مع مراعاة مقتضى الحال والمقام ومستوى الخطاب، وهذه كلها شروط في الاتصال تحضر بالضرورة في كل حالة استماع أو مشاهدة.

• تحوّل العودة تحوّل جذري، ولذا صار مؤثّراً ولافتاً وله مفعولية؛ وأنا أرى أن التحوّلات شاملة ولها علامات قوية في الخطاب الإسلامي بعامّة.

• نجاحات حجر الزاوية تأتي من قدرته التفاعلية حيث وعى وعياً تاماً بشروط الخطاب الإعلامي وأخذ في كامل عهدته مراعاة

مشاعر جمهوره واحترام عقول السائلين وضمائرهم، وفتح صدره للآثمين وتعاطف معهم ومدَّ يده لهم، ولم يستهتر بهم، وهذه شكوى عامّة يقولها عموم الناس ضدّ عدد من المشايخ حتى صارت شبه صفة لاصقة. وجاء الطنطاوي والعودة لكي يكونا أصدقاء للناس ومتفهّمين لظروفهم، ولهذا أثرٌ كبير، إضافة إلى ما قلناه -أعلاه- عن اللغة ومستوى الخطاب وتوظيف الذاكرة الثقافية، مع حسن استخدام الصورة والمؤثّرات البصرية والتواصل المباشر مصحوباً بحضور البديهة، ودبلوماسية التواصل حيث لا يثير حفيظة الناس ولا يهمل تطلّعاتهم.

• لا تقلقني الحالة الإعلامية الإسلامية (ولا غيرها) في القنوات لأنها أولاً حق من حقوق حرية التعبير وحرية الرأي وحرية التمثيل، ثم هي كشف للمخبوء الذي لو ظل مخبوءاً لصار له ضررٌ غير مشهود، وغير مضبوط. التجربة تؤكّد أننا كلما تركنا الناس تعبّر عن مكنوناتها وعن ذواتها فإننا نفتح أبواباً للفهم والتوافق والتعارف، ومن ثم تتكشّف الواقعة الاجتماعية بكل أطيافها بدلاً من الحسّ القمعي أو التربّصي.

• ظاهرة الدعاة الجدد طرحت لنا صيَغاً ثقافية في الاتصال وفي التمثيل؛ وهذه جعلت الخطاب الديني نفسه ثقافياً وبشرياً، فيه أخذ وردّ، وكسرت التكتمية المدّعية للحصانة، وصار الداعية هنا مثقفاً إنسانياً تحت الامتحان في علاقته بالواقع وفهمه له وتفاعله معه وتشابكه مع الناس والحياة. وكذا قدمت روحاً شبابية

من داخل الخطاب وكسرت الطبقة الصلبة، ومن ثم صار الانفتاح، وهذه ظاهرة تتوافق مع الانفتاح الفضائي وتتواصل معه، وهي حيوية للخطاب وجوهرية لمقدرته على اللحاق بقطار الزمن.

• انا وأسرتي من متابعي حجر الزاوية، وخلق البرنامج رصيداً ذهنياً داخل البيت وصار مناسبة رمضانية محفِّزة، وتمنحُ الأيامَ معنىً خاصاً عبر الموعد الخاص، وهذا مستوى لا يبلغه عادة إلا البرامج الترفيهية حيث تكون المشاهدة ممتعة، أما إذا تمكن برنامج جادٌّ من كسب المشاهدين وتحقيق درجة إمتاعية تضمن موالاة البرنامج وتقبّله التلقائي فهذا إنجاز رفيع بلا شك.

• متابعتي لـ «حجر الزاوية» مشروطة بقدرات البرنامج التنافسية مع غيره من المغريات على الشاشة، ولن يتمكّن من حجز مكان خاص له في نفس المشاهد صاحب الخيارات العريضة إلا عبر قدراته الإغرائية وحسب الخصائص التي ذكرناها في الأجوبة السابقة؛ فإن اسم العودة تجسّد في مجموعة هذه الخصائص التي صارت صفات له تسبق اسمه وتسبق برنامجه، حيث صارت ذاكرة ملتصقة بالاسم وبالبرنامج اكتسبها من لحظات الامتحان الأولى ومن لحظات المواجهة الأولية حتى صارت علامة عليه، ولذا اتَّحدت السمات مع الاسم والمسمَّى وصارت شفيعاً له عند جمهوره الذي صار يطلبه ولا يفوِّت فرصة معه، وهو لم يخيب ظنون طالبيه ولذا حافظ عليهم وظلّ يزيد من نسبتهم.

- متابعة المثقفين للبرنامج تكشف اتفاق النخبة مع الجماهير، وهذا مستوى فني رفيع حقّقه البرنامج وحافظ عليه؛ وهذه إحدى خصائص الثقافة التلفزيونية حيث مفاهيمه الجماهرية صارت أساساً توصلياً وتفاعلياً، وهي الهدف من جهة، وعلامة النجاح من جهة أخرى؛ ولو تقلّصت جماهيرية برنامج ما فتلك علامة على موته وجفافه؛ والصورة لا ترحم ولا تجامل حيث الامتحان العسير والمصيري مع لحظة الارتجال ولحظة المفاجآت، وكيف يدير المرء لحظاته تلك، وهي اللحظات المصيرية التي تقرّر مآلات أي اتصال جماهيري، بها نجح الطنطاوي -رحمه الله- وبها ينجح العودة.
- يمتاز برنامج حجر الزاوية بقدراته الذكية في توظيف ثقافة الصورة بكامل شروطها في المباشرة والتلوين والسرعة والطرافة (التجدّد) والاختصار والإمتاع، وهي الشروط التي سبق أن شرحتها في كتابي «الثقافة التلفزيونية» كشروط عصرية لعملية التواصل الجماهيري.

المراجع

• **كتب:**

- أدونيس (علي أحمد سعيد)، الثابت والمتحوّل: بحث في الإبداع والاتبّاع عند العرب.
(بيروت: دار الساقي للطباعة والنشر، 2002).

- إمام، د. إمام عبد الفتاح، الفلسفة السياسية عند هيغل، (دار التنوير، الطبعة الأولى 2007).

- ثيوكاريس كيسيدس، هيراقليطس،
(مطبوعات دار الفارابي، 2001).

- الجامية،
(دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، فبراير (شباط) 2010).

- الخضر، عبدالعزيز، السعودية سيرة دولة ومجتمع: قراءة في تجربة ثلث قرن من التحولات الفكرية والسياسية والتنموية (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2010).

- دوبريه، ريجيس، حياة الصور وموتها، ترجمه وقدم له فريد الزاهي، (مطبوعات دار إفريقيا الشرق، 2002).

- دريدا، جاك، ما الذي حدث في 11 سبتمبر، ترجمته صفاء

فتحي، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003).

- الدعاة الجدد، (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، مايو (أيار) 2008).

- السرورية، (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، يناير (كانون الثاني) 2007).

- صاغية، حازم، نواصب وروافض- منازعات السنّة والشيعة في العالم الإسلامي اليوم، (بيروت: دار الساقي، الطبعة الأولى، 2009).

- العثيمين، عبدالله، الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره (دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة 2، 1986).

- الغذامي، عبدالله، الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2004).

- الغذامي، عبدالله، حكاية الحداثة في السعودية، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2004).

- الغريب، عبدالله، وجاء دور المجوس: الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية (بدون ناشر، الطبعة الأولى، 1981).

- القرضاوي، يوسف، ابن القرية والكتاب. دار الشروق 2002.

- القصيبي، غازي، حتى لا تكون فتنة، (الطبعة الثانية

1991)، من دون دار نشر.

- كوك، مايكل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترجمه د. رضوان السيد، ود.عبد الرحمن السالمي، ود. عمار الجلاصي، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، الطبعة الأولى، 2009).

- الكيالي، عبدالوهاب (إشراف)، الموسوعة السياسية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1963).

- مراجعات الإسلاميين- الجزء الأول، (دبي:مركز المسبار للدراسات والبحوث، ديسمبر (كانون الأول) 2009).

- مغريه، إريك، سوسيولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام، ترجمه موريس شربل (بيروت: مطبوعات جروس برس، الطبعة الأولى، 2009).

- هاني، باتريك، إسلام السوق: الثورة المحافظة الأُخرى، (دار النشر الفرنسية «لوسوي»، 2005)، ضمن سلسلة جمهورية الأفكار.

• برامج فضائية وتسجيلات صوتية:

- برنامج «إضاءات» على قناة «العربية».
- وثائقي «التيارات الإسلامية في السعودية»، بثَّ على قناة «العربية»، 28 أبريل (نيسان) 2006.
- برنامج «الحياة كلمة» على (mbc).
- حلقات برنامج «حجر الزاوية» من سنة 2005 إلى 2009.
- العودة، سلمان، شريط: «تحرير الأرض أم تحرير الإنسان».
- العودة، سلمان، شريط: «رسالة إلى أخي رجل الأمن».
- العودة، سلمان، شريط: «دلوني على سوق المدينة».
- العودة، سلمان، شريط:«رسالة من وراء القضبان».
- العودة، سلمان، شريط: «هشيم الصحافة الكويتية».
- العودة، سلمان، شريط: «الشريط الإسلامي ما له وما عليه».
- العودة، سلمان، شريط: «اللّه أكبر سقطت كابل».
- العودة، سلمان، شريط: «الإسلام والغرب».
- برنامج «قصة نجاح» على mbc fm.
- برنامج «نقطة تحوّل» على mbc.
- برنامج «هنا الرياض» على قناة «المجد».
- برنامج «محاورات» على قناة «المحور».

• مواقع إنترنت:

- موقع «الإسلام اليوم»: http://islamtoday.net
- موقع «صيد الفوائد»: http://www.saaid.net
- موقع «العربية.نت»: http://www.alarabiya.net
- موقع الموسوعة الحرة في الإنترنت«ويكيبيديا»: http://www.wikipedia.org

• الدوريات والمجلات:

- صحيفة «الاتحاد»، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
- مجلة «أوبزرفاتور» Le Nouvel Observateur، باريس فرنسا.
- صحيفة «الجزيرة»، الرياض، السعودية.
- صحيفة «الحياة»، لندن، بريطانيا.
- صحيفة «الشرق الأوسط»، لندن بريطانيا.
- صحيفة «المدينة»، جدة، السعودية.
- صحيفة «الوسط»، المنامة، البحرين.
- صحيفة «الوطن»، أبها، السعودية.
- مجلة «السنّة» الصادرة من برمنجهام، بريطانيا.

الفهارس

1 ـ فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
يا أيها الذين آمنوا .. إذا دعاكم لما يحييكم	الأنفال	24	217
وأعدّوا لهم ما استطعتم... عدوّ الله وعدوّكم	الأنفال	60	117، 148
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله	التوبة	41	105
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين	التوبة	73	104
إن أُريد إلا الإصلاح ما استطعت	هود	88	328
ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن	النحل	125	419
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	الأنبياء	107	296، 430
فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً	الفرقان	52	103
إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات	الأحزاب	35	233
ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد	غافر	29	142
لله ملك السموات والأرض... لمن يشاء الذكور	الشورى	49	231
حملته أمه	الأحقاف	15	231

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
قد سمع الله... والله يسمع تحاوركما	المجادلة	1	235، 382

2 ـ فهرس الأعلام

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ن)

(هـ)

(ي)

3 ـ فهرس الأماكن والبلدان والمواضع

4 ـ فهرس الأمم والقبائل والطوائف والفرق والجماعات

من إصدارات مدارك Madarek




















المرأة
والولاية العامة


السيد علي الأمين
ولاية الدولة
ودولة الفقيه


السيد علي الأمين
الأحزاب الدينية


صورة أوروبا
في
الأدب العربي الحديث
من طه حسين إلى الطيب صالح


تشيع العوام
وتشيع الخواص
السيد احمد القبانجي

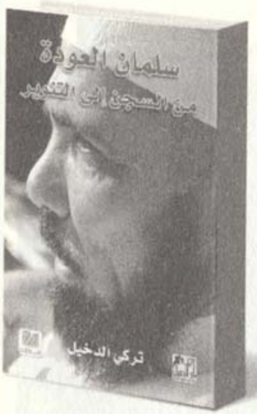

حكاية اسمها
غازي القصيبي
أعدها
كمال عبد القادر


أمريكا
في مرآة عربية
صورة أمريكا في أدب الرحلات العربي
ما بعد 11 سبتمبر 2001

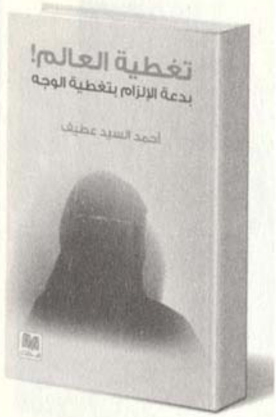

أمريكا
في مرآة عربية
صورة أمريكا في أدب الرحلات العربي


كنا في إسرائيل
رحلات مصرية


تركي الدخيل
إنما نحن... جوقة العميان


سلمان العودة
من السجن إلى التنوير
تركي الدخيل

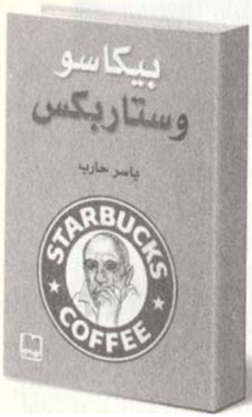

تركي الدخيل
الدنيا... امرأة!


تغطية العالم!
بدعة الإلزام بتغطية الوجه
أحمد السيد عطيف


نازح من جازان
مفاجآت التمرد الحوثي
على الحدود السعودية
هادي فقيهي


الدكتور أحمد اللويمي
المجتمع
الأحسائي المعاصر
قراءة في طباعه وأفكاره


عبدالله المغلوث
كخة
يا
بابا


بيكاسو
وستاربكس
ياسر حارب
STARBUCKS
COFFEE


خارجُ الطَّائِفَة
د. علي أحمد الديري


رشيد الخيّون
عمائم سُود
في
القصر السعودي
انطباعات شخصية عن نجد والحجاز


تلخيص البيان
في ذكر
فرق أهل الأديان
علي بن محمد الفخري
رشيد الخيون


رشيد الخيّون
بعد إذن الفقيه
الحرام والحلال في أمر النساء
والطفولة والكتابة والطعام


رشيد الخيّون
لا إسلام بلا مذاهب
و
طروس أخر من التراث


رشيد الخيّون
ضد الطّائفيّة
العراق... جدل ما بعد نيسان 2003


رشيد الخيّون
رسالة
في العلمانية والخلافة


رشيد الخيّون
جدلُ التّنزيل
مع كتاب
خلق القرآن للجاحظ


رشيد الخيّون
مُعتَزِلة
البصرة وبغداد


الحب والفراق
إنه محمد عبده يماني


أعمدة الضحك السبعة
علي سالم

التطرف وثقافة السلام
علي سالم

الضحك في عز النكد
علي سالم
إذا كنت مسافرا خذني معك

علي سالم
بكالوريوس في حكم
الشعوب

اعترافات زوج
علي سالم

دلال...

«حجر الزاوية» هذا، أُلقي بتصميم وأناة في بحيرة هادئة، وعين المؤلف -كانت- على الدوائر المتولدة على السطح، لتشمل معظم العناوين التي اتسم بها الحراك الفكري، بجميع أوجهه، ولفترة امتدت على مساحة إحدى وعشرين عاماً.

من باب الإعلام دخل ومن باب البحث والتدقيق خرج؛ دخل متلهفاً لتسخين اللحظة الحاسمة لكل الموضوعات الطافية على السقف العالي للنشاط الفكري وربطها ببعضها ربطاً محكماً.

لم يفلت عنوان -كبُر أم صغر- إلا و وُضعت الأصبع على خط الدلالة والأهمية فقط، وإذ بالعناوين والموضوعات تتقافز حول بعضها، لتغطي المساحات الفكرية التي أراد الكاتب الإضاءة عليها وبالتالي عرضها ومناقشتها ومن ثَمّ استنتاج الحقائق والخلاصات.

كان البدء من الإسلام المعاصر في الإعلام، لينطلق البحث بعد ذلك، عِبر مسارات ومساحات سجالية متعددة ومتنوعة، تدور جميعها حول محور واحدٍ، اسمه «فوران الأسلمة».

تركي الدخيل
www.turkid.net

ISBN 978-9953-566-18-4
9 789953 566184

مدارك Madarek
إبداع، نشر، ترجمة وتعريب Creating, Publishing, Translating & Arabizing